

عُمَانٌ

وَالسَّاحِلُ الْجَنُوبِيُّ لِلْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ

بِشَرَكَةِ الزَّيْتِ الْعَرَبِيِّ الْأَمْرِيكِتِيَّةِ

إِدَارَةُ الْعَلَاقَاتِ

شُعْبَةُ الْبَحْثِ

الْقَائِمَةُ

مُطْبَعَةُ الْبَحْثِ فِي الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَوَسَّطَةِ

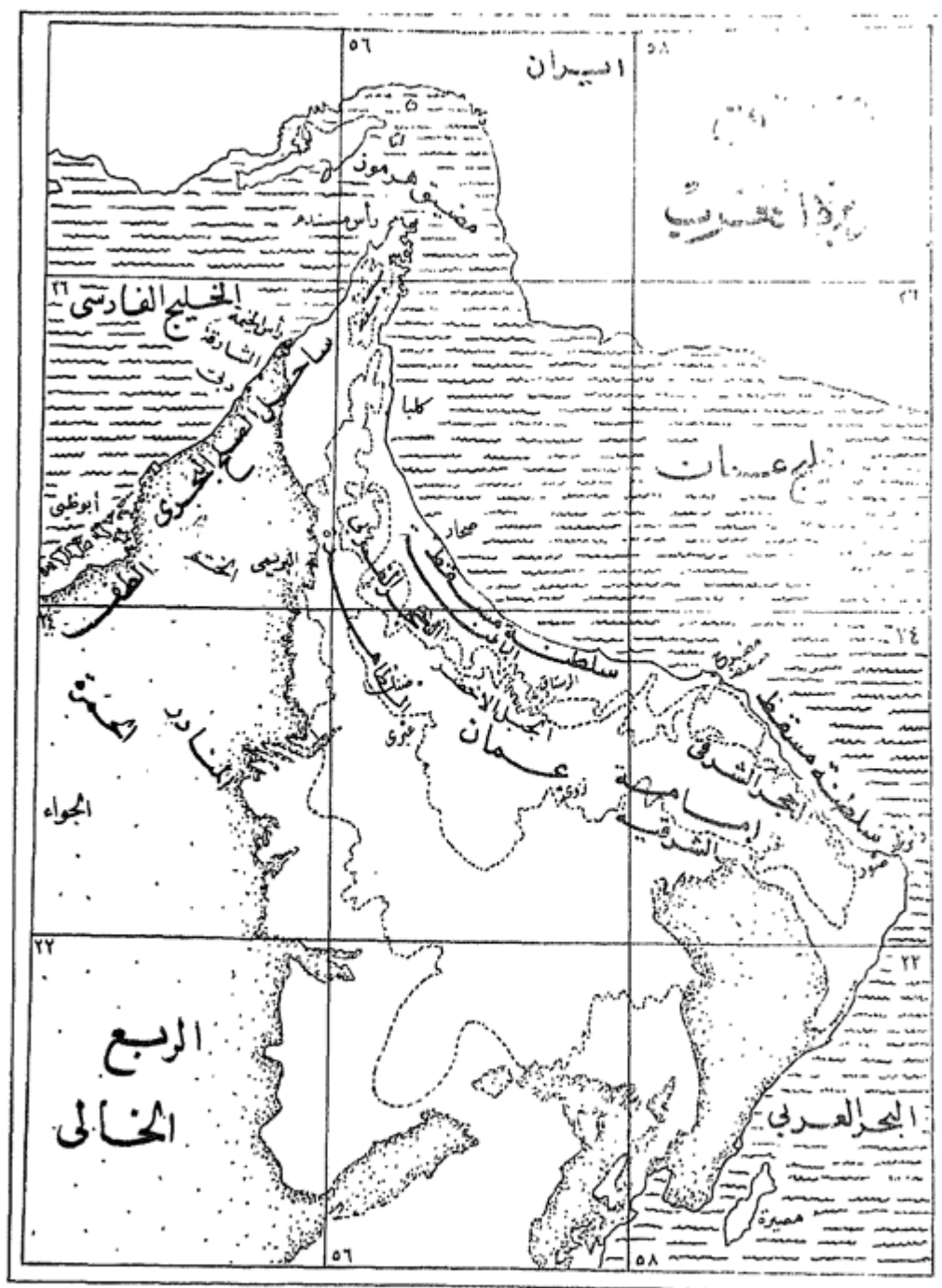
١٠ شُعْبَةُ بَوَارِشَا (سَبْعُ شُعَبَاتٍ الْوَدَاعِيَّةِ)

١٩٥٢

عُمَانٌ وَالسَّاحِلُ الْجَنُوبِيُّ لِلْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ

بَشِيرَةُ الْبَنْتِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِفْرَاقِيَّةِ
إِدَارَةُ الْعَلَاقَاتِ
شَفْبَةُ الْبَحْثِ

الطبعة الأولى
مطبعة دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
١٠ شارع رانافسا (ساحة شارع النور)
١٩٥٢



محتويات الكتاب

ح	مقدمة
	الفصل الأول : إمامة عمان
٣	إمامة عمان
٥	سلطنة مسقط وإمامة عمان
١١	حدود إمامة عمان وأراضيها
١٥	تاريخ إمامة عمان
١٥	أصول الإمامة
١٦	الإمامة في العصور الوسطى
١٨	الإمامان من آل بوسعيد
٢٠	عمان والموحدون من أهل نجد
	فترة خلو مقعد الإمامة
٢٣	إبتداء من ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م
٢٤	سعيد بن سلطان والموحدون
٢٧	سعيد بن سلطان والانكليز
٢٩	سعيد بن سلطان والدول الأجنبية الأخرى
	محاولة غير ناجحة لبعث الإمامة
٣١	١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م
	ثويني بن سعيد سلطان مسقط
٣٢	١٢٧٣ - ١٢٨٢ هـ ١٨٥٦ - ١٨٦٦ م
	سالم بن ثويني سلطان مسقط
٣٥	١٢٨٢ - ١٢٨٥ هـ ١٨٦٦ - ١٨٦٨ م

إمامة عزان بن قيس

٣٨	١٢٨٥ - ١٢٨٧ هـ ١٨٦٨ - ١٨٧١ م
	استيلاء الامام عزان على البريمي
٤٣	صيف ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م
	إخضاع الداخل للإمامة
٤٥	١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م
	خشية هجوم الموحدين على عمان
٤٨	شتاء ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م
	انهيار الإمامة
٥٢	ذو القعدة ١٢٨٧ هـ يناير ١٨٧١ م
	ضبط قوات الداخل على مسقط
٥٦	١٢٩١ - ١٣٠٠ هـ ١٨٧٤ - ١٨٨٣ م
	تولى فيصل بن تركي لسلطنة مسقط
٥٩	١٣٠٥ هـ ١٨٨٨ م
	فيصل بن تركي والانكليز
٦٠	١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م
	احتلال مسقط على يد قوات الداخل
٦١	١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م
	محاولة فاشلة لبعث الإمامة
٦٣	١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م
	المنافسة بين الانكليز والفرنسيين في السلطنة
٦٥	١٣١٢ - ١٣٢٣ هـ ١٨٩٤ - ١٩٠٥ م
	الانكليز والداخل
٦٨	١٣١٥ - ١٣٢٠ هـ ١٨٩٨ - ١٩٠٢ م
	رحلة كرزون الى الخليج الفارسي
٧٢	١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م

	عبد العزيز آل سعود وعمان
٧٤	١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م
	سلطان مسقط والشرقية
٧٩	١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ - ١٩٠٧ م
	خاتمة تاريخ السالمى للاباضيين
٨٠	١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م
	بعث الإمامة
٨١	١٣٣١ هـ ١٩١٣ م
	قوات الإمامة تهدد مسقط
٨٢	١٣٣١ - ١٣٣٣ هـ ١٩١٣ - ١٩١٥ م
	عبد العزيز آل سعود وعمان
٨٤	١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م
	الإمامة والسلطنة
٩٣	١٣٣٣ - ١٣٣٩ هـ ١٩١٥ - ١٩٢٠ م
	عقد الإمامة للشيخ الخليلي
٩٧	١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م
	الاتفاق بين الإمامة والسلطنة
٩٨	١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م
	الانكليز والسلطنة
١٠١	١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ ١٩٢٣ - ١٩٢٥ م
	زحف قوات الإمامة صوب البريمي
١٠٣	١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م
١٠٤	الإمامة منذ ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م
١٠٥	الإمام محمد بن عبد الله الخليلي
١١١	أمير الجبل الأخضر سليمان بن خمير النبهاني
١١٦	أمير الشرقية صالح بن عيسى الحارثي

١٢١	قبائل الإمامة
١٢٤	القبائل الإباضية والقبائل السنية
١٢٦	القبائل الغافرية والقبائل المناوية
١٢٧	القبائل الحضرية والقبائل البدوية
١٢٨	سيطرة الإمامة على القبائل
١٣٠	معلومات عن قبائل الإمامة
١٣١	الخنبة
١٣٦	الحبوس
١٣٧	الحجريين
١٣٩	الحراسيس
١٤٠	الحسرت
١٤٢	بني بو حسن
١٤٤	بني خروص
١٤٦	الدروع
١٥٠	بني رواحة
١٥٢	بني ريام
١٥٤	آل بوسعيد
١٥٦	بني شكيل
١٥٧	العبريين
١٥٩	العسوامر
١٦١	المحاريق
١٦٣	بني هنا
١٦٥	آل وهيبة
١٧٠	اليعاقيب

الفصل الثاني : الظاهرة

١٧٣	الظاهرة
١٧٦	قرى الظاهرة
١٧٧	١ - قرى وادى الكبير
١٧٩	٢ - قرى البلوش
١٨٠	٣ - قرى بنى قتب
١٨١	٤ - قرى وادى ضنك
١٨٢	٥ - السنية والقرى المجاورة لها
١٨٣	٦ - حفيت والقرى المجاورة لها
١٨٤	٧ - قرى البريمى
١٨٤	٨ - قرى بنى كعب
١٨٥	قبائل الظاهرة المستقلة
١٨٦	البلوش
١٨٨	بنى قتب
١٨٩	بنى كعب
١٩١	المياحة أو بنى غافر
١٩٣	نسيم

الفصل الثالث : البريمى

١٩٩	البريمى
٢٠٠	تاريخ البريمى
٢٠٨	قرى البريمى
٢١٤	اقتصاد البريمى
٢١٧	قبائل البريمى

الفصل الرابع : أبو ظبي

٢٢٣	أبو ظبي
٢٢٤	تاريخ أبو ظبي
٢٣٠	حدود أبو ظبي وأراضيها
٢٣٢	جزيرة أبو ظبي ومدينتها
٢٣٤	ساحل أبو ظبي
٢٣٧	الأراضي في الداخل
٢٣٩	قبائل أبو ظبي
٢٤٢	اقتصاد أبو ظبي
٢٤٤	العلاقات بين أبو ظبي وبريطانيا العظمى

الفصل الخامس : الساحل العربي السعودي

بين أبو ظبي وقطر بما في ذلك العديد

٢٥١	الساحل العربي السعودي بين أبو ظبي والعديد
٢٥٢	العديد

الفصل السادس : قطر

٢٦٥	شبه جزيرة قطر
٢٧٣	أهل قطر
٢٧٥	قبائل قطر
٢٨٢	تاريخ قطر الحديث
٢٨٢	استقرار آل خليفة في الزبارة
٢٨٥	نفوذ الموحدين في قطر
٢٩٣	قيام آل ثاني

٢٩٧	الأتراك في قطر
٣٠٧	قطر منذ الحرب العالمية الأولى
٣١٠	العلاقات بين قطر وبريطانيا العظمى
٣١٤	الزيت في قطر
٣١٧	حكومة قطر

الخـرائط

أول الكتاب	شرق جزيرة العرب
أمام ٣	{ عمان الوسطى والجبل الأخضر الشرقية وجعلان
١٧٣ »	الظاهرة
١٩٩ »	البريمي وأبوظبي والظفرة
٢٢٣ »	الساحل الجنوبي للخليج الفارسي
٢٥١ »	ساحل الخليج الفارسي من أبوظبي الى خورالعديد
٢٦٥ »	شبه جزيرة قطر

مقدمة

في شهر ربيع الثاني عام ١٣٦٩ هـ الموافق ليناير ١٩٥٠ م فرغت شعبة البحث من اعداد كتاب عنوانه « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » يتضمن معلومات مفصلة عن الأجزاء الشرقية من ذلك الاقليم في المملكة العربية السعودية الذي يقع بالقرب من الخليج الفارسي . وقد وجهت العناية في ذلك الكتاب الى عدد من القبائل الخاضعة للحكومة العربية السعودية وكذلك الى المناطق التي تسكنها تلك القبائل . غير أنه لكي يفهم المرء أحوال هذه المناطق فهما جيدا ، يجب أن يلم بأحوال الأراضي المجاورة لها التي لا يزال وضعها غامضا أو التي تخضع لسيطرة حكومات أخرى دون منازع . وهذا الكتاب اذن ، مكمل للكتاب السابق لأنه يهدف الى عرض معلومات كافية للتعريف بهذه الأراضي المجاورة .

ليست هناك حدود معينة طبقا لاتفاق دولي للأراضي التي ندرسها هنا ، فلا يسع أحد أن يجزم بالحد الذي عنده تنتهي الأراضي العربية السعودية وتبدأ أراضي أية دولة من الدول المجاورة لها . وفي عام ١٩٤٩ اقترحت الحكومة العربية السعودية بعد مفاوضات استمرت نحو خمسة عشر عاما ، خطوطا معينة تعيينا دقيقا لتكون حدودا بين المملكة العربية السعودية وقطر من ناحية وبين المملكة العربية السعودية وأبو ظبي من ناحية أخرى ، غير أن الحكومة البريطانية باعتبارها ممثلة لحكومتى قطر وأبو ظبي لم تقبل هذه المقترحات بعد .

ومع ذلك فإن هذا البحث ليس مجرد تحقيق في مسائل الحدود ، ولكنه محاولة لالقاء ضوء على حقائق المناطق التي يدور نزاع بشأن

حدودها على البر * والمعلومات المدرجة هنا ذات فائدة للذين يسمعون جاهدين لحل مسائل الحدود القائمة الآن ، وتسدى خدمة أبعد من ذلك فتهمي للمعنيين بشئون جزيرة العرب فرصة الالمام بأحوال أقاليم في جزيرة العرب لا يعرف عنها الا القليل * وقد بذل الذين أعدوا هذا الكتاب كل جهد ممكن لتقديم صورة كاملة لا تميل مع الهوى ، كما أنهم لم يعتمدوا اغفال شيء له قيمته ، مهما يكن أمره ، خشية أن يكون له تأثير محتمل في مفاوضات الحدود ، كما أن العناية وجهت دائما الى عدم تحوير الحقائق المدرجة وعدم تشويهها *

ويبدأ الكتاب بامامة عمان ، وقد أفردت لها مساحة أكبر من غيرها للأسباب التالية : (١) ان المعلومات الموجودة عن الامامة في الخارج قليلة الى أقصى حد ، و (٢) ان أراضى الامامة كثيرا ما تعد خطأ داخلة في ممتلكات سلطان مسقط ، و (٣) انه كان للامامة تاريخ طويل جدا وكان لا معدى من عرض شيء منه لامكان تقدير حالتها الراهنة ؛

وعند دراسة الامامة، تنشأ مشكلة بشأن استخدام اسم عمان * فيمكن استخدامه ، كمعظم أسماء المناطق الجغرافية ، بمعان مختلفة تتوقف على من يستخدمه وعلى سياق الكلام * وعلى العموم ، يبدو أن الذين يستخدمون هذا الاسم في العالم خارج المناطق الشرقية لجزيرة العرب يكادون يجمعون على اعتبار عمان شاملة للقسم الكبير من جزيرة العرب الواقع بين ساحل الصلح البحرى على الخليج الفارسى ، وبين ذلك الجزء من الساحل الجنوبى لجزيرة العرب الذى يمتد من رأس الحد الى ما يجاور جزيرة مصيرة * وهذا الاستعمال يتضح من أن الغربيين يطلقون اسم خليج عمان على ذراع البحر العربى التى تقوم عليها مدينة مسقط * غير أنه في شرق جزيرة العرب يميل السواد من الناس الى استخدام كلمة عمان عند الحديث عن الجزء الداخلى وحده من هذا القسم * وبناء على هذا الاستعمال ، تصبح مسقط خارج عمان ، وكذلك هذا هو شأن الباطنة ، وهى المنطقة

الواقعة شمال غربى مسقط بين الجبال والبحر وتبدأ عمان عندما يدخل المرء منطقة جبال الحجر . ويقتصر اسم عمان أحيانا على الجزء الأوسط من المناطق الواقعة الى جانب جبال الحجر في اتجاه الربع الخالى^(١) . أما فيما يتعلق بهذا البحث ، فإن عمان تعنى المعنى الأوسع الذى يستعمله عادة سكان البلاد أنفسهم ، ويمكن تحديدها على وجه التقريب بأنها الجزء الرئيسى من الحجر ومن الأراضى الواقعة بين هذه الجبال والربع الخالى . وطبقا لهذا التعريف ، تقع أراضى الامامة ومنطقة الظاهرة كلها فى داخل عمان . ومن ناحية أخرى يعد ساحل الصلح البحرى وحدة جغرافية منفصلة ليست جزءا من عمان .

والساحل الجنوبى للخليج الفارسى يطلق على الساحل من أبو ظبى الى قطر . والدول الأخرى على ساحل الصلح البحرى ، فيما خلا أبو ظبى ، لا تبحث بالتفصيل لأنه ليس لدولة منها أراض تلاصق المملكة العربية السعودية .

وأكثر المناطق التى نبحث فيها هنا ، لم يجر فيها مسح فنى واف ، كما أن جميع الخرائط التى نشرت تفتقر الى كثير من الدقة المطلوبة . وقد أعد عدد من الخرائط لهذا الكتاب خاصة ، وهى تساعد القارئ على أن يتبين طريقه فى خضم معميات جغرافية عمان وتاريخها وكذلك الساحل الجنوبى للخليج الفارسى . غير أنه عند الرجوع الى هذه الخرائط يحسن بالقارئ أن يدرك أن هذه الخرائط ليست سوى رسوم لامعدى من أن يظهر فيها نقص المصادر التى اعتمد عليها فى رسمها .

اننا نقوم الآن بطبع هذا النص العربى للكتاب فى الوقت الذى نقوم فيه بطبع النص الانكليزى . ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لادماج بعض التغييرات التى أدخلت على النص الانكليزى أثناء الطبع ، ضمن

(١) ويطلق على هذا الجزء الأوسط اسم عمان الوسطى فى هذا الكتاب .

النص العربى • فقد أضيفت الى النص الانكليزى بعض المعلومات التى اكتشفت حديثا ولم تدمج فى النص العربى • ولذلك فعندما يظهر اختلاف بين النصين ؛ يكون النص الانكليزى هو الذى يعتمد عليه ، هذا مع أننا لم ندخر جهدا لضمان الدقة فى النص العربى كما تجده بين يديك • ولم تسنح لنا الفرصة للاحاق الفهرست والملاحق بالنص العربى • وقد ذكرت المراجع العربية للكتاب بالخط العربى فى القائمة الخاصة بالمراجع الملحقه بالنص الانكليزى •

وقد وضع هذا الكتاب بتعاون جميع موظفى شعبة البحث • فساهم كل من الدكتور تشارلس ماثيوز وهومر ملر وبيتر سبيرز ووليم ملقن وهلن هلباخ مساهمة مقدورة عظيمة فى أعمال البحث والكتابة ورسم الخرائط والطبع والترجمة اللازمة للنصين • وقد كتب المستر جيمس نايت من رجال شعبة الاتصال الجنوبية الملحقه بإدارة العلاقات الفصل الخاص بالعديد • وقد انتفعنا كثيرا بمعلومات المستر رتشارد ينق الواسعة فى القانون الدولى وتطبيقه على الخليج الفارسى وجزيرة العرب • كما أن المستر توماس بارقر مدير ادارة العلاقات أبدى اهتماما جديا بهذا العمل منذ الشروع فيه ، وكان لتشجيعه ولتشجيع غيره من كبار رجال شركة الزيت العربية الأمريكية فضل مشكور فى نضوج هذه الشجرة •

لقد أضيف الشئ الكثير الى المراجع المكتوبة عن المناطق وزيدت تفصيلات كثيرة نتيجة للأحاديث المستفيضة التى جرت مع رجال عاشوا فى تلك المناطق وجابوا خلالها • وقد قدم هؤلاء الرواة من الحضريين والبدو معلومات قيمة للغاية عن أوطانهم وأهلهم وبذلك ملأوا الفراغ الموجود فى التاريخ المدون وأمدونا بمعظم المادة التى تختص بمعالم البلاد وبالقبائل •

قد كان الأعضاء العرب فى شعبة البحث فى مقدمة الذين أمدونا بمعلومات من هذا القبيل وعلاوة على هذا فعن طريقهم تعرف المؤلفون

على معظم الرواة الآخرين * وهؤلاء الموظفون في شعبة البحث هم :
سعيد بن ناصر الهاجرى وعلى بن حميد المنصورى وثعيلب بن صقر
العامرى وعوض بن ناجى المنهالى وسعيد بن عمير النعيمى *

أما الذين أدوا لنا خدمات بوصفهم رواة فهم أكثر عددا من أن نذكرهم
بأسمائهم الا أننا نذكر بالتقدير عبد الله بن محمد المعمرى وحمد بن
محمد الحجرى وحمد بن محمد الحرسوسى وسعيد بن راشد البلوشى
وحمود بن سعيد الوهيبي وسعيد بن عبد الله العفارى *

جورج رنسى

القاهرة } ١١ ربيع الأول ١٣٧١
١٠ ديسمبر ١٩٥١

إِفَامَةُ عُمَارٍ



إمامة عُمان

امامة عمان دولة اباضية مستقلة ، تشغل الجانب الأكبر من أرض عمان في شرق الجزيرة العربية • وقل ما يعرفه العالم عن هذه الدولة ، حتى الثقات في الشئون العربية بغير استثناء تقريبا ، ليسوا على معرفة وثيقة بها • أما الحكومتان البريطانية والأمريكية فتعترف كلتاهما بحاكم مسقط على أنه سلطان مسقط وعمان ، فكأنهما تعنيان أن بلاد عمان خاضعة لسلطة السلطان • والحقيقة أن سلطان مسقط لم يكن له شيء يذكر من السيطرة الفعالة على عمان منذ أكثر من قرن ، وأما الامامة نفسها فلها تاريخ يتردد الى ما يزيد على ألف سنة وهي لم تزل تستمتع بوضعها الحاضر كحكومة مستقلة مستقرة في عمان منذ نحو أربعين سنة •

ان بلاد عمان المعروفة هنا بأنها تضم الجانب الأكبر من السلسلة الطويلة من الجبال التي يطلق عليها اسم الحجر ، والأراضي الواقعة بين هذه انجبال وبين الربع الخالي ، هي من أشد أجزاء الجزيرة العربية امتناعا على الرواد ، ولم يزرها سوى عدد قليل جدا من الرواد الغربيين ، والسياسة الرسمية التي تتبعها حكومة الامام في ثنى أهلها عن الاتصال بالعالم الخارجي ، تعزز هذه العزلة في أرضها • فهذه الحكومة لم تنشئ علاقات سياسية مع أية دولة أجنبية ، والروابط الاقتصادية التي تربط الامامة بأقطار خارج حدودها الطبيعية قليلة •

صاحب السلطة العليا في الامامة هو الامام محمد بن عبد الله الخليلي ،

الذى يقيم فى عاصمته نزوى ، بالقرب من السفح الجنوبى الغربى من الجبل الأخضر . والامام هو فى المقام الأول ، رجل دين ، بيد أنك لا تجد حدا فاصلا فى نظام الدولة بين شئون الدين وشئون الدنيا وفقا للعرف الاسلامى القديم . والامام يعتمد اعتمادا كبيرا فى ادارة حكومته على أقوى رجلين فى سياسة القبائل فى عمان ، وهما الشيخ سليمان بن حمير أمير الجبل الأخضر ، والشيخ صالح بن عيسى أمير الشرقية .

سَاطِنَةُ مَسْقَطٍ وَإِمَامَةُ عُمان

تتألف أراضي سلطان مسقط من (١) منطقة مسقط ومطرح ،
(٢) المنطقة الساحلية الطويلة التي تدعى الباطنة بين الحجر الغربي والبحر ،
(٣) شبه الجزيرة الشمالي المعروف باسم روس الجبال ، (٤) الأراضي
في جوار رأس الحد ، (٥) منطقة ظفار الى الشرق من حضرموت .
أما أهل صور وما يحف بها ، وهي لا تبعد كثيرا غربى رأس الحد ،
فيعترفون أحيانا بسلطة السلطان ويأبون أن يعترفوا بها أحيانا أخرى ،
وقد يعدون اليوم تبعا له مع أنه يلوح أن سيطرته عليهم محدودة .
أما وضع ساحل البحر العربي الممتد جنوبا من رأس الحد فيبدو غامضا ،
ولكن يلوح أن للسلطان شيئا من حق في ملك جزيرة مصيرة الكبيرة
الواقعة تجاه الساحل .

هذه الممتلكات لا تؤلف منطقة واحدة متصلة . فأرض كلبا وهي
احدى امارات الصلح البحرى تفصل روس الجبال عن الباطنة ،
ومنطقة جعلان حيث للامامة نفوذ غير يسير تفصل ظفار عن صور
ومسقط . والمواصلات بين أجزاء السلطنة المختلفة تتم على الأكثر بحرا .
فالسلطان يصرف جانباً كبيراً من وقته في سلالة ، عاصمة ظفار ، وهو
يستقل مركبا في سفره بين سلالة ومسقط .

وسلطان مسقط اليوم هو سعيد بن تيمور من آل بو سعيد الذين
تحدروا أصلا من بلد آدم في عمان الوسطى . وفي سنة ١١٥٧ هـ
الموافقة ١٧٤٤ م استطاع أحمد بن سعيد مؤسس الأسرة الحاكمة من

آل بو سعيد أن يرد الغزاة الفرس عن ساحل الباطنة وتمكن بعد ذلك من أن يضمن لنفسه عقد امامة عمان له^(١) . فلما توفي انتخب ابنه اماما خلفا له . ولكنه انسحب الى الجبال وعاش في شبه عزلة ، فذوت الامامة . وقد نقل الحكام من آل بوسعيد مقر الحكم من الداخل الى الساحل . ولم يزلوا منذ الجزء الأول من القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للجزء الأخير من القرن الميلادى الثامن عشر يحملون لواء الحكم في مسقط كحكام زمنيين لا يزعمون لمنصبهم سلطة دينية خاصة ، أما أعظمهم سعيد ابن سلطان الذى حكم من سنة ١٢١٩ هـ الموافقة ١٨٠٤ م الى ١٢٧٣ هـ الموافقة ١٨٥٦ م فلم يطلق على نفسه لقب الامام أو السلطان مع أن الأجانب الذين لم يكونوا على المام بحقيقة الواقع أطلقوا اللقبين كليهما عليه . وقد اكتفى هو بلقب السيد ولكن هذا اللقب لم يكن في هذه الحالة دليلا على تحدره من أسرة النبی محمد كما هو شائع في الجزيرة العربية ، وهذا هو اللقب الذى عرفت به سلالته من بعده بين العرب في شرق الجزيرة العربية الى يومنا هذا .

كانت سيرة سعيد بن سلطان مدعاة لتوسيع الهوة الشاغرة بين آل بوسعيد وبلاد عمان في الداخل . فقد كانت عناية سعيد منصرفة على الأكثر الى تعزيز ما اكتسب من ملك جديد وراء البحار في زنجبار وأفريقيا الشرقية ، فضعفت سطوة حكومته في مدن عمان وبين قبائلها ضعفا مطردا ، ولم يتمكن أحد من خلفائه أن يسترد استردادا كاملا ما كان للأسرة من منزلة في الجبال وفي الأراضى التى وراء الجبال . ان مدينة مسقط تطل على البحر ، والمسالك التى تعبر البحار هى أيسر وأدعى الى

(١) لم نحصل على تاريخ هذا العقد بوجه الدقة .

الاقبال عليها من معابر الجبال التي وراءها . وقد حرص سلاطين مسقط
الحين بعد الحين على تأكيد ما يزعمونه لأنفسهم من سلطة في عمان ، جنوبا
وغربا الى الربع الخالي ، مع أنه لم يكن ثمة أساس قوى يؤيد هذا الزعم .

حقا ان عزان بن قيس الذي عقدت الامامة له في سنة ١٢٨٥ هـ
الموافقة ١٨٦٨ م وظل اماما الى يوم وفاته في سنة ١٢٨٧ هـ الموافقة ١٨٧١ م
كان من آل بوسعيد ، ولكن جماعة الاباضيين اختارته اماما معارضة
لآخرين متحدرين تحدرنا مباشرة من صلب البيت السعيدى ،
فاتتخاب عزان ينبغي أن يعد مثالا رائعا على رغبة سكان عمان في أن
يستقلوا تحت حاكم يرفعونه بأنفسهم الى منزلة الحكم .

فاذا نظرت الى ما حدث بعيون أهل عمان رأيت الغريين قد أساءوا
تفسير الحوادث التي تمت في خلال الخمس والثمانين سنة الماضية ولم
يعدلوا عنه . فقد وصف بعث الامامة بعقدها لعزان في
سنة ١٢٨٥ هـ الموافقة ١٨٦٨ م واعادتها في سنة ١٣٣١ هـ الموافقة ١٩١٣ م
على أنهما تمرد أو ثورة على سلطة السلاطين المعترف بها . أما جل
أهل عمان ، أى جماعة الاباضيين في الداخل ، فلم يعدوا هذين الحادثين
تمردا أو ثورة . فالامامة كما سنين في تاريخهما في الفصول التالية ،
لها أصول عميقة في البلاد ، فهي ذلك النوع من الحكم الذى ألفه الناس
بالتقليد والاختيار ، فلما تولى آل بوسعيد عن الامامة لاهتمامهم
بمصالح دنيوية ، تركت البلاد في عرف الاباضيين بغير رئيس أعلى حتى
حان الحين لانتخاب امام جديد . ومذهب الاباضيين لا يحرص على
ضرورة توالى الائمة في المنصب تواليا غير منقطع . فان لم يكن هناك
مرشح صالح لهذا المنصب سمحوا بوقوع فترة تكون فيها البلاد بغير
امام ، فاذا بلغ الاتفاق على انتخاب امام جديد مبلغا كافيا قيل ان الجماعة

قد عادت الى حالتها السوية المرغوب فيها . وهذا هو عين ما حدث في سنة ١٢٨٥ هـ ثم في سنة ١٣٣١ هـ . وفي الوقت نفسه كان استياء الاباضيين من السلطان باعثا في الحالين على هجوم شن على مسقط فكان ذلك الهجوم أساسا لما أطلق عليه الأجانب وصف الثورة .

يظهر مما تقدم أن الحاجز الكبير بين السلطنة والامامة هو حاجز ديني في طبيعته ، ففي مسقط أمور كثيرة ألفت أو تعد مقبولة نتيجة لاتصال مسقط بالهند وبالغرب ، ولكن الاباضيين في الداخل ينتكرون لها أو يستنكرونها استنكارا صريحا . وكثير من العداء الذي يكنه رجال قبائل عمان للسلطان يرتد الى الزمن الذي كان فيه السلطان يتعاون مع الانكليز في حملاتهم للقضاء على تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة . فالاباضيون المحافظون يذهبون الى أن الرقيق ليس ممنوعا في شريعة الاسلام وينبغي أن لا يتدخل فيه أحد ، وقد عارضوا أيضا كل سعى الى الحد من نشاط المهريين الذين يمدونهم بالأسلحة والذخيرة . ولما كان حكام آل بوسعيد اباضيين أيضا ، في الاسم على الأقل ، فقد ساعدت هذه الحقيقة على زيادة التبرم بأعمالهم بين المتحمسين الذين يقطنون في الأرض وراء الجبال .

ثم جاء دخول الأجانب والأخذ بالأساليب الأجنبية كفرض الرسوم الجمركية في أراضي السلطان باعثا على استياء السكان في الداخل . وموقف الامامة من أكثر الأشياء التي لها أصل أجنبي هو أنها بدع تنتهك بطريقة ما المبادئ الأصلية في الديانة الاسلامية .

وقد زاد الهوة بين الامامة والسلطنة كره الامام وكثير من أتباعه للأجانب على خلاف ما كان يلقاه هؤلاء من حسن ضيافة في مسقط على الغالب . ولم يسمح في السنوات المتأخرة لأحد من الغربيين أن يدخل

أرض الامامة مسافة ما سوى لبعض أطباء الارسالية الأمريكية الذين ذهبوا للقيام بأعمال طبية ومع ذلك فقد كان لقاؤهم عند الامام وبعض رجال حكومته لقاء فائرا .

وأخيرا ينبغي أن ننظر في العلاقات بين الامامة والسلطنة من ناحية تأثير الأحوال الاقتصادية فيها . ففي قدرة السلطان أن يضغط على الداخل لأن الواردات الى الداخل تمر في مرافئه حيث يستطيع أن يفرض عليها رسوما جمركية أو يستطيع اذا شاء أن يمنع مرورها ^(١) . على أن خطورة هذه الحالة عرضة للمبالغة فيها ؛ لأنه اذا استثنينا السلع المصنوعة كان الداخل قادرا على الاكتفاء بما لديه الى حد بعيد ، فاعتماده على الواردات من الخارج ليس سوى اعتماد قليل . ويقابل هذا انه من المحتمل أن يحدث تغير مطرد بطيء اذا تعود أهل عمان السلع الغربية ومالوا الى عدها من الضروريات لا من الكماليات وحسب . ويضاف الى ذلك أن قدرة الداخل على هذا الاكتفاء قد ضعفت في السنين المتأخرة لما منيت به الشرقية من جفاف شديد اثر جفاف .

أما السلطنة فأقل قدرة على الاكتفاء من الامامة ، والأحوال الاقتصادية على الساحل خطيرة ان لم تكن حرجة . فقد ذهب الدخل الآتي من تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة وصارت السلطنة مضطرة أن تعتمد اعتمادا كبيرا على مورديها الرئيسيين ، التمر والسبك . حتى تجارة التمر ليست اليوم كما كانت ، فمنذ ثلاثين سنة أو نحوها كان معظم التمر الذي تستورده الولايات المتحدة يأتيها من موان تابعة للسلطان

(١) تضع السيطرة على المرافئ في يد السلطان مقدارا من السيطرة على بعض أهل الامامة لأنه اذا شاء هؤلاء أن يسافروا الى الخارج وجب عليهم في العادة أن يطلبوا جوازات من حكومة السلطان ، واما الامام فلا يرضى عن مثل هذا الاسلوب المستحدث .

ولكن بعد أن أنشئت شركات الاستيراد الأمريكية في البصرة وغيرها ، وبعد أن تقدمت زراعة النخيل في الجانب الجنوبي الغربى من الولايات المتحدة وازدهرت ، طرأ تغيير على ذوق الشعب الأمريكى فصار يفضل التمر ذا اللون الأسمر الفاتح الآتى من العراق أو من كاليفورنيا على تمر مسقط ذى اللون الأسمر القاتم ، ولم توجد بعد ذلك لتمر مسقط سوق أخرى تحل محل السوق الأمريكية •

ويبدو الآن أن أكبر أمل فى تحسين الحالة الاقتصادية السيئة فى الدولتين قائم على امكان اكتشاف الزيت ، وهو امكان لا تستطيع أن تمحو أثره من نفوس قوم يعيشون على مقربة من أراضى الشرق الأدنى التى يزخر جوفها بالزيت • وكل توسع كبير فى أراضى السلطان بوسع أملة فى الظفر بريع أكبر اذا وجد الزيت يوما ما فى الأراضى الخاضعة له • وفى الوقت نفسه ترى بعض الشيوخ فى الداخل برغم عزلتهم عن العالم قد بدأوا يدركون ما للزيت من شأن كبير فى الاقتصاد الحديث وليس من المرجح أن ينزلوا عما لهم من أمل فى الظفر بريع الزيت ان لم ينالوا مقابل ذلك مزايا بينة •

حدود إمامة عُمان وأراضيها

ليس في الوسع تعيين تخوم امامة عمان بشيء من الدقة وليس هناك على ما يعرف معاهدات أو اتفاقات بين الامامة والدول المتاخمة نعين. التخوم أو تبين مدى الأراضي التابعة لكل دولة . ومع ذلك في الوسع تعيين الحدود الجغرافية لسلطة الامام وحكومته بوجه عام ، وإن كانت هذه الحدود في كثير من الأحيان غامضة غير مستقرة .

يمتد نفوذ الامامة في الجنوب الشرقي الى سواحل البحر العربي ولكن من الأشياء التي يحوطها الريب مسألة سيطرة الامام على أية شقة طويلة من الساحل ، فالامام لا يرغب في الاتصال بالعالم الخارجى ولا يحركه الحث على تثبيت أقدامه على حافة المحيط . فالساحل من جوار رأس الحد الى جوار ظفار تشمله منطقة القبائل التي تستمتع باستقلالها أو التي تتردد في أن تخضع لأى سيد سوى خضوع بالاسم . أما ذلك الجزء من الشاطئ الواقع الى الجنوب الشرقي من الشرقية والذي يشمل مرفأ الأشخرة الصغير ، فيقع في ديرة ولاد حمودة من بنى بو على وهم اسما من أتباع سلطان مسقط . أما جزيرة مصيرة فتابعة لديرة قبيلة الجنبه وأقسام من هذه القبيلة تابعة للامام ، ولكن السلطان استطاع فيما يلوح بما له من نشاط في البحر وما ناله من اعتراف الحكومتين البريطانية والأمريكية أن يثبت حقه في هذه الجزيرة . فهو الذى أذن ، لقاء مبلغ من النقد ، في انشاء مطار في مصيرة استعمله الانكليز والأمريكيون في أثناء الحرب العالمية الثانية .

أما مدن جعلان بين الشرقية والساحل فتجد منها الكامل والوافي وبلاد بنى بو على ميالة الى ناحية مسقط : على حين ترى بلاد بنى بو حسن ، وهى واحة كبيرة ، خاضعة لسلطة الامام • وليس ثمة حدود واضحة بين السلطنة والامامة فى هذه المناطق ، فأراضى الواحدة تختفى رويدا رويدا قبل أن تبدأ أراضى الأخرى كما يختفى ضوء النهار قبل حلول الشفق •

أما فى الشمال فالحاجز الطبيعى الذى تكونه سلسلة جبال الحجر هو بوجه عام الحد لسلطة الامام التى تميل الى الانسباط على قمم الجبال وتمتد فى بعض الأماكن الى السفوح الشمالية والشرقية نحو منطقة الباطنة الساحلية التى تسيطر عليها السلطنة • فبلدة سمائل التى تحرس أهم معبر فى الجبال الى الداخل هى فى أيدي الامام أسوة بالمعقل المشهور معقل الرستاق القائم على المرتفعات فوق الباطنة •

أما فى الشمال الغربى فأرض الامامة تمس الحافة الجنوبية الشرقية لمنطقة الظاهرة حيث تجد أحد ولادة الامام يجلس فى مدينة عبرى الخطيرة الشأن متخذاً منها ركناً للامامة فى تلك الناحية • والأرض وراء عبرى الى الأودية فى الشمال من البريمى ، حرة ، والسلطة فيها يتنازعها حكام المدن الصغيرة وشيوخ القبائل المتنقلة • فجماعة الاباضيين من عمان لم تدخل البريمى فى حوزتها منذ أن كانت لها زمنا فصيرا فى عهد الامام عزان بن قيس قبل نحو ثمانين سنة ، وقد باءت محاولتهم الاستيلاء عليها سنة ١٣٤٤ هـ الموافقة ١٩٢٥ م بالخيبة •

أما فى الغرب والجنوب الغربى فأرض الامامة تمتد نحو رمال الربع الخالى • وفى هذه الناحية تتصل الامامة بالمملكة العربية السعودية ، ولكن لم تجر حتى الآن أية مفاوضات بين الدولتين لتعيين التخوم المشتركة •

فالأرض الواقعة بين هذه الحدود بوجه عام مؤلفة من ثلاث مناطق رئيسية : الجبل الأخضر وعمان الوسطى والشرقية . ولكن نفوذ الامام يمتد الى منطقة رابعة هي جعلان الواقعة عند الحد الخارجى للجزيرة العربية بين الشرقية والبحر . بيد أن سيطرة الامام هنا ليست تامة فوق كل نزاع كما هى فى المراكز الأخرى للدولة .

الجبل الأخضر هو قلب الحجر ، ولكنه ليس الأرض الجبلية الوحيدة التابعة للإمامة ، بيد أن قيمة موقعه من الناحية الاستراتيجية وقوة أميره تضعانه فى منزلة خاصة . والجبل الأخضر هو أقرب مناطق الإمامة الثلاث الى مسقط والى العالم الأوسع أمامها ، فهو بطبيعة موقعه أكثرها تعرضاً للتأثير الخارجى وأكثرها ملاءمة لظهور الميول الى الانفصال عن الإمامة ، مع أن الجبل فى الوقت نفسه أقرب الى عمان الوسطى ومقر الإمامة منه الى مسقط . وأهل الجبال مشهورون بولائهم لقبائلهم وبتحفظهم فلذلك لم تبد حتى الآن أية محاولة ظاهرة لرفض سلطة الامام .

أما عمان الوسطى بمدنها القديمة المشهورة ، مدن نزوى وأزكى وبهلا ويبرين ، فلم تزل منذ قرون المركز الأول لتدتين الاباضيين وفقهم وعلمهم . هنا تتركز القوى الأدبية والدينية للإمامة ، ومن هنا تنطلق كلمة الامام المبجل لتنتشر بين شعبه .

أما منطقة الشرقية فلم تزل منذ عهد الامام عزان بن قيس الى عهد قريب ، هى العمود الفقرى للقوى الحربية فى الداخل ، بيد أن الأثر المميت للجفاف ووفاة الشيخ الكبير عيسى بن صالح فى سنة ١٣٦٥ هـ الموافقة ١٩٤٦ م قد مالا بهذه المنطقة الى ضعف منزلتها فى العهد الأخير . حتى عاصمة المنطقة ، مدينة القابل ، وصفها الذين رأوها فى الستين الأخيرتين بأنها مدينة ميتة . ولكن أهل الشرقية كانوا فى الماضى أهل بأس وحزم ، وقد يكون فى قدرتهم أن ينفخوا فى الأرض حياة جديدة .

تاريخ إمامة عُمان

أصول الامامة

الامامة منشأة قديمة في عمان ، ترتد الى القرن الثاني من العصر الهجرى الموافق للقرن الثامن من العصر المسيحى . وقد أنشأ الاباضيون من المسلمين هذه المنشأة وصانوها هناك ، وهم فرع من الخوارج الذين قاموا بحركة عصيانية دينية محافظة وانفصلوا عن الكيان الرئيسى لاتباع الاسلام في أيام على بن أبى طالب ، وقد قصد بعضهم الى شرق الجزيرة العربية واستقروا في جبال عمان ، حيث نشروا عقائدهم التى تعرضت لتغيرات يسيرة في القرون المتتالية . ويمكن اعتبار امامة الاباضيين في عمان من المخلفات الحية للخلافة الاسلامية الأولى ، ولا يزال الامام الاباضى يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الأولين في القرن الهجرى الأول . وليس مما يغفل شأنه أن نعرف أن لقب الامام نفسه كان يطلق على الخليفة أحيانا في تلك الأيام .

الإمامة في العصور الوسطى

منذ فجر التاريخ في عمان ، وجدت عوامل تفرقة في حياة الشعب أدت الى جعل توحيد البلاد أمرا عسير التحقيق . وكما هو الحال في أجزاء الجزيرة العربية الأخرى ، جرت كل قبيلة وكل بلدة على أن تجاهد لتكون قوة في حد ذاتها ، مؤثرة الاستقلال حتى مع الفوضى ، على العمل المشترك لمصلحة المجتمع العام . وقد ساعد الطابع الجبلى للبلاد على تفتيت الحياة السياسية ، فأصبح من الميسور لكل قبيلة أن تصون كيائها في واديهما الخاص الضيق البعيد المنال . أضف الى ذلك أن المنافسة القديمة بين عرب الجنوب وعرب الشمال لا تزال باقية حتى اليوم في عمان بغير أن تفقد شدتها ، هذا مع أنها زالت من زمان بعيد في مناطق أخرى من العالم العربى . ويلوح أن المنافسة في عمان بدأت عندما وفدت للمرة الأولى عناصر من الجنوب وعناصر من الشمال ولم تخدم الا قليلا . وكان عرب الشمال يعرفون في عمان باسم النزارية قرونا عدة ، كما كان الجنوبيون يعرفون باليمنية . ومنذ أكثر من مائتى سنة نشبت حرب أهلية أسفرت عن تسمية الشماليين باسم الغافرية وتسمية الجنوبيين باسم الهناوية . والاتجاه العام هو أن تقف الفئتان متعارضتين ، حتى ولو لم تشتركا في حرب سافرة . وإذا وحد أعضاء الفئتين المتعاديتين قواتهما — كما يحدث أحيانا — كان التحالف بينهما غير وثيق العرى . غير أن عقد حلف بين الفئتين وصونه ، هو أمر لا يستغنى عنه في انشاء سلطة قوية مركزية في البلاد . وهذا يقتضى زعامة موهوبة وبقتضى دأبا في تعزيز النية الحسنة من جانب الجميع . وقد عاشت الإمامة هكذا طويلا لأنه كان

من الممكن بين وقت وآخر تحقيق أحلاف بين الفئتين وإن كانت جزئية ، غير
أن تاريخ الإمامة كان تاريخاً متعثراً بسبب الصعوبة الطبيعية التي تعترض
تحقيق هذا •

في الفترة الواقعة بين النصف الأول من القرن الهجري الثاني
والنصف الأول من القرن السادس ، نجد في كتب التاريخ العربية لعمان
ذكراً لسلسلة تكاد تكون متصلة للأئمة • أما الأوقات التي كان يخلو
فيها مقعد الإمام في هذه الفترة فهي قليلة ومدتها وجيزة • غير أنه في
الفترة الواقعة بين النصف الأول من القرن السادس ، وأوائل القرن
التاسع ، يلوح أن مقعد الإمام خلا مدة تزيد على مائتي عام لأنه لم
يرد شيء عن اختيار شخص لهذا المنصب • وفي أوائل القرن التاسع بعثت
الإمامة واستمرت ما يزيد على قرن ونصف قرن ، ثم خلا مقعد الإمامة
مرة أخرى مدة نيف وستين عاماً •

في نحو عام ١٠٣٤ هـ الموافق ١٦٢٤ م اختير رجل من قبيلة اليعاربة
اماماً ، وظل الأئمة يختارون من هذه القبيلة ما يزيد على قرن بعد ذلك •
وهذا الميل إلى قصر الاختيار على أعضاء قبيلة واحدة ، أي وضع نظام
يكاد يدنو من نظام الأسر الدينية ، ازداد وضوحاً في أثناء القرن
الحادي عشر بعد أن بدت بوادره حيناً بعد حين في الزمن السابق ، وظل
منذ ذلك الوقت قوة يحسب لها حساب في عمان •

الإمامان من آل بوسعيد

في عام ١١٥٦ هـ الموافق ١٧٤٣ م فقدت قبيلة اليعاربة نهائيا سيطرتها على الامامة وظهر على المسرح ممثل لقبيلة أخرى وسرعان ما ظفر لنفسه بأعلى مراتب الشرف في الدولة . وكان آل بو سعيد حتى ذلك الوقت قبيلة صغيرة من الهناوية غير ذات شأن تسكن داخل عمان ، ومنذ ذلك الوقت أخذت تترك أثرها في تاريخ عمان ومسقط كذلك . وقد برهن أحمد بن سعيد من آل بوسعيد على انه امام مقتدر جدا حتى ان ابنه سعيد — وان كان نسيجا يختلف تماما عن نسيج أبيه — اختير خلفا له عقب وفاته في عام ١١٩٨ هـ الموافق ١٧٨٣ م .

في عهد سعيد بن أحمد ، الذي استمر حكمه ولو بالاسم من عام ١١٩٨ هـ الموافق ١٧٨٣ م الى عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، استطاع كبار آل بو سعيد الذين كانوا أقوى من امامهم الاسمي أن يحولوا اهتمامهم من المجال الروحي الى المجال الدنيوي ، ومن داخل عمان الى الساحل ، وغدت مسقط مركزا لهم . ولما مات سعيد في عام ١٢١٨ هـ أصبح أخوه سلطان الحاكم المفرد للبلاد ، غير أنه في العام الذي سبق وفاته في سنة ١٢١٩ هـ الموافق ١٨٠٤ م لم يبذل جهدا ما لعقد الامامة له . ومنذ ذلك الوقت لم يحاول الحكام المتحدرون من صلب آل بو سعيد أن يظفروا بتأييد ديني لسلطتهم ، وقنعوا بالارتكان الى ما لبيتهم من هبة وسعة ، والى القوة العسكرية التي تدين لهم ، والارتكان فيما بعد الى التأييد الذي ظفروا به من حلفائهم الانكليز .

وعندما استقروا فى مسقط ، وشغلوا أنفسهم بالشئون التجارية والبحرية.
فقدوا صلاتهم الى حد كبير بالداخل أى بالأرض التى فيها أنشئت
الامامة التى فيها ظل يقيم معظم رجالها ذوى النفوذ •

عمان والموحدون من أهل نجد

في أواسط القرن الهجرى الثانى عشر الموافق للقرن الميلادى الثامن عشر . ظهر فى نجد المصلح الدينى الشيخ محمد بن عبد الوهاب داعيا الى تطهير الاسلام من الأخطاء والشوائب التى كانت قد تسلت الى شعائر الدين بمرور السنين . ورغبة فى توكيد العقيدة الأساسية للإسلام وهى التوحيد ، أطلق هو وأتباعه على أنفسهم اسم الموحدين . وكان جليا عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان الإصلاح الدينى لا ينجح الا قليلا فى أراض مفتقرة الى الاستقرار السياسى والاجتماعى ، ولذلك أخذ يبحث عن حليف يساعده فى الوصول الى الاستقرار عن طريق تحقيق الوحدة فى الجزيرة العربية كلها . ولما عثر على ضالته المنشودة فى محمد بن سعود ، الذى كان أميرا لبلدة صغيرة تقع فى وادى خفيفة ، بدأ آل سعود لأول مرة يتقدمون الى وسط المسرح فى التاريخ الحديث لجزيرة العرب .

فى خلال النصف الثانى للقرن الهجرى الثانى عشر ، شغل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود بتعزيز موقعهم فى قلب الجزيرة العربية . فلما حققت وحدة نجد ، أصبحت قوة الموحدين حرة فى السعى للتوسع فى اتجاهات أخرى . وقد توفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩٢ م بينما كانت حركة الموحدين تجتاز مرحلة التغلغل الى منطقة الحسا ، ثم تمتد الى سواحل الخليج الفارسى .

حوالى عام ١٢١٤ هـ الموافق ١٨٠٠ م كان الموحدون فى زحفهم

البرى قد بلغوا المداخل الغربية لعمان • وأول قاعدة استولوا عليها هي البريمى ، وقد ظلت هذه الواحة معقلهم الذى استخدموه من حين الى آخر فى أعمالهم الحربية فى عمان فى السنين السبعين التالية • ومن البريمى استطاعوا أن يتقدموا بسهولة بطول الساحل العربى^(١) : أو عبر الجبال صوب مسقط ، أو صوب داخل عمان مباشرة •

استمد الموحدون معظم قوتهم من غيرتهم على رسالتهم مما رفعهم الى مستوى يعلو عن مجرد كونهم غزاة عسكريين • وبمرور الزمن كسبوا لعقائدهم أنصارا كثيرين من أهالى الساحل العربى والظاهرة ، ويبدو أن قبيلتى بنى بو على وبنى راسب فى الشرق القصى اعتنقتا عقيدتهم جملة • وأبدى الموحدون كذلك مهارة فى ادارة الشؤون السياسية ، فكسبوا بين حين وآخر حلفاء من زعماء القبائل وأعضائها الذين كانوا لا يضرون عطفًا على عقيدتهم الدينية •

ومع ذلك فإن سياسة كسب الأنصار والحلفاء لم تكن دائما تعود على الموحدين بالخير فى نهاية الأمر وهذا صحيح بصفة خاصة فى حالة الحلف الذى عقدوه مع زعماء الساحل العربى وشعبه ، وقد اعتنق كثيرون منهم عقيدة الموحدين • فهذا الحلف نفسه هو الذى أثار معارضة الانكليز لتوسع الموحدين ، وكان الانكليز حينئذ يحرسون سبل التجارة البحرية التى كانت عرضة للسلب والنهب من المراكب القادمة من الساحل • فقد كانت القوة العسكرية البريطانية أكبر من كل قوة يمكن للموحدين أن يعتمدوا عليها فى هذا المسرح النائى ، ولعل هذا — أكثر من كل ما عداه — هو الذى حال دون أن يتمكن رجال نجد من اخضاع عمان اخضاعا تاما لهم •

(١) ان ما يسمى اليوم بساحل الصلح البحرى كان معروفا اذ ذاك باسم الساحل العربى أو ساحل القراصنة • والاسم الاخير مقتبس من أن السكان كانوا يسطون على التجارة المارة بمجارى الخليج الفارسى •

لم يوافق الاباضيون الذين يعيشون في الداخل تماما على بعض تعاليم الموحدين النجديين ، وساعدت المنازعات الدينية التي ترتبت على هذا في منع أهل عمان من الاتفاق فيما بينهم في معظم سنى القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للقرن الميلادى التاسع عشر . كذلك ساعد بقاء موحدى نجد هناك على اثاره الصراع القديم بين الغافرية والهناوية . وأهل عمان يعدون النجديين غافرية ولعل سبب ذلك أن معظم ما يلقونه من تأييد محلى مستمد من رجال هذه الفئة ، وبادر كثيرون من الغافرية الى العمل على نشر مبادئ الموحدين ، بينما عمل كثيرون من الهناوية بأقصى جهدهم على تضيق نطاقها واقصائها بعيدا .

فترة خلو مقعد الإمامة

ابتداء من ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م

عندما توفي سعيد بن أحمد الامام الثانى من آل بو سعيد فى عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، لم يحاول خلفاؤه من هذه القبيلة أن يناوؤا اعترافا بأنهم مرشحون للإمامة • وإن تطوع آل بو سعيد بالتخلي عن الإمامة لهو من الأسباب الرئيسية التى جعلت مقعد الإمامة يخلو ابتداء من عام ١٢١٨ هـ ويستمر خاليا حتى اختيار عزان بن قيس فى عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م •

كان لدخول سلطة الموحدين فى عمان شأن فى الحيلولة دون بعث نظم الحكم الاباضى القديم • أما الميل الى التفرقة — الذى كان سائدا فى عمان فعلا — فقد زاد بتلك القوة الجديدة الوافدة من الخارج • وأمام هذا الموقف ، لم يكن ثمة مخرج للاباضيين ، ما داموا يفتقرون الى زعماء موهوبين قادرين على تسوية الخلافات التى تفرق بين الناس ، أو زعماء ذوى نزعة حربية أو دبلوماسية بحيث يستطيعون مجابهة خطر الموحدين • وقد شق الاهتداء الى مرشح لمنصب الامام راغب فى أن يسد الثغرة فى المجتمع الاباضى أو قادر على سدها ، تلك الثغرة التى نشأت عقب تحول حكم آل بو سعيد الى حكم دنيوى •

سعيد بن سلطان والموحدون

عقيب ظهور موحدى نجد للمرة الأولى في عمان ، انضم الى رأيهم بدر بن سيف من آل بو سعيد وهو الذي أصبح أقوى أعضاء الأسرة الحاكمة عقب وفاة سلطان بن أحمد في عام ١٢١٩ هـ الموافق ١٨٠٤ م . وقد دامت سلطة بدر فترة وجيزة ، ففى عام ١٢٢١ هـ الموافق ١٨٠٦ م اعتدى سعيد بن سلطان عليه مفاجأة وقتله فصار خليفة لأبيه فعلا بعد أن كان خليفة له اسما وحسب . وبعد ما وجه سعيد هذه الضربة العنيفة الى الموحدين ، ظل يناصبهم العداء في خلال الخمسين عاما الباقية لحكمه . وحدث في بعض الأحيان أن رتب معهم صلحا قلقا ، لقاء دفع جزية لهم . وحدث في أحيان أخرى أن شن عليهم حربا سافرة . ولما كان سعيد مفتقرا الى القوة التى تمكنه من أن يقف بلا نصير أمام أسلحة الموحدين ، فقد اختار الوقوف الى جانب الانكليز الذين استنفزتهم آخر الأمر الاعتداءات الموجهة الى تجارتهم ، فاضطروا الى اتخاذ اجراءات تأديبية ضد حلفاء الموحدين على الساحل العربى . وفى عام ١٢٢٤ هـ الموافق ١٨٠٩ م تعاون سعيد مع الانكليز عندما جردوا حملة على رأس الخيمة وعلى مواضع أخرى . ولما لم تسفر هذه الحملة عن فعلها المطلوب ، عاد الانكليز — بمشاركة سعيد أيضا — الى رأس الخيمة في عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨١٩ م لاتخاذ اجراءات تأديبية خطيرة . وأدت حملة عام ١٢٣٥ هـ هذه الى القضاء على سلطة زعماء الساحل العربى ، وأدت بالتالى الى اخضاعهم للحماية البريطانية ، وان ظل بعضهم على اتصال بالموحدين ما دام لهم موطن قدم في عمان .

في عام ١٢٣٦ هـ الموافق ١٨٢٠ م زحف الانكليز بالاشتراك مع سعيد على أنصار الموحدين في الناحية الأخرى من عمان ، وهم بنى بو على في منطقة جعلان ، وقد برهن أعضاء هذه القبيلة — وهم من الذين تشيعوا أخيرا للموحدين — على أنهم خصم قوى فنى الانكليز وسلطان مسقط بهزيمة نكراء . فشن الانكليز حملة أقوى من الأولى في عام ١٢٣٦ هـ الموافق ١٨٢١ م رغبة في النقرة ، وكتب لهم في هذه المرة الفوز التام واطمأنوا الى القضاء قضاء شديدا وربما حاسما على تقدم الموحدين في قلب عمان .

في الأعوام الأخيرة من حكم سعيد ، وقف حياته الى حد كبير على شئون ممتلكاته الجديدة في زنجبار وشرق أفريقيا . وتحت حراسة مدافع السفن الحربية البريطانية^(١) واستعداد الانكليز لتمكينه من تثبيت أقدامه أمام كل زحف قد يقوم به الموحدون للقضاء على سلطته في مسقط ، قنع سعيد بأبعاد آل سعود عن أراضيهم بما كان يدفع لهم من جزية كلما اقتضى الأمر ذلك . أما أن الجزية لم تكن ضرورية دائما ، فمرجهه الى أن يصير آل سعود في خلال الأربعين عاما الأخيرة أو نحوها من حكم سعيد تعرض لتقلب عنيف . وأدى تدخل الدولة المصرية الجديدة تحت امرة محمد على باشا في شئون الجزيرة العربية الى تقويض قوة آل سعود والى تقويض نفوذ حركة الموحدين في عقر دارها في نجد وفي غيرها من المناطق كعمان . أما آل سعود فكانوا من القوة بحيث استطاعوا أن يبقوا على أنفسهم وأن ينقذوا شمسهم من الغروب الى الأبد ، والواقع أنه مرت فترات بدا فيها هذا الاحتمال كأنه شيء لا مهرب منه . وفي تلك الفترات

(١) كان لسعيد نفسه اسطول ذو مظهر يوحى بالقوة ، غير ان اهل الخبرة كانوا يرتابون كثيرا في قوته وجدواه .

كان سعيد قادرا على أن يتنفس بشيء من الحرية ، غير أن سياسته في مسقط لم تكن قط سياسة نشطة بحيث تنشئ سدا أمام الموحدين إذا حاولوا العودة الى الهجوم .

يكفى هنا أن نذكر مثالا واحدا على شراء سعيد لحصاته بالمال . وهو مثال مأخوذ من السنوات الأخيرة لحكمه . ففي عام ١٢٦٩ هـ الموافق ١٨٥٢ م أى قبل وفاته بأقل من أربع سنين ، عاد سعيد من مسقط الى زنجبار ، وبقي ابنه ثويني وراءه يتولى شئون الحكم بدلا منه . وكانت قوة آل سعود في صعود تحت زعامة فيصل بن تركي جد جلالة الملك عبد العزيز . وأرسل فيصل ابنه الأكبر عبد الله قائدا لحملة متجهة صوب البريمي ، ويقول موظف بريطاني عاصر تلك الحملة « انه جاء بوصفه حكما منصفا ليرفع الضرر الذي لحق بأبنائه (المشايخ) في عمان » . ولما عجز ثويني عن مقاومة زحف الموحدين ، أجريت مفاوضات « أسفرت عن عقد معاهدة تحالف هجومية ودفاعية بين السيد ثويني وعبد الله بن فيصل ، وبمقتضى هذه المعاهدة وافقت حكومة مسقط على أن تدفع للأمير النجدي جزية سنوية قدرها ١٢ ألف ريال فضلا عن أموال مستحقة تصل في جملتها الى ٦٠ ألف ريال ، على أن تقدم المؤن كالمعتاد . كذلك قطع الأمير النجدي على نفسه عهدا بأن يساعد (صاحب السعادة) في كل ساعة عسر ، وأن تظل تخوم الاقليمين كما كانت قبلا » (١) .

(١) عقدت هذه المعاهدة في أوائل فصل الصيف من عام ١٢٦٩ هـ الموافق ١٨٥٣ م .

سعيد بن سلطان والإنكليز

أشرنا قبلا الى الحملات الرئيسية التي حارب فيها سعيد بوصفه سلطانا لمسقط الى جانب الإنكليز ضد العرب في شرق الجزيرة • غير أن هذا المسلك لم يؤد بالطبع الى رفع هيئته أو هيبته أسرته في أعين الاباضيين في الداخل •

عزز سعيد علاقاته بالإنكليز كذلك بأن أنشأ صلات دبلوماسية معهم • ففي عام ١٢١٣ هـ الموافق ١٧٩٨ م كان أبوه سلطان بن أحمد قد وقع اتفاقا مع شركة الهند الشرقية يقضى بأن يفضل الإنكليز في المعاملات التي تتم داخل بلاده ويؤثرهم على الفرنسيين والهولنديين • وفي عام ١٢١٤ هـ الموافق ١٨٠٠ م وافق على أن « يعين رجل إنكليزي محترم من جانب الشركة الموقرة ليقوم على الدوام في ميناء مسقط ويكون وكيلا تتم عن طريقه جميع الاتصالات بين الدولتين » • وزادت صلة سعيد نفسه بالإنكليز ، وذهب الى أبعد من هذا في علاقته معهم ، ففي عام ١٢٣٧ هـ الموافق ١٨٢٢ م وافق في معاهدة عقدت على التعاون معهم في القضاء على تجارة الرقيق مع الأمم المسيحية ، وقد اتسع نطاق هذا التعاون في اتفاقات أخرى تالية • وسبق أن أشرنا الى معارضة الاباضيين في الداخل لكل تدخل في شئون تجارة الرقيق • وفي عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م وقع سعيد مع بريطانيا معاهدة تجارية جاء في نصوصها « ان رعايا صاحبة الجلالة البريطانية يمنحون الحرية الكاملة في الدخول والاقامة والمتاجرة والمور مع بضائعهم في جميع ربوع أراضي صاحب العظمة سلطان مسقط » • ومعنى ذلك ، ولو من حيث المبدأ ، أن تفتح أمام الأجانب مناطق يصر كثيرون من زعماء الداخل على ايصاها في وجوههم •

في عام ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٤ م ، أى قبيل وفاة سعيد ، تنازل
للملكة فكتوريا بدون مقابل عن جزائر خوريا موريا (Kuria Muria)
الواقعة قرب الساحل الشرقى لعمان ، « فتصبح ممتلكات لها أو لورثتها
أو لمن يخلفها » .

لا ينبغي التسليم بأن الانكليز كانوا يأخذون كثيرا من سعيد
بغير أن يعطوه في مقابل ذلك شيئا . فالواقع أن أهالى الخليج كانوا
مدينين لبريطانيا بصون السلام وحماية التجارة المشروعة . وسعيد نفسه
مدين لهم بما منحوه من معونة لتوطيد حكمه في مسقط وهى مستقرة
الرئيسى فى أرض مولده . فلم يكتفوا بأن حالوا دون أن يقضى الموحدون
على قوته ، بل كفوا له الأمن من تهديد أعداء آخرين . ويمكن اقتباس
بضعة أمثلة من تقرير أعده موظف بريطانى معاصر . ففى عام ١٢٤٥ هـ
الموافق ١٨٣٠ م « تعرضت سلامة مسقط للخطر فتدخلت الحكومة
البريطانية لانتقاذ المدينة » . وفى عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٤ م « كانت
الحكومة البريطانية العازمة على أن تصون حكومة سعيد وتحمى سلامة
ممتلكاته قد أرسلت قوة بحرية الى مسقط لتأييد الحكومة المحلية ولوضع
حد لخطط أعدائها ، وأرسل المعتمد البريطانى فى الخليج رسائل احتجاج
الى عدد من الزعماء الغزاة » . وفى عام ١٢٥٠ هـ الموافق
١٨٣٤ م « اتضحت ضرورة استخدام النفوذ البريطانى مرة
أخرى لوضع حد لخطط التوسع من جانب حمود بن عزان . . . وأبلغ
بأنه اذا مضى فى الاعتداء على أراضى سعيد نزل به عقاب باعتباره عدوا
للحكومة البريطانية » . وكان حمود بن عزان، الذى تحدى حكم سعيد
فى ذلك الوقت ، واحدا من ثلاثة سعى الاباضيون فى عام ١٢٦٢ هـ
الموافق ١٨٤٦ م لعقد الامامة لهم .

سعيد بن سلطان والدول الأجنبية الأخرى

عرف سعيد ، فضلا عن علاقاته ببريطانيا ، بعلاقاته الطيبة عامة مع الفرنسيين . وقد وقع معهم معاهدته الأولى في عام ١٢٢٢ هـ الموافق ١٨٠٧ م . عقب ارتقائه الحكم . وفي عام ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م عقدت معاهدة تجارية منحت الفرنسيين من حرية التنقل في جميع ربوع ممتلكات سلطان مسقط مثل ما منح الانكليز في عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م . وفي عام ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣ م عقدت معاهدة مودة وتجارة بين سعيد والولايات المتحدة وقد وقعها ادموند روبرتس Edmund Roberts في القصر السلطاني في مسقط ، فمنحت هذه المعاهدة « سكان بلدان الأمريكية . . . رخصة الدخول في أى بندر كان من بنادر جناب العاليجاه السيد سعيد ابن السيد سلطان حامى مسقط » . ونصت كذلك على أن « أهل يونيتت است سكان بلدان الأمريكية اذا أرادوا أن يصلوا الى أحد بلدان السلطان لأجل البيع والشراء فهم مرخصين ، وفي تنزيل أموالهم ليسوا بمعارضين واذا أرادوا أن يسكنوا فلا عليهم من جهة السكون شى ولا تسلوم شى بل يكونون مثل الطائفة اللى هى أقرب فى المود » . ونصت المعاهدة كذلك على أن « الكبير الذى فى يونيتت استيت ربما يجعل انسانا وكيلا فى احدى بلدان السلطان الذى فيها البيع والشراء »^(١) . وهذه المعاهدات وغيرها مما عقد فيما بعد ، منحت

(١) أوردنا هذه النصوص من صور شمسية للوثيقة الأصلية دون أى تغيير فى الأسلوب العربى الركيك ، وعلينا أن نلفت النظر الى عدم التنسيق التام بين النص العربى والنص الانكليزى للمعاهدة .

سلطان مسقط منزلة خاصة اذا قوبل بزملائه الحكام على سواحل جزيرة
العرب الخاضعين للحماية البريطانية * فقد كان ولا يزال ، على النقيض
منهم ، حرا في أن ينشئ علاقات مع دول أجنبية دون الحصول على موافقة
الحكومة البريطانية *

محاولة غير ناجحة لبعث الإمامة

١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م

في عام ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٦ م بذلت أهم المحاولات لبعث الإمامة في الفترة التي كان فيها سعيد سلطانا لمسقط ، وقد كان ذلك عندما اجتمع في الرستاق في الجبال ممثلو الاباضيين من جميع أنحاء عمان لاجراء الانتخاب . وقد وصلوا الى اتفاق ثلاث مرات ، غير أن الرجال الثلاثة الذين اختيروا لمنصب الامام تنحوا عنه . ومن هؤلاء الثلاثة حمود بن عزان من آل بو سعيد ، وهو عم عزان بن قيس الذي أصبح فيما بعد الامام الوحيد المنتخب في أثناء القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للقرن الميلادى التاسع عشر . ومن الزعماء الذين جاهدوا في الاهتداء الى امام جديد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي جد الامام الحالى . وكان الشيخ سعيد هذا عالما دينيا مشهورا ومؤلف عدد من الكتب وقد ارتفعت منزلته في أيام الامام عزان .

ثوينى بن سعيد سلطان مسقط

١٢٧٣ - ١٢٨٢ هـ ١٨٥٦ - ١٨٦٦ م

عقب وفاة سعيد بن سلطان فى عام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ م ، خلفه ابنه ثوينى حاكما لمسقط ، وابن آخر له اسمه ماجد حاكما لزنجبار . وحذا ثوينى حذو أبيه فى توجيه نظره الى جنوب خط الاستواء اثر استقراره فى مسقط ، وكان يطمح فى أن يجرّد أخاه من نصيبه فى الميراث . ومع أن ثوينى كان يركّز اهتمامه فى زنجبار ، فإن الاباضيين فى الداخل لم يكونوا قد اتحدوا اتحادا كافيا ، ولم يكونوا قد وهبوا زعماء متحمسين حماسة كافية بحيث يحسنون انتهاز الفرصة . وفى أثناء حكم ثوينى ، لم تبذل محاولة جدية ما لاختيار امام جديد .

وأخيرا عرض النزاع بين الأخوين فى مسقط وزنجبار على اللورد كانق Canning نائب الملك فى الهند ليكون حكما ويحول دون لجوئهما الى الحرب . وفى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م أصدر اللورد حكمه وهو يقضى بأن يبقى ثوينى حاكما لمسقط وماجد حاكما لزنجبار والممتلكات الافريقية لآل بوسعيد ، ولكن على الأخير أن يدفع اعانة سنوية قدرها ٤٠ ألف ريال « الى حاكم مسقط لأجل تنازله عن جميع مطالبه فى زنجبار ، ولتحقيق المساواة بين الميراثين » لأن أراضى ماجد اعتبرت أغنى بكثير من أراضى ثوينى . ووجه اهتمام الى حقيقة جليلة وهى أن حكومة مسقط كانت حينذاك تدفع جزية سنوية قدرها

٢٠ ألف ريال^(١) الى موحدى نجد ، أى ما يعادل نحو سدس تقدير الدخل السنوى لمسقط .

لما فصلت زنجبار عن مسقط بمقتضى هذا الحكم ، اتسع المجال أمام ثوينى لتعزيز موقفه فى عقر داره مع احتمال توسيع نطاق اشرافه فى الداخل ، غير أنه وجد فى تحقيق هذا عقبة منشؤها الشقاق فى داخل أسرته الخاصة . ذلك أن أخا له أصغر منه ، واسمه تركى ، وهو حاكم على ميناء صحار ، لم يعجبه حكم كائنق الذى لم يجن منه شيئا لنفسه ، فبدأ يثير الاضطرابات أمام ثوينى أملا فى أن يخلفه سلطانا لمسقط . ويبدو أن الموحدين المستقرين فى عمان ، ولهم قاعدتهم فى البريمى ، اشتبكوا فى المنافسة بين الأخوين ، ولكن لا تعرف تماما حقيقة الحال .

وعلى النقيض من الموقف الذى ذكر آنفا ، نجد دور الموحدين واضحا جليا فى المنازعات التى جابهها ثوينى مع عضو آخر من أعضاء بيته هو عزان بن قيس بن عزان بن قيس ، وكان قيس الأخير أخا لسلطان جد ثوينى . وكان عزان يومئذ يمتلك مدينة الرستاق وحصنها ، فحاصره ثوينى فيها . ومع أن عزان بن قيس برهن عندما أصبح اماما فيما بعد على أنه عدو لا يرتعد أمام الموحدين ، فانه لجأ فى هذه السانحة الى معوتهم فبادروا الى نجده . ولما رفع الموحدون الحصار المفروض على الرستاق ، زحفوا صوب الجنوب الشرقى الى الشرقية حيث أقحموا أنفسهم فى الشئون الداخلية لقبيلة آل وهبة وجددوا اتصالهم بقبيلة

(١) حدد اتفاق عام ١٨٥٣ المبلغ السنوى باثنى عشر ألف ريال . وتقول مصادر انكليزية حررت بعد هذا الاتفاق بسنتين أو ثلاث سنوات ان حاكم مسقط كان يدفع الى حاكم نجد مبلغ ٢٠ ألف ريال سنويا منه ١٢ ألف ريال لحساب مسقط و ٨ آلاف ريال لحساب صحار .

بنى بو على ، تلك القبيلة التي اعتنقت عقيدتهم من نحو نصف قرن مضى . وقد بلغت الحملة في الشرق ذروتها عندما اشتركت قوات الموحدين مع أعضاء قبيلة الجنبه المقيمين في صور للهجوم على تلك المدينة في النصف الأول من عام ١٢٨٢ هـ الموافق لأغسطس ١٨٦٥ م . وثار سخط الانكليز على الاعتداءات التي وجهت الى الرعايا البريطانيين من الهنود في صور فحاولوا عبثا أن ينالوا ترضية من أمير الرياض ، ولهذا ضرب المركب البريطاني « هايفلاير » Highflyer بقنابله قلاع الموحدين في القطيف والدمام في النصف الأخير من عام ١٢٨٢ هـ الموافق لفيبرابر ١٨٦٦ م واتخذت اجراءات تأديبية كذلك ضد الجنبه في صور .

وفي الوقت الذي هاجم فيه الموحدون الشرق ، عمدت الحكومة البريطانية ، على حد قول أحد موظفيها ، الى « تشجيع ثويني على مقاومة اعتداء الوهابيين بأقصى ما تسمح به قوته » . وحاول الشيخ صالح بن علي الحارثي ، وهو من أوسع رجال الهناوية نفوذا في شرق عمان ، أن يقنع بدوره السلطان بأن يزحف على الموحدين . وهذا هو عين الشيخ صالح الذي لعب عقيب ذلك دورا هاما في انتخاب امام جديد ، وهو الذي كان في السنوات الأخيرة من حياته متعبه لغير واحد من سلاطين مسقط . ولما اقتنع ثويني آخر الأمر بأنه يجب القيام بعمل مضاد للموحدين ، أخذ يتأهب ويستعد . غير أن حملته كتب عليها أن لا تجرد ، لأنه وهو نائم في ميناء صحار في احدى ليالى النصف الأخير من عام ١٢٨٢ هـ الموافق لفيبرابر ١٨٦٦ م تسلل نجله الأثير سالم الى مكانه وقتله . فقد استبد الطموح بسالم وحده الى قتل أبيه ، ولم يضيع بعد ذلك وقتا فنصب نفسه خلفا لضحيته سلطانا لمسقط .

سالم بن ثويني سلطان مسقط

١٢٨٢-١٢٨٥ هـ ١٨٦٦-١٨٦٨ م

لما رأى سالم في الموحدين مصدرا محتملا لتأييد النظام الجديد في مسقط ، ألغى خطط والده التي كان يدبرها ضدهم . واعترف عزان بن قيس في الرستاق ، الذي ما زال صديقا للموحدين ، بأن سالما حاكم زميل له ، وانضم اليه في زمالة سرعان ما تفككت عراها .

وقبل هذا ، كان الموحدون قد صار لهم زعيم جديد لأن فيصل بن تركي الرجل الضريع المسن ، وهو جد جلالة الملك عبد العزيز ، توفي في أواسط عام ١٢٨٢ هـ الموافقة لأواخر عام ١٨٦٥ م وخلفه عبد الله أكبر أنجالة . وفي أواخر عام ١٢٨٢ هـ الموافقة لابريل ١٨٦٦ م أوفد الأمير الجديد محمد بن عبد الله آل مانع رسولا الى المعتمد البريطاني في أبو شهر وقدم الرسول الى المعتمد بيانا مكتوبا لم نجد له حتى الآن سوى الترجمة الانكليزية الرسمية . وبعدما أعرب الرسول عن رغبة الأمير عبد الله في مصادقة الانكليز ، وأكد في بيانه للمعتمد نيابة عن الأمير « انه لن يضر أو يعتدى على أراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية . . . ولن يتجاوز تسلم الزكاة^(١) التي جرى عليها العرف من قديم الزمان » وذكر الرسول بالتحديد أن هذا التعهد يشمل بوجه خاص « مملكة مسقط » .

(١) يبدو أن ابن مانع كان يعنى الجزية التي أشير اليها غير مرة قبلا ، ولم يكن يعنى فريضة الزكاة الاسلامية التي يؤديها المسلمون الى حكومتهم .

لم تطل فترة العلاقات الطيبة بين الموحدين ومسقط ، تلك العلاقات التي مهدت سبيلها هاته التحولات . ومن أسباب ذلك أن العرش الذي كان سالم يجلس عليه ، كان بعيدا عن الاستقرار . وثمة سبب آخر ، وهو أن قوة جديدة كانت توشك أن تنبثق في عمان فلا تلبث حتى تغير الموقف تغيرا شاملا سريعا .

كان تركى بن سعيد ، وهو عم سلطان مسقط الجديد ، قد فكر في خلع أخيه ثوينى ، وما هو الآن يهم بخلع ابن أخيه سالم . ولما زار تركى الشرقية ، استمال لدعوته عددا من أقوى قبائل الهناوية في تلك المنطقة ، غير أن نجاحه لم يتم لأن صالح بن على الحارثى ظل ممتنعا عن الاشتراك معه . وكان صالح قد والى ثوينى بن سعيد عندما كان سلطانا وهو الآن يقف مواليا الى جانب سالم نجل ثوينى . وقد قام تركى وحلفاؤه الهناوية في عام ١٢٨٣-١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٧٦ م على سالم في مسقط ، بغير أن يظهر بمعونة صالح . وكان في وسع تركى اذ ذاك أن يكسب الموقف لو لم يتدخل الانكليز ويقنعوه بأن يقبل النفي الاختيارى في الهند مع منحه راتبا من ابن أخيه السلطان .

ومع أن سالما كان مدينا ببقائه للانكليز بوجه خاص ، ثم لصالح بن على ، فانه لم يكن حافظا لجميل صالح ، بل انه على النقيض من ذلك ، ذهب الى حد تدبير مؤامرة لايقاع صالح في قبضة يده وجعله خاضعا خضوعا تاما لسلطته . ولكن صالحا وجد تحذيرا من هذه المؤامرة ، فاستطاع أن ينجو في اللحظة الأخيرة . وقد أصبح الآن مفتوح العينين الى عقم السياسة التي ما اثكك ينتهجها للتعاون مع سلطان مسقط . والواقع أن زوال الوهم عن صالح ، مهد الطريق لانتخاب عزان بن قيس اماما .

وكان أول عمل قام به صالح ضد حليفه السابق ، هو أن يحرض
واليا من ولاية السلطان على العصيان • وقد استعان سالم بتركي السديري
قائد الموحدين في البريمي الذي اجتمع معه في بلدة بركا على ساحل
خليج عمان • كذلك أتى سالم برجال من القبائل الهناوية من الجنوب
الشرقي غير أنه كان قائدا ضعيفا مترددا فلم يقو على الوصول الى
نتيجة حاسمة •

إمامة عزان بن قيس

١٢٨٥ - ١٢٨٧ هـ ١٨٦٨ - ١٨٧١ م

كان صالح بن علي ، الزعيم الأكبر لقبيلة الحرث الهناوية في الشرقية، قد تلقى العلم على العالم الديني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى . ولما خاب رجاؤه في أن ينشئ السلطان سالم في مسقط حكومة عادلة مستقرة ، جرت مكاتبات بين صالح وأستاذه القديم ، وبحث معه ما يتعين عمله . وقد اتسع نطاق نشاطهما وهما يبحثان معا مشروعاتهما درجة درجة . فكتب العالم رسائل الى الرجال البارزين في شرق عمان ، بينما أشار صالح الى زعيم قبيلة بنى بوحسن الهناوية الباسلة في جعلان بأن السلطان يستخدم بين قواته عددا من الموحدين ومنهم أعضاء من قبيلة بنى بو علي الأعداء القدامى لبنى بو حسن . فاقترح الشيخ سعيد الخليلى في رسالة الى عزان بن قيس من آل بوسعيد ، وهو سيد الرستاق، عقد اجتماع في بلدة بركا على الساحل .

زار نحو عشرين من الزعماء الدينيين للقبائل صالحا ، ثم ذهبوا لمقابلة الخليلى في سمايل حيث انضم اليهم فيما بعد صالح ورفاقه ، وسار عزان على رأس فصيلة صغيرة من الفرسان من الرستاق واستولى على بركا في أواسط عام ١٢٨٥ هـ الموافقة لخريف ١٨٦٨ م ، ثم تريت قليلا حتى تقدم أعوانه من سمايل الى مطرح وهي مدينة متاخمة لمسقط . لما استسلمت حامية قلعة مطرح لصالح وللخليلى ، غادر عزان بركا وعجل بالانضمام اليهما لمهاجمة مسقط في شهر جمادى الآخرة عام ١٢٨٥ هـ

الموافق لأكتوبر ١٨٦٨ م ، وقد سقطت المدينة على الفور ، غير أن القلعة صمدت أسبوعاً . وكان الكولونل لويس پلى Lewis Pelly ، المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى ، فى الميناء فى ذلك الوقت ، فاتخذ الخطوات اللازمة لنصرة السلطان سالم . غير أنه أخفق فى اعتراض سبيل الائتلاف المظفر . وبينما كان الكولونل پلى يرقب الموقف عن كثب ، تلقى تعليمات من السلطات البريطانية فى الهند بأن يتجنب استخدام القوة فى تأييد السلطان . ولما تبين السلطان سالم أن الدفاع لا يبعث على الأمل ، فر من مسقط باحدى سفنه الخاصة واسمها « پرنس أف ويلز » Prince of Wales .

انضم الى الظافرين فى مسقط محمد بن سليم الغاربى ، وهو زعيم بارز وعالم من أهل الباطنة . وعقدوا هنالك اجتماعاً كبيراً بغية انتخاب امام ، وشهد الاجتماع رجال الدين وزعماء القبائل وكثيرون من العامة واشتركوا جميعاً فى مراسمه . وهيمن على الاجتماع الشيخ الخليلى وصالح بن على ومحمد الغاربى ، الذين ألقى اليهم زمام السيطرة على شئون الدولة فى الامامة المنبثقة . وقد وقع اختيار المجتمعين على عزاز ابن قيس من آل بو سعيد . ويقول السالمى المؤرخ الاباضى ان عزازا اختير لا لأنه كان أعلى المرشحين صفات ، بل « لكونه من بيت السلطنة وتفرسوا فيه صدق اليقين وقوة الايمان وعزيمة الصبر وشدة الوفاء وحسن الاتباع وغاية الورع » . ويضيف المؤرخ الى ذلك قوله « فصدق الله فيه ظنهم وقام بما حملوه من الواجبات ... حتى ذهبت فى سبيل الله روحه » .

بايع الشعب الامام الجديد فى شهر جمادى الآخرة عام ١٢٨٥ هـ الموافق لأكتوبر ١٨٦٨ م وأطلقت المدافع احتفاءً بهذه المناسبة . وقد عثر على نص البيعة بين أوراق الشيخ سعيد الخليلى وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ونصبتك اماما علينا وعلى
الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لاتعقد راية
ولا تنفذ حكما ولا تقضى أمرا الا برأى المسلمين
ومشورتهم ، وقد بايعناك على اتقاذ أحكام الله تعالى
واقامة حدوده وقبض الجبايات واقامة الجمعيات ونصرة
المظلوم واغاثة الملهوف وأن لا تأخذك في الله لومة لائم،
وأن تجعل القوى ضعيفا حتى تأخذ منه حق الله والعزير
ذليلا حتى تنفذ فيه حكم الله ، وأن تمضى على سبيل
الحق أو تفنى روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله
وميثاقه لنا ولجميع المسلمين •

ويقول المؤرخ الاباضى فى الاشارة الى هذه البيعة ان هذه الشروط
« هى شروط يشترطها المسلمون على الامام الضعيف كى لا يدخل فى أمر
لا يسعه الدخول فيه » •

وعقب الانتخاب أرسل كتاب من الخليلى الى الاباضيين فى المغرب
يبلغهم هذا الحدث • واعتزم أحد علماء الدين فى المغرب أن يزور عمان
ليجتمع بالامام الجديد ، غير أن الامامة انهارت قبل وصوله •

لما ذاعت أنباء الانتخاب فى عمان ، جاء زعماء القبائل الذين عجزوا
عن شهود مراسمه لكى يبايعوا الامام • وعين الامام الجديد ولاية وقضاة
لجميع المدن الرئيسية فى الدولة ، وأخضعت لسلطة الامام منطقة الباطنة
التي كانت قد ظلت زمنا طويلا تحت حكم سلاطين مسقط أو غيرهم من
حكام آل بوسعيد •

بايعت الامام جماعة من زعماء الغافرية . غير أنه لما مانت الحكومة الجديدة الى الاصطباغ بصبغة هناوية ظاهرة ، ظلت بقية الغافرية متمتعة عن موالاتها . وقد ثارت احدى قبائل الغافرية على الامام ، فكان لا معدى عن القيام في شهر شوال عام ١٢٨٥ هـ الموافق لفربراير ١٨٦٩ م بحملة عسكرية لقمع هذا العصيان . وكان من نتيجة هذه الحملة أن هرب اثنان من زعماء الغافرية من أراخى الامامة وانضما الى سالم : السلطان السابق الذى كان يتأهب لاسترداد ملكه .

- وفى ذلك الوقت أرسل الامام ابن عمه فيصل بن حمود بن عزان مع فصيلة صغيرة من الرجال الى شرق عمان . ثم اتجهوا صوب جعلان وصور وجمعوا معلومات عن الحالة العامة في أثناء سيرهم . وفى كل مكان عسكروا فيه ، أقبل الناس ليبايعوا الامام . وفى جعلان مكث فيصل في بلاد بنى بوحسن ، وهى مركز للهاوية ، غير أن زعيم قبيلة بنى بوعلى الغافرية زاره وأعرب له عن رغبته في أن يكون على صلات طيبة مع الامام .

تشاور زعماء حكومة الامامة لتقرير ما ينبغى فعله بصدد أموال أفراد آل بو سعيد الذين لم يكونوا منضمين الى صفوف الحركة الجديدة ، وقال الشيخ الغاربي انه يجب ألا تصدر الا أموال المتوفين من أعضاء الأسرة ، غير أن الشيخ الخليلي رأى أنه يجب الاستيلاء حتى على أموال الذين ما زالوا على قيد الحياة ، وقد أيد هذا الرأى صالح بن على فكتبت له الغلبة . وتتألف الأموال التى صودرت من الأشياء التى جمعت كجبايات ولكنها لم تستخدم لمصلحة الذين دفعوها . وعقب مصادرتها وضعت في بيت المال الاباضى للاتفاق منها على شئون الدولة ورعاياها . ان ما أوردناه فيما سلف ، يكفى لتبيان أن انشاء الامامة انطوى

على أكثر من مجرد تحويل السلطة من عضو في الأسرة الحاكمة الى عضو آخر . فالواقع أنه كان انقلاباً قائماً على مبدأ العودة الى النمط القديم في حكم البلاد . غير أن ممثلي الأسرة الحاكمة في مسقط الذين أقصوا عن البلاد ، لم ييأسوا من استرداد مقامهم . وأبى الانكليز أن يعترفوا بنظام الامامة الجديد ، ويقال ان سبب ذلك ربما كان ما أبداه زعماء الدين الاباضيون من عدم تسامح ، وعداؤهم للأجانب قد ورد ذكره غير مرة . وحتى لو لم يستحث الانكليز سالما السلطان السابق ، فانهم على الأقل لم يضعوا عقبات مستعصية في طريقه عندما عاد الى جزيرة العرب نازلاً الى دبی على ساحل الصلح البحري .

لم يضع سالم وقتاً في الاتصال بحليفه القديم تركي السديري قائد الموحدين في البريمي . وفي شهر رمضان عام ١٢٨٥ هـ الموافق ليناير عام ١٨٦٩ م كتب السديري الى سالم يقول :

تلقيت كتابك وفيه تقول ان الحكومة الانكليزية
منعت جميع الأعمال البحرية ، ولكن الأعمال لا تزال
مباحة على البر ، وعندى معدات كثيرة فأرجوك أن
تواصل الحرب ، فاذا كان لديك العون الذي كتبت لك
عنه ، فانضم الي^(١) .

كان من أعضاء الائتلاف الذي أنشأه سالم والسديري ، سيف بن سليمان زعيم قبيلة بنى ريام الغافرية الذي فر من أراضى الامامة عقب نشوب الخلاف بين بعض الغافرية والامام . وسيف هذا هو الجد الأكبر لأمير الجبل الأخضر الحالي .

(١) لم نظفر بالنص العربي الاصلی لهذا الكتاب ، والنص المدون هنا هو مترجم عن الترجمة الانكليزية التي عملت تحت اشراف الموظفين الانكليز المعاصرين في منطقة الخليج الفارسي .

استيلاء الامام عزان على البريمي

صيف ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م

في صيف عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م كسب الامام عزان بن قيس ما ثبت أنه أكبر كسب له عقب احتلال مسقط ، وهذا هو استيلاؤه على البريمي من موحدى نجد . وفي فصل الربيع تبين أن الموقف يعرض الامامة للخطر لأن سالما ، سلطان مسقط السابق ، نزل الى ساحل الصلح البحرى ، وتعاون تركى السديرى قائد الموحدين فى البريمي معه فى انشاء ائتلاف من الزعماء المحليين لمحاربة الاباضيين فى الداخل . غير أنه حدث فى شهر ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ الموافق لابريل عام ١٨٦٩ م أن قتل تركى السديرى فى أثناء اشتراكه فى تنظيم شئون القواسم فى مدينة الشارقة . وخلفه أخوه عبد الرحمن ، غير أن خسارته جاءت صدمة لم يستطع ائتلاف سالم أن يفيق منها . أضف الى ذلك أن قوة الموحدين فى ديارهم نجد كانت اذ ذاك تهتز بفعل عصيان سعود ، النجل الثانى لفیصل ، على أخيه الأكبر الأمير عبد الله . وكانت لعبد الله اليد العليا وقتنا ما ، ولكن كان عليه أن يحصر اهتمامه فى هذا الخطر الذى يهدد تفوقه واستعلاءه .

بعد وفاة تركى السديرى بأيام ، جاء من مصدر بريطانى أن زايد ابن خليفة حاكم أبو ظبى ألح ، فيما قيل ، على عزان فى أن «يتقدم بلا ابطاء الى البريمي ويستولى على الحصن بنفسه» . ووصف المصدر عينه عزانا بأنه «رجل متحمس فطن مقاتل» ، وتحدث عن عزان والشيخ الخليلى

فقال انهما « ليسا من الرجال الذين يسمحون للعشب بأن ينمو تحت أقدامهم » . كذلك تلقى الامام عزان التماسا من زعيم آخر من زعماء القبائل في الشمال الغربى طالبا منه أن يتدخل في البريمى ، فجاء الى الباطنة محمد بن على ، رأس قبيلة نعيم الواسعة النفوذ في منطقة البريمى ، وأبلغ الغاربى ، وهو أحد الثلاثة الذين يحكمون الامامة ، رغبته في أن تحل قوات الامام محل الموحدين . ولما حدث الهجوم على الواحة ، لعب رجال قبيلة نعيم الذين يعرفون أسرار الدفاع فيها دورا هاما الى جانب الامام .

يقال ان عبد الله بن فيصل ، أمير الموحدين ، أرسل قبل هذا الوقت وفدا من الرياض الى الامام عزان ومعه جواد وثيقة كهدية ، وأرسل كذلك كتابا يطلب فيه المبادرة بدفع الجزية التى اعتاد الموحدون أن يتلقوها من مسقط . فقبل عزان الجواد والناقة ، ولكنه بعد مشاورة الشيخ الخليلى أبى أن يرد على طلب دفع الجزية .

فى شهر ربيع الثانى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لىونيه ١٨٦٩ م ظهر الامام وجيشه تجاه البريمى تؤيدهم قبيلة نعيم . وبعد بضعة أيام وافقت حامية الموحدين على الاستسلام ومنحت الأمان ، ثم سمح لأفرادها بأن يأخذوا معهم جيادهم وابلهم ومعداتهم . وبقي الامام فى البريمى بعض الوقت ينظم ادارة هذه المنطقة لتكون متجانسة مع النظام الذى يطبق فى المناطق الأخرى للامامة .

عند عودة الامام من البريمى الى داره فى الرستاق ، احتل بلدة ضنك وبعض المدن الأخرى وعين رجلا من زعماء الغافرية واليا لمنطقة الظاهرة بأسرها .

إخضاع الداخل للإمامة

١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م

مع أن البريمي سقطت في أيدي الامام عزان ، فان سالما السلطان السابق ذهب في أواخر صيف عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م يوغل في الداخل أملا في كسب تأييد القبائل المقيمة هناك التي تعادى النظام الجديد ، وفي شهر جمادى الأولى الموافق لأغسطس بلغ بركة الموز ونزوى الواقعتين في ظل الجبل الأخضر . ولم تكن نزوى ، وهي العاصمة الحالية للإمامة ، خاضعة اذ ذاك للإمام وكان يحكمها رجل مستقل من آل بو سعيد . ولما لم يصادف سالم النجاح الذي كان ينشده في نزوى اتجه الى حيث تقيم قبيلة آل وهيبة ، وعند ما أعرب أعضاء القبيلة عن رغبتهم في نصره قضية سالم ، أرسل الامام ابن عمه فيصل بن حمود ليقف ضدهم . فسرى الرعب في قلب سالم على الرغم من قوة حلفائه الجدد وعلى الرغم من اتساع أراضيهم ، فانفض عنهم . وهكذا انتهت آخر محاولة جدية قام بها سالم ليسترد عرشه في أثناء امامة عزان بن قيس .

عاد الفضل الأول في بعث الامامة الى عناصر من الاباضيين في الداخل ، بيد أن أول نصر لها تحقق في مسقط ، وفيها تم انتخاب الامام ، وأصبحت الرستاق ومسقط المركزين الرئيسيين للإمام في خلال الشطر الأول من حكمه . ثم شرع الامام في أن يخضع لشرافه القبائل والمدن الداخلية التي لا تزال مستقلة ، وذلك عقب استيلائه على البريمي .

تمكن الامام باتخاذ اجراءات تأديبية ضد قبيلة بنى شكيل الغافرية
الثائرة ، أن يستولى على حصن بهلا العظيم فى عمان الوسطى ، واستطاع
بتجريد حملة بقيادة صالح الحارثى أن ينتزع من القبيلة نفسها بلدة
منح • واحتل ابراهيم بن قيس ، أخو الامام ، مدينة أركى وحصنها فى
عمان الوسطى ، ثم شدد ابراهيم نكيره على نزوى التى يباهى بها السالمى
المؤرخ الاباضى فيصفها بأنها « بيضة الاسلام وكرسى مملكة العرب » •
فبايع أهل نزوى الامام ، غير أن الحامية فى الحصن ، وهو من أكثر
حصون عمان كلها منعة ، أبت أن تمتثل • فاستنجد ابراهيم بسيف بن
سليمان رئيس قبيلة بنى ريام ، واستطاعا معا أن يخضعا الحصن • وكان
سيف ، وهو الجد الأكبر لأمير الجبل الأخضر الحالى ، قد وقف قبل
بضعة أشهر موقف المؤيد للسلطان السابق سالم ، ضد الامام • وإذا كان
قد أبدى حينئذ ولاء للامام ، فإن أجل هذا الولاء كان قصيرا •

بيد أن هذا النجاح فى وسط عمان ، عكسته الى حد ما التطورات
التي حدثت فى الجنوب الشرقى ، حيث ثارت قبيلة بنى بو على القوية ،
وأعضاؤها موحدون وأنصار قدامى للسلطان السابق • ولم يسبق لهذه
القبيلة أن هزمت فى عقر دارها الا فى خلال الحملة البريطانية فى عام ١٢٣٦ هـ
الموافق ١٨٢١ م ، غير أن الامام لم يتردد فى الزحف عليها • واختيرت
بديّة فى الشرقية مكانا لالتقاء القوات ، وذهب الامام بنفسه من نزوى
اليها • ومن بديّة قاد الجيش الى بلاد بنى بو حسن وهم الأعداء الهناوية
لبنى بو على • وكانت القوات التى رتبها الدولة بادية البأس حتى أن
بنى بو على استسلموا بدون أن يقاتلوا قتالا جديا • وأرسل الامام
الزعماء الثائرين الى السجن بمسقط ونسف حصونهم وعين واليا جديدا
 للمنطقة • وفى شهر شعبان عام ١٢٨٥ هـ الموافق لنوفمبر ١٨٦٩ م كان

اخماد الثورة قد تم ، غير أن الرجال المسؤولين في حكومة الامامة لم يرضوا جميعا عن كيفية معالجة الامام للموقف • فأرسل الشيخ الخليلي الى الامام كتابا انتقده فيه على ترفقه في معاملته للعصاة ، فرأى الخليلي أنه كان يجب ابادتهم وبذلك يزول الخطر عن الدولة زوالا تاما شاملا • وقد حدث في النهاية ، كما يبدو من تطور الحوادث ، أن جاء سقوط الامام على أيدي رجال من بنى بو على •

خشية هجوم الموحدين على عمان

شتاء ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م

عقيب استيلاء الامام عزان بن قيس على البريمي كتب موظف بريطاني
في الخليج الفارسي قائلاً :

الواقع ، اذا كان لى أن أعرب عن رأيي ،
انه عندما يعلم الأمير الوهابي أن معقله في البريمي
قد استولى عليه عزان بتأييد قبيلة نعيم ، فانه من المعقول
أن نفترض أن صاحب العظمة الأمير سيقوم بأعمال
انتقام من أولئك الذين ازدروه عندما كان معقله واهنا .

وفي شهر جمادى الأول عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأواخر أغسطس ١٨٦٩ م
كتب المعتمد البريطاني في الخليج يقول :

ان الحالة الوحيدة التي لا تدعو الى الرضا ،
هى عدم استقرار الأمور في مسقط ، والخشية من
حدوث صدام بين تلك الدولة والأمير انوهابي .
غير أنه لما كانت سياسة حكومة جلالة الملكة فيما يتصل
بمسقط هى سياسة عدم التدخل اطلاقاً ، وحيث اننا
لا نعترف بالحكومة الحالية القائمة على الأمر الواقع
في تلك الدولة ، فمن الطبيعي أن سلطتى لا تخولنى
أن « أحاول » تسوية المنازعات بين مسقط والوهابيين .
فاكتفى بمنع الوهابيين من الخوض في أعمال بحرية .

وبعد بضعة أيام قال حاكم دبي على ساحل الصلح البحري لموظف بريطاني آخر ان أهل البريمي يؤثرون عبد الله ، أمير الموحدين ، على عزان ، امام الاباضيين ، وانه اذا جاء عبد الله بنفسه أو اذا أوفد مندوبا عنه ، فان جميع الأحزاب في البريمي ستناصر قضيته . فصرى اعتقاد حينئذ بأن عبد الله ينتظر حلول البرد لكي يزحف عبر الصحارى صوب عمان .

ظل أهل عمان يعيشون معظم فصل الشتاء عام ١٢٨٦ هـ وهم في خشية من هجوم الموحدين . ونقل الامام الى الشيخ الخليلى ما ترمى الى سمعه من استعدادات حربية في نجد ، وطلب مشورته في جباية أموال لغرض الدفاع ولاسيما لأن خزانة الاباضيين نضبت أمام كثرة ما أنفقته الدولة لتعزيز جانبها . فرد عليه الخليلى بأن سمح له بعقد قرض من رعايا الدولة ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بالقوة ، وكتب الى الامام قائلاً :

... قم على بركات الله تعالى بجنود المسلمين من الشرقية والباطنة وغيرها قبل وقوع الخلل في البريمي واذا وصل ابن سعود قبلك نخاف أن تنكشف عن داهية لا يمكن تداركها فلا بد من القيام ان كان مرادك الدفاع عن هذه الرعية من حدبركا الى البريمي والظاهرة ... فلا بد من ... الخروج ... في سبيل الله وله حكم الدفاع يلزم جميع أهل عمان بأموالهم وأنفسهم ... وقد أجزنا لك دعوتهم وجبرهم اليه وتأديبهم وليس حد الجفا اذا أحاط بك الخصم ... ولقد أجزنا لك في هذا الخروج القرض من الرعية على بيت المال ولو بالجبر وأمرناك به فالزمهم اياه عن أمرنا ورأينا

ولا تعطل أمور المسلمين ... وأنا أقول انك أبلغهم
اياه عنى واحكم به عليهم منى فانى فى ذلك مجتهد لله
ومتقرب اليه ...

لهذا الكتاب شأن خاص لأنه يبين كيف يستطيع الخليلي ،
بما يتمتع به من سلطة عالية كشارح للشرع الاسلامي ، أن يصدر
أوامر حتى للامام . وان الاشارة الى أن الدولة محاطة بالأعداء لتدل على
المعارضة التي كانت ناشئة فى عمان ، ولاسيما بين القبائل الغافرية التي
كانت تميل مصالحها مع مصالح موحدى نجد . وارتاب مستشار الامام
— ولعله كان يملك البرهان على ذلك — فى أن بعض الغافرية كانوا على
صلة بأمر الرياض وكانوا يشجعونه على العودة الى البريمي . وكان
هناك آخرون يعادون الامامة ، علنا أو سرا ، لا لسبب الا للصبغة
الهناوية التي تصطبغ بها ، أو لأنهم لم يرتضوا أساليب حكمها .

ومع أن كثيرين تحالفوا ضد الامام ، فان الدولة ورأسها لم يفتقرا
الى المؤيدين . فمعظم الاباضيين كانوا موالين للامام مدفوعين الى ذلك
بدافع عميق من دينهم ، كما أن كثيرين من القبائل الهناوية وبعضا من
الغافرية ظلوا مقيمين على ثقتهم به . وبقى محمد بن على زعيم قبيلة
نعيم فى البريمي الى جانب الامام ، ولو فى الظاهر ، وكان زايد بن خليفة
حاكم أبو ظبى على استعداد لأن يعمل معه ضد الموحدين . وبينما كان
الامام يزحف صوب البريمي ، تلقى نجدات من صفوف الموحدين
أنفسهم . وقد سلفت الاشارة الى عصيان سعود فى نجد على أخيه عبد الله
أمير الموحدين . وبعد ما هزم عبد الله سعودا فى جنوب نجد ، فر سعود
الى عمان ، ثم اجتمع بالامام عند بركا . ويقال أن سعودا
رافق الامام الى البريمي ، غير أنه من غير المحتمل وجود قوة قوية

تتبعه • وفي أثناء هذا الوقت التقى قواد الامام وقواتهم في البريمي ،
فحشد جيش عمان ليجابه الصدمة •

والواقع أن الهجوم الذي كان مرتقبا من جانب رجال نجد لم يقع قط •
فلم يهطل المطر في عمان في ذلك العام ، ولا بد أن عبد الله اثنى عن عزمه
لأن أمامه شوطا طويلا يقطعه على أراض رملية مجدبة وأمامه سباخا
ومناطق مقفرة تقع بينه وبين بلوغ هدفه • أضف الى ذلك أنه كان هناك
خطر من أن ينتهز أنصار أخيه فرصة غيابه الطويل عن عاصمة بلاده ،
فيعززوا جانبهم • فمكث الامام في البريمي ردحا من الزمن ، ولما تبين
أنه لم يعد هناك ما يثير الخشية ، عاد مع جيشه الى دياره •

انهيار الإمامة

ذو القعدة ١٢٨٧ هـ يناير ١٨٧١ م

مع أن السياسة البريطانية بازاء الامامة وصفت بأنها « سياسة عدم التدخل اطلاقا »^(١) ، الا أن الحكومة البريطانية اتخذت خطوة أدت مباشرة الى انهيار الامامة ، فكان تركى بن سعيد الذى كان يعيش عيشة هادئة فى الهند ، يبشر بأن يكون زعيما يفضل السلطان السابق سالم بن ثوينى فى اثارة الشعور العام على الامام ، ولذلك سمح لتركى بأن يغادر بمباى على مسؤوليته الخاصة . وفى فصل الربيع من عام ١٢٨٦-١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧٠ م نزل الى ساحل الصلح البحرى . ومع أن معظم الزعماء هناك بادروا الى التعاون معه ، لم يستطع هو أو حلفاؤه أن يكسبوا تأييد محمد بن على زعيم قبيلة نعيم فى الريمى ، أو تأييد زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى . وما كان تركى ليستطيع أن يتحرك بدون مساعدة هذين الزعيمين . وفى شهر ربيع الأول عام ١٢٨٧ هـ الموافق ليونيه ١٨٧٠ م ، عبر تركى الخليج قاصدا بندر عباس على الجانب الفارسى .

حاول تركى فى أثناء زيارته لبندر عباس أن يرتب حلفا مع موحدى نجد يكون موحها ضد الامام . وأرسل سلطان زنجبار ، الذى كان يؤيد قضية تركى ، تعليمات الى احدى الشركات فى بمباى بأن تدفع

(١) فى شهر جمادى الاولى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لئاخر اغسطس

١٨٦٩ - انظر ص ٤٧ .

لأمير الموحدين مبلغ ٢٠ ألف ريال اذا ساعد جيش تركى . وفى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٧ هـ الموافق لأغسطس ١٨٧٠ م ، رأى تركى أن يذهب الى القطيف ليقابل عبد الله أمير الرياض ، غير أنه لم يقيم بهذه الرحلة ، وعاد عوضا عنها الى عمان بدون أن ينال عون الموحدين . وقبل حلول شهر شوال عام ١٢٨٧ هـ أى قبل ختام عام ١٨٧٠ م ، نشبت من جديد حرب أهلية بين الأخوين من آل سعود . أما سعود ، الذى كان قد ذهب الى البحرين عقب الاجتماع بالامام فى عمان ، فقد تقدم الى الساحل الشرقى لجزيرة العرب ، وفى شهر رمضان عام ١٢٨٧ هـ الموافق لديسمبر ١٨٧٠ م حقق نصرا على أخيه الأمير عبد الله عند مورد جودة ، فانهارت حكومة عبد الله ، وبادر سعود بالاستيلاء على الزمام فى دولة الموحدين .

فى شهر جمادى الآخرة عام ١٢٨٧ هـ الموافق لستمبر ١٨٧٠ م عاد تركى بن سعيد الى موطنه . وأخفق فى محاولته الأولى للاستيلاء على البريمى ، غير أنه صمد فاستطاع بالتدريج أن يرتبط بكثيرين من فئة الغافرية فى منطقة البريمى وفى الشرقية حيث أصبحت قبيلة آل وهبة وقبائل أخرى حليفة له .

وحشدت قوات الامامة فى عمان الوسطى ، حيث اختار الامام مدينة نزوى عاصمة لحكمه . ووقف الى جانب الامام صالح بن على ، وهو أقدر قواد الشرق ، غير أنه كان عليه أن ينازع البدو الذين يحاربون الى جانب تركى وهم من قبيلتى الدروع والجنبة ، واتجه الامام صوب ضنك فى الظاهرة ، آملا أن يمسك فيها بخناق قوات تركى الرئيسية ، وقام أتباع الامام فى الشرقية ، باستثناء صالح وعدد قليل غيره ، وأعرضوا عن الذهاب الى ضنك . وعندما أغفل الامام رأيهم ، هجره عدد منهم . وفى

الوادى الضيق القريب من ضنك ، أنزل تركى هزيمة شديدة بالامام ، الذى تداعت قوته بسبب خيانة بنى زيد فى لحظة حرجة ، وسقط فى المعركة كثير من قوات الامام ، وأكره الامام على التخلي عن الظاهرة وعن عمان الوسطى ، متلمسا سبيل عودته الى ساحل مسقط .

أدى انتصار تركى بالقرب من ضنك الى انضمام نجدات جديدة تحت رايته . فأقنع زعيم آل وهيبة قبيلة بنى بو على بأن تنضم الى الحشود ، كما سايهم بعض القبائل فى الشرقية وعمان الوسطى والظاهرة ، وذهب تركى بنفسه الى الشرقية ليعمل على تعزيز قضيته ونصرتها . وأمام هذا التهديد المتزايد ، سعى الامام الى توثيق صلاته بقبيلة نعيم فى منطقة البريمى ولكن الوقت كان قد سبقه بمراحل .

جاء تركى ثلاثة طوابير منفصلة لتهاجم الامام . فاتجه طابور منها عبر الدروب الجبلية الى مدينة مطرح التى كان الامام نازلا فيها حينئذ ، وكان قوامه أعضاء من قبيلتى بنى بو على وبنى بو حسن ، وهما قبيلتان بينهما خصومة تكاد تكون دائمة . ولم يكن الطابور كبيرا ، وكان المدافعون عن المدينة يميلون اول الأمر الى الاستهانة به . غير أنه قبل أن يدرى رجال الحامية بالأمر ، كان المهاجمون يتسلقون أسوار المدينة . وانضم الامام نفسه الى المعركة لصد المهاجمين ، ولكن الرصاص أطلق عليه فى أثنائها فقتل ليلة ٨ ذى القعدة عام ١٢٨٧ هـ أى فى أواخر يناير ١٨٧١ م . وتقول احدى الروايات ان الرصاصة القاتلة أطلقت عليه من أحد أتباعه فى داخل الأسوار ، ولكن لا يدرى أحد حقيقة هذا الأمر .

وبوفاة الامام ، فقد المدافعون عن المدينة حماسهم ، فاستسلمت مطرح ومسقط للطابور المهاجم . أما سعيد بن خلفان الخليلي ، الذى كان دون سواه الرأس المدبر للامامة ، فقد تحصن فى الكوت الشرقى

في مسقط مع جماعة من رجال قبيلته بنى روضة • ووصل تركي الى مسقط ليتولى محاصرة الكوت. ولكن بعد وساطة الانجليز عقدت هدنة. وظل مصير الخليلى يحيط به الغموض ولكن يكاد يكون مؤكداً أنه لقي حتفه متوفياً أو مقتولاً عقب وفاة الامام بقليل •

هكذا انهارت الامامة الوحيدة التي أنشأها أهل عمان في القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للقرن الميلادى التاسع عشر، أى بعد انتخاب الامام بعامين وبضعة أشهر • وليس عسيرا أن نحدد أسباب انهيارها • فلم يكن للاباضيين فى الداخل حكومة مركزية خاصة بهم منذ زمن بعيد، ولذلك افقدوا الى الخبرة والى رجال يحسنون الادارة • ولم يتحقق التحالف التام بين الغافرية والهاوية مع أن هذا ضرورة حتمية لتحقيق الوحدة فى عمان • أضف الى ذلك أن الامام ومستشاريه لم يكونوا على وفاق دائماً ولا سيما فيما يتعلق بتوجيه دفعة الأعمال العسكرية ، كما أن الدولة كانت محفوفة بأعداء يتربصون بها لقلبها • ويبدو أخيراً أن أولئك الذين كانوا يحكمون الامامة أخفقوا فى أن يكتسبوا تأييداً شعبياً واسع النطاق يستند اليه نظامهم • وكان من جراء تعسف تعاليم الاباضيين أن طبقت اجراءات وقع عبئها الثقيل على الشعب ، مما جعل كثيرين منهم يؤثرون حكم السلاطين المعروف بالتساهل • ولما ازدادت المخاطر الخارجية على الامامة فى أيامها الأخيرة ، صار من الضرورى تطبيق اجراءات فاقت فى شدتها كل ما سبقتها ، حتى أن كثيرين من الذين كانوا يريدون الامامة من الناحية النظرية ، لم يكونوا على استعداد من الناحية العملية لبذل التضحيات الكفيلة وحدها باقازها •

ضغط قوات الداخل على مسقط

١٢٩١ - ١٣٠٠ هـ ١٨٧٤ - ١٨٨٣ م

لما تم الاعتراف بتركي بن سعيد سلطانا على مسقط بعد قلب الامامة ، حكم من عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧١ م الى عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨ م . وكان كرسى العرش يهتز من تحته في أكثر سنوات تلك الفترة ، ذلك لأنه كان حتما عليه من آن لآخر أن يقمع الفتن التي كان يثيرها أخوه عبد العزيز أو ابن أخيه السلطان السابق سالم بن ثويني . وبالإضافة الى هذا ، فإن بعض القوات التي كانت قد تجمعت لبعث الامامة ، ظلت ذات أثر في سياسة عمان . وقد جلس ابراهيم بن قيس ، أخو الامام الراحل ، في ميناء صحار فترة من الزمن ثم حصن نفسه فيما بعد في الرستاق في الجبال . ومن بين أنصار الامامة السابقين كان صالح بن على الحارثي يعد أعظم رجل في الشرقية ، وأقوى في دائرة نفوذه من السلطان الجديد في سلطنته ، ذلك لأن معظم زعماء الداخل الذين تعاونوا مع تركي في وجه الامامة لم يظهروا ميلا لقبول حكم تركي بدلا من حكم الامام ، ولهذا عجلوا بالعودة الى مركزهم القديم ، مركز الشيوخ الصغار المستقلين .

ولولا مساعدة الانكليز لتركى ما كان ليتيسر له أن يحتفظ بالمركز السامي الذي ظفر به . فعندما واجهته عقبة تمويل حكومته بالمال ضمن له الانكليز دفع الاعانة السنوية طبقا لشروط منحة كانتق لعام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م . وعندما اشتد تكبر القوات من الداخل عليه أبدى الانكليز استعدادهم لامداده بمعونة عسكرية من جهة البحر .

في أواخر عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٤ م أقبل صالح بن علي من الشرقية واحتل مدينة مطرح وهي تعد المنفذ الثاني لمسقط عاصمة تركي . وكان تركي مريضا في ذلك الحين وينقصه جيش قوى يمكن الاعتماد عليه . وعلى هذا فانه كان ممكنا أن يستولى صالح على مسقط نفسها لولا أن السلطان صرفه عنها بقدر كبير من المال .

وفي أواسط عام ١٢٩٤ هـ الموافقة ليونيه ١٨٧٧ م عاد صالح ، وقد تحالف مع ابراهيم بن قيس أخى الامام الراحل ، الى احتلال مطرح ، ثم تقدم في هذه المرة الى احتلال جزء من مسقط . وهنا تدخل المركب البريطانى تيزر Teazer وأطلق بعض نيرانه على المدينتين . فانسحب الغزاة بعد أن اشتركوا في النهب .

بعد مضى ستة أعوام اشترك صالح بن علي في « أكبر محاولة جابها السيد تركي في تاريخ حكمه كله ، وهي أكبر محاولة عنيدة قام بها منافسوه » . وكانت حكومة مسقط قد تدخلت في شئون الداخل عن غير فطنة فأثارت شعورا دافقا بالسخط هناك . وهجم صالح بمساعدة عبد العزيز أخى تركي على مطرح ومسقط في شهر ذى الحجة عام ١٣٠٠ هـ الموافق لأكتوبر ١٨٨٣ م وهنا خف المركب البريطانى فيلومل Philomel الى مطرح ليقدم معوثته الى السلطان وكان مشرفا على الهزيمة . وعلى أية حال استطاع تركي بفضل بعض قواته أن يرد هجوم العدو اللبلى ، وهو هجوم كان يشنه رجال يرتدون الملابس السوداء .

« وفي عام ١٣٠٣-١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٦ م أعلنت الحكومة البريطانية عزمها على مد السيد تركي بمعونة فعالة فيما لو هوجمت مسقط فكان لهذا الاعلان أثره الناجع في صون السلم في خلال الفترة الباقية من حياة السلطان » .

رد تركى الفضل لذويه بأن وقع مع الانكليز معاهدة تقضى بالغاء
تجارة الرقيق فى عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م . وقد نصت هذه المعاهدة
على وقف استيراد الرقيق الى أراضى مسقط وقفا شاملا واغلاق أسواق
هذه التجارة فى أنحاء تلك الأراضى جميعا .

تولى فيصل بن تركي لسلطنة مسقط

١٣٠٥ هـ ١٨٨٨ م

تولى فيصل ، وهو ثاني أبناء تركي الثلاثة ، عرش مسقط خلفا لوالده في عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨ م . وكان أول عمل قام به السلطان الجديد أن أوفد رسولا الى صالح بن علي يبلغه نبأ وفاة والده ويطلب اليه أن يسود السلام بين مسقط والشرقية . ومن المحتمل أن يكون الحافز على هذا الطلب هو رغبة السلطان في حماية مسقط من تلك الناحية بينما كان قائما بأعمال حربية من ناحية أخرى ، ذلك لأنه في شهر محرم عام ١٣٠٦ هـ الموافق لستمبر ١٨٨٨ م جرد فيصل حملة على الرستاق ، وهي الحصن الجبلي الذي كان في قبضة ابراهيم بن قيس أخى الامام الراحل . وقد برز سعود بن عزان النجل الثاني للامام في الدفاع ، فعاد السلطان الجديد الى مسقط صفر اليدين . وكان سعود حينئذ شابا في أوائل العقد الثالث من عمره . وقد فُتِر بشهرة عظيمة فيما بعد حينما تقدم مرشحا للامامة .

فيصل بن تركي والانكليز

١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م

لم يعترف الانكليز بفيصل سلطانا على مسقط حتى عام ١٣٠٧ —
١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩٠ م . وفي عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩١ م عقد
الفريقان معاهدة صداقة وتجارة وملاحة ، حلت محل المعاهدة المعقودة
في عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م . ومن بين شروط المعاهدة الجديدة
ما يلي :

لا تمنع أية سلعة من الدخول الى اراضى صاحب
العظمة سلطان مسقط أو الخروج منها ، ولن تفرض
رسوم جمركية على البضائع التى تصدر من تلك
الأراضى دون موافقة حكومة صاحبة الجلالة
البريطانية ...

يستمع رعايا صاحبة الجلالة البريطانية ، فيما
يتعلق بأشخاصهم وممتلكاتهم ، فى داخل اراضى صاحب
العظمة سلطان مسقط بامتيازات خارج النطاق .

بعد توقيع هذه المعاهدة بيوم واحد وقع السلطان تعهدا
مؤداه أنه « يقطع عهدا ووعدا على نفسه وعلى ورثته وخلفائه
بأنه لن يتنازل قط عن اراضى مسقط وعمان أو أية من ملحقاتهما ، ولن
يبيعها أو يقدمها رهنا أو يسمح باحتلالها بأية طريقة كانت ، الا للحكومة
البريطانية » .

احتلال مسقط على يد قوات الداخل

١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م

مع أن صالح بن علي زعيم الشرقية لم يزحف على فيصل بن تركي في خلال السنوات الأولى من حكم هذا السلطان فإن الخلافات نشبت بينهما بمضى الزمن ، ويرجع السبب في هذا الى العداوة القديمة التي كانت قائمة عصورا طويلة بين الساحل والداخل ، وقد بلغت هذه العداوة أوجها بفضل تعاون السلطان مع الانكليز في محاولة تقييد حركة تهريب الأسلحة ، وبفضل هذا التعاون كان أمام السلطان أن يحقق لنفسه بعض الغنم وذلك بقطع موارد المدد التي كانت تصل الى الرجال في الداخل الذين يحتمل أن يكونوا أعداءه في المستقبل . ويقال كذلك ان سلطان زنجبار تدخل في شئون وطن أجداده فحرض القبائل على الثورة ضد فيصل .

في عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٥ م بعث صالح ، وقد بلغ الستين من عمره ، بابنه عبد الله في حملة ضد مسقط . ورغم أن عبد الله كان في نحو العشرين من عمره الا أنه كان جنديا ممتازا ، فتقدم صوب مسقط عن طريق نزوى وسمايل ، وعندما بلغ هدفه احتل قصر السلطان على عجل فلجأ السلطان الى كوت من كيتانه . وقد قدم صالح من الشرقية لينضم الى ابنه الظافر ، ونزل سعود بن عزان ، نجل الامام الراحل ، من الرستاق الى مسقط .

ظل القتال دائرا في عاصمة السلطنة فترة تقرب من ثلاثة أسابيع

في خلال شهر شعبان عام ١٣١٢ هـ الموافق لفربراير ١٨٩٥ م ، والتزم الانكليز خطة الحياذ حيال القتال . ولما كانت القوات الرئيسية للمهاجمين مكونة من الهناوية فان كثيرين من الغافرية خفوا الى مساعدة السلطان . وفي النهاية وقع الصلح بين الفريقين وبمقتضاه دفع السلطان لصالح مبلغا من المال وعاد صالح الى الشرقية .

وقد كشف احتلال مسقط عن تفوق رجال الداخل تفوقا عسكريا على قوات السلطان . ولم يكن ينقص أولئك الرجال سوى زعامة شخصية دينية مسيطرة كشخصية الشيخ سعيد الخليلى ، وفاتهم كذلك أن يحققوا الصلح بين فتنى الغافرية والهناوية ليتها لهم الاستقرار التام .

لم يكن الانكليز راغبين في أن يروا الفتنة التى وقعت في مسقط في خلال تلك الأسابيع الثلاثة تتكرر فصولها . «وفي عام ١٣١٢-١٣١٣ هـ الموافق ١٨٩٥ م أبلغ السلطان كبار شيوخ عمان قرار الحكومة البريطانية الذى مؤداه أنه بالنظر لما للانكليز من مصالح جوهرية في مدينتى مسقط ومطرح فانها لن تسمح للشيوخ بمهاجمة هاتين المدينتين مهما كانت الخلافات القائمة بين أولئك الشيوخ والسلطان » .

وحتى لو لم يصدر هذا البلاغ فانه كان من المستبعد أن يتكرر وقوع الهجوم ، ذلك لأن شعب الداخل تكبد خسائر قاصمة بموت عبد الله فاتح مسقط الذى وقع ولم يمض على الجلاء عن المدينة سوى شهر واحد أو ما يقاربه ، وكذلك بوفاة والده صالح في النصف الأول من عام ١٣١٤ هـ الموافق للنصف الأخير من عام ١٨٩٦ م اثر جرح أصيب به في آخر معركة من معاركه . وخلف صالحا ، باعتباره زعيم الشرقية ذا النفوذ الأعلى هناك ، ابن آخر من أبنائه اسمه عيسى ، وقد أثبت أنه جدير بالقبض على زمام السلطة التى آلت اليه . فبدأ عيسى عهده بتخريب أمل السلطان في استغلال فرصة وفاة صالح ، فهاجم السلطان في واد من الأودية الجبلية وهزمه شر هزيمة .

محاولة فاشلة لبعث الامامة

١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م

توفي ابراهيم بن قيس ، أخو الامام الراحل وحاكم الرستاق المستقل زهاء خمسة وعشرين عاما ، وكان ذلك في أوائل صيف عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م تاركا وراءه ولدين ، وهما سعيد الذي كان آتئذ حدثا وأحمد الذي كان طفلا ، وقد اتفق رجال حامية الرستاق وزعماء الهناوية على أن الذي يخلف ابراهيم ، ابن أخيه سعود بن عزان النجل الثاني للامام الراحل وليس النجل الأكبر لابراهيم .

عندما تولى سعود زمام الحكم في الرستاق كتب الى أعيان الاباضيين يدعوهم الى الاجتماع في عاصمة ملكه ، وكان من بين الذين شهدوا الاجتماع ، عيسى بن صالح من الشرقية وفيصل بن حمود ابن عم الامام الراحل . وقد خطب سعود في الاجتماع فأبلغ الحاضرين أن الرستاق ستصبح معقلا للمسلمين ومثلا من أمثلة الحكم العادل في البلاد اذا هم تعاونوا معه . وقد اتفقت كلمتهم على أن يعملوا معه وتبادلوا الرأي فيما بينهم على احتمال اختياره اماما ، وكان شعب الاباضيين يتوقعون عقد الامامة له فوضع أحد شعرائهم قصيدة تتضمن هذا البيت :

فان شاء الاله فعن قريب ❀ يقال له الامام ابن الامام

غير أن آمال الشعب لم تتحقق ، فلسبب ما ، لا يذكره السالمى المؤرخ الاباضى ، لم يتم العقد له ، وانقض اجتماع الرستاق دون الوصول الى نتائج مهمة .

وعلى الرغم من أن سعود بن عزان كان عادلا ومنصفا فانه لم يعمر في حكم الرستاق طويلا . ففى شهر شوال عام ١٣١٦ هـ الموافق لمارس ١٨٩٩ م دبر رجال الحامية مؤامرة بالاشتراك مع حمود أخى سعود الأكبر وأسفرت تلك المؤامرة عن قتل سعود صبيحة ذات يوم وهو يؤدى صلاة الفجر .

كان من نتيجة الموقف المضطرب الذى ساد الرستاق أن أصبحت المدينة هدفا للتنافس فى خلال الأعوام القليلة التى تلت ذلك الحادث . وقد حاول سلطان مسقط ، عن طريق ابنه تيمور ، أن يستولى عليها ، غير أن نيسى ابن صالح من الشرقية أفسد عليه تدبيره فى عام ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠٣ م بقضائه على قوة الحامية وتنصيبه سعيدا النجل الأكبر لإبراهيم بن قيس واليا على البلد . ثم حدث فى عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م أن اغتالت عصابة من المتأمرين سعيدا غير أنها عجزت عن أسر أخيه الأصغر أحمد . وبعد فترة وجيزة عاد أحمد ونصب نفسه حاكما للمدينة وظل يسيطر عليها الى أن طردته منها امامة القرن الهجرى الرابع عشر فى عام ١٣٣٤ هـ الموافق ١٩١٦ م .

يشغل أحمد بن إبراهيم اليوم ، بعد ما ضاعت منه الرستاق الى الامامة ، منصب وزير الداخلية فى حكومة السلطنة . وهو الآن فى أواسط العقد السادس من عمره ، وقد يعد أقوى رجل فى الحكومة . ومع أنه ابن أخى عزان بن قيس ، امام الاباضيين فى القرن الثالث عشر ، فانه بحسب الظاهر ، على غير وفاق مع الامام الحالى ، ذلك لأن أحمد ما فتىء يتأسى لفقد ما ورثه فى الرستاق ، ومن المحتمل أنه يعلل نفسه بالأمل فى استرداد ما فقد .

المنافسة بين الانكليز والفرنسيين في السلطنة

١٣١٢ - ١٣٢٣ هـ ١٨٩٤ - ١٩٠٥ م

كانت الفترة الواقعة بين عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٤ م وعام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م فترة منافسة شديدة بين الانكليز والفرنسيين لنظر بالنفوذ الأعلى في بلاد سلطان مسقط . وفي مناسبات عدة خلال القرن الهجرى الثالث عشر كان على الانكليز أن يتظاهروا بدبلوماسيتهم وقوتهم البحرية ، لابقاء السلاطين على عروشهم ، ويرجع الفضل في دوام دولة السلاطين الى الانكليز أكثر منه الى سواهم . وفي الوقت ذاته كانت تربط الفرنسيين بالسلطان معاهدة ترجع الى عام ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م . وفي عام ١٢٧٨ هـ الموافق ١٨٦٢ م اتفق الفرنسيون والانكليز على اصدار بيان في باريس تعهدوا فيه باحترام استقلال سلطان مسقط وسلطان زنجبار .

وفي الجزء الأول من القرن الهجرى الرابع عشر بدأ الفرنسيون ينازعون الانكليز فيما لهم من مركز في السلطنة . وفي عام ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م منح فيصل بن تركى الفرنسيين عقد ايجار يخولهم حق استخدام بندر الجصة ، الواقع على مقربة من مسقط ، مرفأ لشحن السفن بالفحم الحجري ، غير أن الانكليز بما لوحوا به من القوة أكرهوا السلطان على الغاء هذا العقد . وقد أعقب هذا الحادث نزاع طويل الأمد حول رفع العلم الفرنسى على مراكب يملكها أشخاص من رعايا السلطان ، وبخاصة من يقيم منهم في ميناء صور ، وكانت حجة

الانكليز في معارضتهم لهذا الاجراء تقوم في الأغلب على أن كثيرا من تلك المراكب التي كانت تسير في ظل العلم الفرنسي كانت تشترك في حركة تهريب الأسلحة وتجارة الرقيق ، وهي حركة كان الانكليز يحاولون قمعها . وقد سويت المسألة نهائيا على يد محكمة ألفتها المحكمة الدائمة للتحكيم في عام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م . وكان حكم المحكمة ، بصفة عامة ، مرضيا للانكليز .

ومع أن « الوفاق الودي » بين الانكليز والفرنسيين الذي وقع في عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٤ م لم يكن وديا بالفعل في هذا الجزء من العالم ، فانه في الواقع ساعد بمرور الزمن على تخفيف حدة المنافسة بين الانكليز والفرنسيين وبخاصة عند ما أدرك الفريقان عظم الخطر الذي يهدد مصالحهما بسبب نمو الامبراطورية الألمانية الجديدة واتتهاجها سياسة الاندفاع نحو الشرق .

ان نجاح الانكليز في مواجهة التحدي الفرنسي في خلال تلك الفترة كان قمينا بأن يصبح ضئيل الشأن لولا أن ظهر على المسرح رجل من الرجال العظام في تاريخ الامبراطورية البريطانية . ففي عام ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩ م تلفت اللورد كرزون Curzon نائب الملك في الهند ، فأقلقه تضائل هيبة بريطانيا في مسقط ، فاختار الكاتبن پرسی کوکس Percy Z. Cox لمنصب الوكيل السياسي والتقنصل في تلك المدينة ، وكان كوكس ضابطا شابا في الرابعة والثلاثين من عمره . وقد خبطت الأعوام الخمسة التي قضاها كوكس في مسقط الفصل الأول من حياة لامعة ترك كوكس في خلالها أثرا عميقا واضحا في شئون الخليج الفارسي كله ، على صورة لم يسبقه اليها غربي آخر .

وقد بسط كرزون ، وهو الذي اختار كوكس وكان رئيسا له

باعتباره نائب الملك ، وجهة نظره في علاقة مسقط بالدولة البريطانية فقال « اننا نمد حاكمها بالاعانة ونملئ سياستها ، ولهذا فعلينا ألا نسمح بأى تدخل أجنبى فى شئوننا » ، وقد تجاهل هذا التصريح البيان البريطانى الفرنسى فى عام ١٢٧٨ هـ الموافق ١٨٦٢ م . ثم أدرك كوكس فيما بعد أن الحكومة البريطانية فى لندن ، وهى المعنية بالوصول الى اتفاق شامل مع الفرنسيين أكثر من عنايتها بدعم السلطان البريطانى فى زاوية نائية فى المحيط الهندى ، غير راغبة فى أن تذهب الى الحد الذى ذهب اليه نائب الملك المتعجرف ، وحتى كرزون نفسه كان على استعداد لأن يخفف من لهجته عندما واجه وضعاً عملياً ، فقبل أن يقصد كوكس الى تسلم منصبه الجديد زوده كرزون بنصحه وعاد يلخص النصيحة التى بذلها له فى تلك المناسبة فقال « دع السلطان يفهم أن كل اعتبار من اعتبارات السياسة والروية والخبرة الماضية وآمال المستقبل ، كل هذا يكرهه على أن يظل الى جانبنا ، وليس بالضرورة ضد أى طرف آخر ، ولكن الواجب عليه أن يسلم بأن مصالحه مرتبطة بولائه لبريطانيا العظمى » . وكان أمام كوكس فسحة كافية من الوقت ليبرز براعته السياسية فى انتهاج سبيل يرمى الى الظفر برضاء نائب الملك وحكومة لندن معا .

الانكليز والداخل

١٣١٥ - ١٣٢٠ هـ ١٨٩٨ - ١٩٠٢ م

لم تترك المنافسة بين الانكليز والفرنسيين في سلطنة مسقط أثرا يذكر على شعب عمان في الداخل غير الأثر المترتب على خطة بريطانيا التي ترمى الى قمع حركة تهريب الأسلحة وتجارة الرقيق . وكنا قد أشرنا الى رغبة السلطان فيصل بن تركي في التعاون مع الانكليز على قمع حركة الاتجار في الأسلحة . وفي عام ١٣١٥ - ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م وافق السلطان على أن يعمل مع الحكومتين البريطانية والايرانية على وضع حد لاستيراد الأسلحة الى الهند البريطانية وايران . وكذلك كانت تدابير منع تجارة الرقيق آخذة سيرها بانتظام .

وفي عام ١٣١٨ - ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م بعث عيسى بن صالح الى السلطان باحتجاج شديد على عتق الرقيق الفارين ، وهذا اجراء يشجعه الانكليز تشجيعا قويا . ويؤخذ مما رواه كاتب سيرة كوكس أن هذه الخطوة كانت المناسبة الأولى التي استرعى فيها عيسى التفات السلطات البريطانية ، هذا على الرغم من أنه كان متوليا زمام الحكم في الشرقية مدة تقرب من خمسة أعوام . وقد وصف كاتب سيرة كوكس موقف عيسى وأتباعه في ذلك الحين فقال :

... ان المتحمسين من جماعة الاباضيين ... كانوا يرون أن فرض الرسوم الجمركية عمل من أعمال الكفر.

لأنه لم يحظ بموافقة النبي ويعتقدون أن الرق دعامة مشروعة تسند نظامهم الاجتماعي والاقتصادي • وقد اعترضوا على فرض أية رقابة على حركة تهريب الأسلحة واعترضوا كذلك على المعاهدات المعقودة مع الدول الكافرة التي منعت الحكومة من التدخل في بيع التبغ والخمر • وكان هؤلاء المتحمسون خصوما للأوربيين بوجه عام وللانكليز بوجه خاص • ذلك لأن الانكليز كانوا يتصدون لتجار الرقيق ومهربى الأسلحة ، ولأن التجار الهندوس الذين كانوا يقيمون في موانئهم ... كانوا تحت حماية الانكليز •

ومن تلك اللحظة راح كوكس ، وهو ذو العين النافذة في شؤون العرب ، يتتبع أعمال عيسى باتباه شديد •

تشير التقارير التي كتبها كوكس في تلك الفترة الى أن ممثلى فرنسا في مسقط كانوا يثيرون هذا الشعور المعادى لبريطانيا • وكان أوتاڤي Ottavi القنصل الفرنسى « على صلة ... بالكثيرين من زعماء القبائل ومثيرى الاضطرابات من سكان ميناء صور ... حيث يقيم كثيرون من فئة الهناوية ، وهى الفئة التى كانت تنازع فئة الغافرية لتظفر منها بالنفوذ السياسى الأعلى في عمان ، وهى التى أثارت كذلك فتنة سنة ١٨٩٥ (الموافقة ١٣١٢ هـ) » • كان أوتاڤي يجيد العربية « وقد طوف بعمان في زى عربى وزار خصوم السلطان » ، وربما كانوا كذلك خصوما للانكليز في الوقت نفسه •

في عام ١٣١٨ هـ الموافق ١٩٠١ وضع كوكس ، عن طريق السلطان ،

خطة لتفقد مناجم الفحم الحجري الواقعة على مقربة من ميناء صور •
ولما بلغت أنباء هذا الاجراء شرق عمان خيف من أن يكون الممثل
البريطاني قد اتوى أن يتوغل في هذا الجزء من البلاد • « وأخبر بعض
عرب الداخل كوكس أن ثمة رسائل ورسلا قصدوا من صور الى زعماء
الهناوية جميعا ليحذروهم من أن السلطان فيصلا (بدأ يبيع مدينة صور
للالنكليز) وأن الشعب هائج » • وقد تباحث عيسى بن صالح مع زعماء
القبائل واتفقت كلمتهم جميعا على عدم السماح للزائرين الانكليز بالتوغل
في الداخل ، وأرسلت التعليمات المتعلقة بهذا الشأن الى زعماء قبيلة
المشارفة وهي القبيلة الهناوية صاحبة مناطق الفحم في الرقصة ، واستجاب
المشارفة لهذا الأمر فقاموا لسد الطريق في وجه كوكس والجيولوجي
الذي كان يرافقه • أما عيسى بن صالح فقد تحرك وقواته من عاصمته
القابل في الشرقية ورابط في مراكز المشارفة ، حيث كان في استطاعته أن
يراقب تطورات الموقف • ونجح كوكس والجيولوجي في النهاية
في الوصول الى مناطق الفحم ، غير أنه حدث في أثناء الرحلة أن أصيب
جواد الجيولوجي بطلق ناري وهو يركبه •

يقول السالمى المؤرخ الاباضى ان كوكس حاول في تلك الفترة أن
يعقد اجتماعا مع عيسى بن صالح غير أن عيسى قال « لا أراه ولا يرانى » •
ولم يذكر كاتب سيرة كوكس شيئا عن هذه النقطة •

ويقول كاتب السيرة ان كوكس عندما عاد الى مناطق الفحم ومعه
جيولوجي آخر في رجب أو شعبان عام ١٣١٩ هـ الموافق لنوفمبر ١٩٠١ م
« تولى فريق قوى من قبيلتى المشارفة وبنى بو حسن حراستهم ليشبوا
لهم حسن نية الشيوخ ، ولهذا فان كوكس ورفاقه لم يلقوا أية صعوبة » •
ومع هذا فان المؤرخ الاباضى لم يذكر شيئا عن هذه النقطة •

وكان مؤدى التقرير الجيولوجى أن مناجم الفحم الواقعة فى الرقصة لم يكن يرجى منها خير ، ولذا فقد نبذت فكرة استثمارها .

فى أواخر عام ١٣١٩ وأوائل عام ١٣٢٠ هـ الموافقة لشهرى إبريل ومايو عام ١٩٠٢ م قام كوكس برحلة الى القسم الشمالى الغربى من الداخل ، من أبو ظبى عن طريق البريمى وضنك وعبرى ونزوى الى مسقط ، ويبدو أنه انتهى الى رأى مؤداه أن ممتلكات سلطان مسقط تمتد حتى عبرى ، غير أن كاتب سيرته يقرر « أن قبضة الحاكم كانت هينة لينة وأن الشعب كان ثائر الأعصاب وأن النزاعات كانت متعددة » ويمكن تصوير الحالة آنئذ بما كان عليه الأمر فى عبرى حيث كان الناس « يعيشون فى قلق دائم وكان الغرباء ينامون فى العراء ، وكان أصحاب الدور كثيرا ما يبيتون خارجها خوفا من أعدائهم من قبائل أخرى فقد يناديهم هؤلاء فى الظلام ويطلقون عليهم النار إذا فتحوا أبوابهم على غير وعى منهم » . ويمكن أن نقارن هذه الحالة بما يحدث فى يومنا هذا فى ظل حكم الامامة ، طبقا لما وصفه الرحالة البريطانى ولفرد ثيسيجر Wilfred Thesiger الذى زار تلك الأصقاع أخيرا^(١) .

(١) انظر ص ١٠٩

رحلة كرزون إلى الخليج الفارسي

١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م

قام اللورد كرزون نائب الملك في الهند برحلته المشهورة الى الخليج الفارسي في عام ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠٣ م وزار مدينة مسقط • وكانت هذه المرة هي المرة الأولى التي يزور فيها رجل كبير المقام من رجال الامبراطورية البريطانية مياه الخليج • ودبر كرزون ، وهو الرجل المغرم بالمظاهر ، الأمر لكي تترك الرحلة وما يصاحبها من احتفال ، أثرا كافيا • وثمة تقرير كتبه كرزون نفسه عن الرحلة ، أشار فيه الى العلاقات الوطيدة بين سلطان مسقط وبين الحكومة البريطانية ، ومما جاء في هذا التقرير :

••• سلك صاحب العظمة السلطان في هذه المناسبات جميعا مسلك البساطة والوقار ، وكان مسلكه مسلك تابع موال للحكومة البريطانية ، لا مسلك حاكم مستقل ••• ان الموقف وما أحاط به بدا أنه كان كافيا في نظر السلطان لأن يقنعه بالاعتماد على صداقتنا وبالوقوف موقف الاذعان لرغباتنا •

••• وعلى قدر ما تجلت رغبة السلطان في أن ينحاز الى جانب أمراء الهند في علاقتهم بالتاج البريطاني بدا التناقض في مركزه الدولي •

... ان ثمة حاكما وشعبا وتجارة ، كل أولئك
يعتمدون علينا اعتمادا يكاد يكون كليا •

ويعد القول الأخير صحيحا فيما يتعلق بسلطان مسقط وشعوب
المناطق التى تحت سيطرته ، ولكنه ليس صحيحا بالنسبة للأقاليم المستقلة
فى الداخل • وجائز أن هذا النائب العظيم كان غير ملم بهذا الفارق
عندما خط بقلمه هذه الكلمات •

عبد العزيز آل سعود وعمان

١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م

مضت على زيارة كرزون للخليج ثلاثة أعوام وراح شعب عمان يتوقع مقدم زائر عظيم آخر ألا وهو عبد العزيز آل سعود حاكم الرياض الجديد ، وقد أخذت سلطته منذ البداية تعظم وتوسع وتمتد في شبه الجزيرة العربية •

وقد ظل آل سعود وفكرة التوحيد محجوبين عن الأعين فترة تقرب من ثلاثين عاما • وفي عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م كانت الحرب الأهلية التي نشبت بين الأخوين عبد الله وسعود سببا تذرعت به الدولة العلية العثمانية للتدخل في الجزيرة العربية جنوبى الخليج الفارسى • فاحتلت الدولة العلية منطقة الحسا وجعلت منها سنجقا عثمانيا • وأدت تلك الحرب الأهلية نفسها الى اضعاف الدولة السعودية في نجد الى أن سقطت في يد بيت قوى جديد من شمال الجزيرة العربية هو آل رشيد •

استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، وهو ابن أخ ثالث للأخوين المتقاتلين ، أن يسترد دولة أجداده ويعيد الى بيته ودينه المهابة والشهرة ، وذلك بفضل ما أوتى من المقدرة وقوة الخلق • فعادر عبد العزيز الكويت حيث كان يعيش فيها كشاب منفى ، وبحركة بارعة استرد الرياض ، العاصمة السعودية ، من آل رشيد في عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠٢ م • وفي عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٤ م أرسل الأتراك ، وقد ازدادوا اهتماما بشئون داخل الجزيرة العربية ، حملة الى

نجد لمقاتلة عبد العزيز • وترتب على هذا أن احتك الأمير الشاب لأول مرة بالانكليز وهم المسيطرون على الخليج الفارسي ، وقد كتب الأمير في أوائل عام ١٣٢٢ هـ الموافقة لشهر مايو ١٩٠٤ م الى كوكس القائم بأعمال المعتمد السياسى فى الخليج حينئذ كتابا تقول المصادر البريطانية انه « احتج فيه على تدخل الأتراك واستغاث بالحماية البريطانية » ؛ غير أن الحكومة البريطانية آثرت فى تلك الفترة ألا تتدخل فى شئون داخل الجزيرة ولم تقم بعمل يشجع عبد العزيز •

كانت الثقة بالنفس من أبرز مزايا عبد العزيز ، فما دام الانكليز غير راغبين فى مساعدته فليتول هو أمره بنفسه ، فاستطاع بالقتال والمناورة أن يبعد الخطر التركى ومن ثم راح يعزز قوته فى ثبات •

كان عبد العزيز على علم تام بالمركز الذى كان يشغله أسلافه فى عمان وكانت أفكاره بين الحين والآخر تتجه بدون شك الى البريى ذلك المركز القائم فى الشرق الذى تخلى عنه الموحدون منذ أكثر من ثلاثين عاما • وفى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م أشيع ان عبد العزيز ينوى زيارة ساحل الصلح البحرى وان بعض الزعماء هناك لم يستحسنوا سماع هزم الأنباء • فأخذ زايد بن خليفة حاكم أبى ظبى المسن ، الذى ناصر الامام عزان فى عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م عندما كانوا يخافون من هجوم قد يشنه أنصار التوحيد تحت امرة عم عبد العزيز ، أخذ زايد يباحث فيصل بن تركى سلطان مسقط ، وأعرب الرجلان للانكليز عن مخاوفهما من زيارة عبد العزيز المنتظرة • وقد يكون جائزا أن بعض الزعماء لم يشاركوا الرجلين مخاوفهما ، ذلك لأن العطف على عقيدة الموحدين لم يكن قد أوشك أن يتلاشى على ساحل الصلح البحرى •

بدلا من أن يفتح كوكس عبد العزيز فى الأمر رأسا ، اتصل بمبارك

آل صباح حاكم الكويت ، وهو الذى بسط على عبد العزيز حمايته فى أيام منفاه والذى يعد أستاذه آنئذ فى الشؤون السياسية . فأرسلت ملاحظة عابرة الى مبارك مؤداها أن « تدخل الوهابيين فى شئون الذين تحميمهم بريطانيا لا يروق فى عيني الحكومة البريطانية » ويبدو أن مبارك حذر عبد العزيز من القيام بخطوة تتسم بطابع التعجل على ساحل الصلح البحرى ، واقترح كوكس بدوره على الحكومة البريطانية أن تخوله سلطة تحذير زعماء الساحل « من الاشتراك فى أية مؤامرة » مع عبد العزيز . وقد وافقت وزارتا شئون الهند والخارجية على هذا الاقتراح .

لم يقيم عبد العزيز برحلته الى ساحل الصلح البحرى لأنه زحف فى أوائل عام ١٣٢٤ هـ الموافقة لشهر ابريل ١٩٠٦ م شمالا ليشارك فى القتال الدائر مع أعدائه القدامى من آل رشيد ، فأوقع الهزيمة بقواتهم وقتل أميرهم فى روضة مهنا .

وقبل أن يقع هذا الحادث قدم رسول من قبل عبد العزيز الى البحرين وأبلغ الوكيل السياسى البريطانى فيها أن أمير الرياض ، كما تقول المصادر البريطانية ، « قد استشعر فى نفسه الآن قوة تكفى لطرد الأتراك من الحسا وأنه راغب فى أن يعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية مع الترخيص لها بتعيين ضابط سياسى فى الحسا أو القطيف بشرط أن يكفل له الانكليز الحماية من الهجوم التركى » . وعلى أثر انتصار عبد العزيز فى روضة مهنا بعث كوكس ، وهو رجل ثاقب النظر واسع الأفق ، بمذكرة الى حكومة الهند لخص فيها الفوائد التى يمكن أن تجنى من عقد محالفة مع عبد العزيز آل سعود ، غير أن جون مورلى John Morley وكان متوليا وزارة شئون الهند فى ذلك الحين ، « أبدى

رغبته في ألا تنشأ أية علاقة رسمية من أى شكل كان مع ابن سعود « لأن الموقف الدولي آتئذ لم يكن يسمح للانكليز بأن يأخذوا على عاتقهم عبئا جديدا من هذا النوع • وعلى هذا فقد كتب مورلى الى حكومة الهند « بأن تقصر عنايتها ونفوذها على الساحل » •

في الوقت الذي كان فيه الانكليز في الخليج ينتظرون قرار مورلى ، عاود عبد العزيز الاتصال بهم ؛ وكان اتصاله بهم في هذه المرة عن طريق قاسم آل ثاني حاكم قطر • وفي شهر شعبان أو رمضان عام ١٣٢٤ هـ الموافق لأكتوبر ١٩٠٦ م أبان عبد العزيز عن طريق قاسم ، على ما جاء في المصادر البريطانية ؛ « أن موارد نجد المادية قد استنزفت نتيجة للحروب الأخيرة وأنه بناء على هذا يفكر في استرداد الحسا والقطيف اللتين منهما يستطيع أن يحصل على دخل كبير كما فعل أسلافه ••• وعلى هذا اقترح عبد العزيز التفاهم سرا مع بريطانيا العظمى على أن تقدم له حماية بحرية بريطانية اذا هو نجح في طرد الأتراك بغير مساعدة خارجية من أراضى أجداده ••• ولن يقوم بمحاولته الا بعد مضي أربع سنوات أو خمس » •

قضت السلطات البريطانية وقتاً طويلاً في دراسة الاقتراح الجديد ولكنها لم تجد مبرراً كافياً للتحلل من سياسة نفوذ اليمين من شئون جزيرة العرب الداخلية • وفي شهر ربيع الأول أو الثاني عام ١٣٢٥ هـ الموافق لمايو ١٩٠٧ م أبلغ مورلى حكومة الهند أنه « اذا لم يكن بد للميجر كوكس من أن يرد على وضاء ابن سعود فعليه أن يبلغهم أن مقترحات الأمير الوهابى تنطوى على اعتبارات (ترى حكومة جلالتهم البريطانية استحالة قبولها) ، واذن فليس له (أى ابن سعود) أن يتوقع رداً » ويقول كاتب سيرة كوكس « فكان على حكومة الهند ومعتمدها في الخليج أن يقنعا بهذا الرد المقتضب » •

كانت نتيجة كل هذا أن وجد عبد العزيز آل سعود نفسه حراً للتقدم
صوب عمان ، غير أنه لم يبادر إليه ، لا لأنه لم يكن راغباً فيه ، بل لأن
العمل المتواصل في نجد شغله عنه ، فعبء تحقيق الوحدة في بلاد كانت
تسودها الفوضى استغرق اهتمامه خلال سنوات عديدة •

سلطان مسقط والشرقية

١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ - ١٩٠٧ م

توثقت علاقات الصداقة بين السلطان فيصل وعيسى بن صالح حاكم الشرقية حوالى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م أكثر منها فى أى عهد مضى . وكان من بين أسباب هذه الصلة ، اشتباك عيسى ، زعيم فئة الهناوية فى عمان ، مع حمير بن ناصر النبهانى زعيم قبيلة بنى ريام الواسعة النفوذ فى فئة الغافرية . وفى آخر عام ١٣٢٤ هـ الموافق لمستهل عام ١٩٠٧ م زار سليمان بن سويلم ، وكان السلطان قد جعله سيف دولته ، الشرقية لمباحثة عيسى . وعندما قفل سليمان راجعا الى مسقط ، وكان يرافقه وجوه الناس من أهل الشرقية ، لقي حتفه على يد جماعة من قبيلة السيابيين الغافرية ، التى كانت شديدة الاستنكار للأسلوب القاسى الذى كان ينهجه سليمان مع القبائل . وقد استاء عيسى من الاعتداء على ضيفه ، ولكن عمل السلطان بنفسه على الانتقام من السيابيين . و انتهى عهد التقارب بين السلطان وعيسى بعد هذا الحادث بمدة قصيرة .

خاتمة تاريخ السالمى للاباضيين

١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م

توفى فيصل بن حمود بن عزان ابن عم الامام الراحل فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٢٨ هـ الموافق لمايو ١٩١٠ م فى الواصل فى بديّة • وكان آخر من بقى من الأبطال الذين احتفظوا بالامامة من عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م الى عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧١ م • وينتهى التاريخ الذى كتبه عبد الله بن حميد السالمى عن الاباضيين فى عمان بنبأ وفاة فيصل • وعلى هذا فان معلوماتنا عن الأحداث التى وقعت فى عمان ، ابتداء من هذه السنة فصاعدا ، ينقصها أحيانا شىء من الدقة لأنها مستقاة فى الأغلب من مصادر أجنبية •

ومما يؤسف له بصفة خاصة أن السالمى لم يتابع عمله حتى فرغ من قصة بعث الامامة فى عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م ، وهى تعد تطورا هاما كان له فيه شأن كبير •

بعث الإمامة

١٣٣١ هـ ١٩١٣ م

اتخذت الخطوة الحاسمة في الحملة المشبوبة على حركة تهريب الأسلحة والذخيرة في عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م فأنشأت حكومة السلطان في مسقط مخزنا تمر به الأسلحة تحت مراقبة الحكومة . وكافأ الانكليز السلطان ، لاصداره الأمر القاضي بإنشاء المخزن ، بمبلغ مائة ألف ربية أضافوه الى الاعانة السنوية التي تمنح له . وقد أرسل عيسى بن صالح في السنة نفسها الى السلطان كتابا شديد اللهجة احتج فيه على التدخل في تجارة الأسلحة .

وقد بلغت رغبة سكان الداخل في دعم مركزهم واطهار استيائهم من سياسة السلطان ، حدها الأعلى في شهر جمادى الأولى عام ١٣٣١ هـ الموافق لمايو ١٩١٣ م فأخذ رجال الدين في عمان ، وهم يستلهمون في أعمالهم أستاذهم السالمى المؤرخ الضريع ، يعملون مع زعماء القبائل على احياء الامامة . وقد اختير سالم بن راشد الخروصي ، صهر السالمى وتلميذه وأحد أفراد قبيلة خرج منها أئمة كثيرون في الأزمنة الخالية ، فكان أول امام لعمان في القرن الهجرى الرابع عشر الموافق للقرن الميلادى العشرين .

من بين الأسباب الجوهرية التى أدت الى بعث الامامة ، تحقيق الاتفاق بين فئتي الغافرية والهناوية . وكان يتزعم الغافرية حمير بن ناصر النبھانى رئيس بنى ريام فى الجبل الأخضر ، وكان يتزعم الهناوية عيسى بن صالح الحارثى رئيس الحرث فى الشرقية . وما فتىء هذا الاتفاق قائما الى يومنا هذا . وقد خلف ولدا الزعيمين المذكورين والديهما .

قوات الإمامة تهدد مسقط

١٣٣١ - ١٣٣٣ هـ ١٩١٣ - ١٩١٥ م

في صيف عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م احتلت قوات الامامة الجديدة مدينتي نزوى وازكى في عمان الوسطى . ولما كان الانكليز قد صرحوا بأنهم لن يسمحوا بالهجوم على مسقط ومطرح ، فانهم رأوا من الأفضل أن يرسلوا شرذمة من الجنود الهنود الى بيت الفلج خارج مسقط . وفي شهر رمضان الموافق لأغسطس سقطت سمائل ، وهي منفذ الداخل الى الساحل ، في أيدي أتباع الامام ، وفي شهر شوال الموافق لسبتمبر ضاعف الانكليز حاميتهم في بيت الفلج . وقد أدى ضياع سمائل في الواقع الى زعزعة مركز السلطان ، لأن السلطان بغير سمائل لن يكون أكثر من « شيخ مسقط » كما قال كوكس .

وفي خضم هذه الأزمة ، خلال شهر ذي القعدة عام ١٣٣١ هـ الموافق لأكتوبر ١٩١٣ م مات السلطان فيصل بن تركي . وقد حاول ابنه وخليفته تيمور ، وهو صديق قديم لعيسى بن صالح ، أن يصل الى تسوية مع الامامة عن طريق عيسى . وقد زار عيسى مدينة مسقط في شهر محرم عام ١٣٣٢ هـ الموافق لديسمبر ١٩١٣ م للتشاور ، غير أن المناقشات لم تسفر عن نتيجة .

لم تقع في خلال عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م أحداث حاسمة على الرغم من أن عداوة الداخل للسلطان ظلت على حداثها . وفي أواخر تلك السنة الهجرية أو في أوائل السنة التالية (أي في شهر نوفمبر عام ١٩١٤ م)

وصلت امدادات هندية جديدة لتعزيز موقف الانكليز • ولما نشبت الحرب العالمية في أوروبا قيل ان الدعاية الألمانية ، وقد كانت تعمل عن طريق زنجبار ، كانت تلقى وقودا على اللهب المشتعل في عمان •

وأخيرا تحرك الامام والشيخ عيسى في أوائل عام ١٣٣٣ هـ الموافقة ليناير ١٩١٥ م • وقد حاولت قواتهما أن تطرد الحامية الهندية خارج مسقط ، غير أن المدافعين تغلبوا على القوة المهاجمة وأرغموها على التقهقر بعد أن كبدوها خسائر فادحة ، وهكذا انتهى بالفشل آخر تهديد وجهته الامامة صوب مسقط نفسها •

عبد العزيز آل سعود وعمان

١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م

كان عبد العزيز آل سعود قد فكر في عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م في استرداد اقليم الحسا من الأتراك الذين كانوا قد اغتصبوه من عميه في عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م. ولم يستطع عبد العزيز أن يضع هذه الفكرة موضع التنفيذ حتى عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م لأن التطورات الداخلية في نجد قد صرفته عنها . وفي فصل الربيع من ذلك العام انقض على الحاميات التركية الضعيفة التي كانت تحتل المدن في الشرق وتغلب بسرعة على مقاومتها ثم طردها الى الساحل لتبحر من الجزيرة العربية .

كان انتصار عبد العزيز أمرا غير متوقع من قبل بريطانيا العظمى والدولة العلية العثمانية وقد أثار حيرتهما . وعندما سددت الضربة ، كانت الدولتان مشغولتين في مفاوضات تهدف ، فيما تهدف اليه ، الى تعيين الحد الشرقى للمنطقة التي تحتلها الدولة العثمانية في الجزيرة العربية على السواحل الجنوبية للخليج الفارسي . ولم توقع الاتفاقية التي تمخضت عنها تلك المفاوضات الا في شهر شعبان عام ١٣٣١ هـ الموافق ليوليه ١٩١٣ م ، وكان هذا بضعة أسابيع بعدما فقد الأتراك الحسا وبات الموقف كله على الشاطئ الجنوبي للخليج تحت ظل تبدل شامل . ومع هذا فلم تراع الاتفاقية المركز الجديد لعبد العزيز آل سعود بوصفه مسيطرا على أغنى قطعة من الأرض تمتد على الساحل الجنوبي للخليج ، وبدلا من هذا أشارت الاتفاقية الى (سنجق نجد العثماني) وكان من المفروض أن

الحسا جزء من هذا السنجق • وعين الحد الشرقي للسنجق فجعل خطا يبدأ من أدنى حافة (أى الحافة الجنوبية) لخليج الزخونية ويتجه الى الجنوب رأسا حتى الربع الخالى (ويعرف هذا الحد بالخط الأزرق وقد رسم على خريطة ألحقت بالاتفاقية لكى ينتهى عند خط العرض ٢٠° شمالا) • وقد كتب كوكس المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج يصف فتح عبد العزيز للحسا فقال :

لو تم هذا التحول فى أى وقت قبل اللحظة التى بدأنا فيها المفاوضات مع الأتراك على هذه الاتفاقية الودية التى اعترفنا فيها تعييننا وضمنا بأن الحسا ملك لهم^(١) ، لكان هذا الفتح خليقا أن يكون متوقعا ومسلما لنا • ولكن حدوث ذلك الآن جاء غير ملائم الى حد كبير •

ومع أن الاتفاقية البريطانية التركية قد وقعت فى عام ١٩١٣ إلا أنها لم تدخل مرحلة التنفيذ قط ولم يكن لها من أثر ملزم لأى طرف كان ، وبالإضافة الى الحقيقة الواقعة ، حقيقة عدم المصادقة عليها ، فإن ثمة شكاً فى مقدرة الحكومة العثمانية على وضع اتفاق يتناول ممتلكات لم تكن فى ذلك الحين تحت سيطرتها ، وينبغى أن ننظر بعين الاعتبار الى أن هذه الاتفاقية كانت متعلقة باتفاقيات بريطانية تركية متشابكة أخرى انهارت أركانها عندما ألفت الدولتان نفسيهما مشتبكتين فى الحرب العالمية الأولى ، وقد وقعتا فيها على طرفى تقيض • وعلى أية حال فقد أدعت الحكومة البريطانية من وقت لآخر أن الإشارة الى الخط الأزرق الذى عينته اتفاقية عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م فى اتفاقية بريطانية تركية

(١) لم يتوخ كوكس الدقة فى قوله أن الاتفاقية اعترفت بأن الحسا أرض تركية ، ذلك لأن نص الاتفاقية لم يذكر الحسا بالذات على الرغم من أن الخريطين الملحقين به ترسمان الحسا بوصفها جزءا من الأرض الداخلة ضمن « سنجق نجد-العثمانى » •

عقدت فيما بعد ، وتتناول بصفة خاصة حدود عدن — وقد وقعت في شهر ربيع الثاني عام ١٣٣٢ هـ الموافق لمارس ١٩١٤ م وتمت المصادقة عليها في شهر رجب ١٣٣٢ هـ الموافق ليونيه ١٩١٤ م — ادعت الحكومة البريطانية أن تلك الاشارة تعد ملزمة لنص اتفاقية عام ١٣٣١ هـ فيما يتعلق بهذا الحد .

وفي المدة التي كان المفاوضون الانكليز والأتراك يعملون فيها ، كان كوكس هو الرجل المسئول في الخليج عن معالجة الموقف الجديد الذي ترتب على انتصار عبد العزيز ، وقال كوكس :

كتب (عبد العزيز) الى كتابا وديا جدا صريحا شكّا فيه أولا ... من السماح للأتراك باستخدام البحرين قاعدة لهم ، ثم استطرد فقال انه راغب أشد الرغبة في أن تربطه بنا علاقات ودية ... وهو يرجو أن يحاط علما معينا بما سيكون عليه موقفنا ، ويطلب أن يقوم بيننا تفاهم خالص ... ومع هذا فهو يلح في أن يعلم صراحة اذا كنا غير راغبين في هذه الصداقة ، ليكون على بينة من أمره وليتدبر السبيل الى حماية مصالحه .

ويصف كاتب سيرة كوكس المأزق الذي أحاط بالمعتمد السياسى والفكرة التي عرضت له للخلاص منه ، فيقول « ... ان زعماء الساحل ، في المنطقة الممتدة حتى عمان ، كانوا يخشون من احتمال انتعاش الوهابيين على حسابهم وراحوا يتطلعون الى الانكليز يلتمسون ارشادهم . وأدرك كوكس أننا لن نستطيع الوصول الى تسوية معه (أى عبد العزيز) من وراء ظهر الترك فاقترح أن نواجه الأمر الواقع وأن نبسط متاعبنا للأتراك وأن نقنعهم في أمانة بأن يجعلوا عبد العزيز واليا اسما على سنجق

الحسا^(١) وأن يوافقوا على السماح لنا بالوصول الى تفاهم معه بصفته حاكما من حكام الساحل لحماية الصلح البحرى ولمنع حركة تهريب الأسلحة وللإبقاء على المعاملة الودية الخاصة بالشيوخ الذين لهم معاهدات مع بريطانيا العظمى » • وكتب كوكس نفسه يقول :

لو أننى استطعت أن أبلغ أمراء ساحل الصلح البحرى أننا على اتفاق معه (أى عبد العزيز) ••• لاتهى الأمر ، ولكننى لن أستطيع ، ونتيجة لهذا سيظل أولئك الأمراء فى حالة مطردة من القلق والاضطراب •

لقد كان لدى كوكس ما يحمله على الاعتقاد بأن ثمة احتمالا فى امتداد نفوذ الموحدين صوب الشرق من جديد ، وكان عبد العزيز بدوره يحلم بعمان فى تلك الفترة كما يثبت من البيان الذى أدلى به الى مندوب جريدة الدستور البصرية حوالى شهر ذى القعدة عام ١٣٣١ هـ الموافق لآكتوبر ١٩١٣ م ، فقال :

ان الدولة العلية حفظها الله غصبت آبائى هذا اللواء بدون مشروع بحجة دعوة عبد الله آل سعود شقيق والدى ومن بعد أن أخذته لم تحسن اليهم صنعا • وكان والدى يومئذ ولى العهد بعد والده على امارة نجد التى يدخل فيها اللواء وما يتبعه وعمان وسواحله ولما اشتد الخصام بين سعود وعبد الله آل سعود على الامارة أرسل الأخير مندوبا الى بغداد لمفاوضة واليها

(١) يقصد ما كان الاتراك يسمونه (سنجق نجد) وهو فى الحقيقة ما يسمى اليوم بمقاطعة الحسا •

في مسأله مع أشقائه وبقى ينتظر من الدولة اسعافه
ونجدته لاختاد نار الفتنة المتأججة ، غير أن الدولة
وجدت أن قد آن زمن الاحتلال فوضعت يدها من ذلك
الوقت على الحسا وأبعدت أمراءها عنها مع أنه لم تبدر
منهم بادرة تستوجب ما أتته • وليت الدولة احتلت
ما يدانى الحسا من البلاد كعمان وغيرها التي تركتها
هملا ومكنت الدولة الأجنبية من أن تقذف فيها نار
الفتن لتحصل على ما تنويه •

••• ثم جاءتني محاضر (مضابط) فيها توابع كثير
من العلماء والوجوه قائلين ان لم تسعفنا نضطر الى
ما لا تحمد عقباه • وفي تلك المطاوى سمعت أن الدولة
تنازلت عن حقوقها في خليج فارس وسواحلها فاستندت
حينئذ على ما لى من الحقوق الشرعية في هذا القطر
بمنزلة أساس فبادرت الى تلبية طلب الأهالي ليكونوا
في حرز حرز من فتك أرباب الفساد فيهم وابعاد
الأجانب عن ديارهم •

وقد نشرت مجلة لغة العرب البغدادية في شهر ذى القعدة عام ١٣٣١ هـ
الموافق لنوفمبر ١٩١٣ م نبأ مؤداه أن عبد العزيز آل سعود قد قسم
جنوده الى أربعة فيالق وهي (١) جند عمان و (٢) جند الحسا
و (٣) جند القصيم و (٤) جند الرياض • وقال ألويس موسل
Alois Musil المؤرخ والرحالة التشيكي الذي طوّف بشمال الجزيرة
العربية في خلال تلك الفترة ، قال في حوالى عام ١٣٣٤ هـ الموافق ١٩١٦ م
ان عبد العزيز في أواخر عام ١٣٣١ هـ أو أوائل ١٣٣٢ هـ الموافقة

لأواخر ١٩١٣ م قسم دولته الى أربع مقاطعات وهى (١) عمان و(٢) الحما
و(٣) القصيم و (٤) الرياض •

وكتبت لغة العرب كذلك فى شهر ذى الحجة عام ١٣٣١ هـ الموافق
لنوفمبر ١٩١٣ م أن عبد العزيز آل سعود قد وصل الى اتفاق مع أمراء
الشارقة وأم القيوين ورأس الخيمة ودبى على ساحل الصلح البحرى ،
ومع أمير البريمى أيضا ، غير أن نصوص هذا الاتفاق لم تذع ولم نجد
ذكرها فى مصادر أخرى • وسيلاحظ القارىء اغفال أمير أبو ظبى من
قائمة الأمراء •

كتب صحفى من أصل نجدى فى مجلة لغة العرب فى شهر محرم
عام ١٣٣٢ هـ الموافق لديسمبر ١٩١٣ م فقال ان أراضى عبد العزيز
آل سعود تضم « من جهة الشرق الأحساء ويتبعها (كذا) بلاد عمان
وقطر والقطيف وما فى تلك الديار » ، وانها تصل من جهة الجنوب الى
شمالى حضرموت •

ويؤخذ من أقوال المصادر البريطانية أن عبد العزيز عقد فى أوائل
عام ١٣٣٢ هـ الموافقة لأواخر ١٩١٣ م « اجتماعا وديا مع الوكيلين
السياسيين للبحرين والكويت » . وقد أشارت مجلة لغة العرب الى نفس
الاجتماع بلا شك عندما قالت فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٣٢ هـ
الموافق لابريل ١٩١٤ م ان عبد العزيز قد اتفق مع الممثلين البريطانيين
فى العقير على النقاط الآتية :

١ - تبقى جزيرة البحرين على حالتها الراهنة

• أى تحت سطوة الانكليز •

٢ - تبقى عمان وقطر لابن سعود بدون أن يحدث

فيهما شىء جديد •

- ٣ — يحافظ ابن سعود على رعايا الانكليز وتجارتهم
محافظة الانكليز على شئون ابن سعود .
٤ — قبول فتح محلات تجارية في عمان واتباع التجار
الأجانب لأحكام البلاد في كل قضية .
٥ — محافظة الانكليز على البحر ومنع الاعتداء على
ابن سعود .

وقيل بعد ذلك ان الطرفين أخفقا في الوصول الى اتفاق على مايتعلق
بنقطتين ، وهما (١) مسألة ادخال الأسلحة ، و (٢) مسألة مسقط .
صحيح أن يكون التعويل على هذا المصدر غير الرسمي مشارا
للتساؤل . ولم يذكر كاتب سيرة كوكس شيئا عن اجتماع عقد في هذا
الوقت ، ذلك لأن كوكس كان قد عين رئيسا لادارة الشؤون الخارجية
في حكومة الهند ، وفي أوائل شهر محرم عام ١٣٣٢ هـ الموافق لأوائل
ديسمبر ١٩١٣ م سافر من الخليج الى انكلترا لقضاء اجازته هناك .
وسواء كانت كل المعلومات التي سبق ذكرها آثفا دقيقة أو غير دقيقة ،
فان ثمة دليلا كافيا على أن عبد العزيز آل سعود كان يعتقد في عام ١٣٣١
— ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٣ م على وجه التقريب أن له حقوقا على ساحل
الصلح البحرى وفي عمان ، وان الانكليز كانوا يخشون ماقد يحدث في تلك
المناطق نتيجة لعودة موحدى نجد أخيرا الى الحسا وساحلها . وفي النهاية
حالت الأحداث الهامة التي وقعت في مناطق بعيدة بين عبد العزيز وبين
التقدم في شرق الجزيرة العربية كما كانت الحال في عام ١٣٢٤ هـ الموافق
١٩٠٦ م . وكان نشوب الحرب العالمية في عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م
بوجه خاص وما ترتب عليها من آثار في شمال الجزيرة وغربها وفي الاقليم
الواقع عند رأس الخليج الفارسي أمرا يدعو عبد العزيز الى اليقظة
والانتباه .

لم نجد بعد أى خبر عن مباحثات أخرى بين عبد العزيز والانكليز فيما يتعلق بساحل الصلح البحرى وعمان حتى أوائل عام ١٣٣٤ هـ الموافقة لأواخر ١٩١٥ م . وقيل ان عبد العزيز عقد اتفاقا مع الحكومة العثمانية فى الصبيحية فى ٤ رجب عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٥ مايو ١٩١٤ لقت تلك الحكومة فيه عبد العزيز واليا وقومنداننا لنجد الذى اعتبر ولاية عثمانية ، ومهما يكن من أمر هذا الاتفاق فان عبد العزيز قد كشف عن استعداده عقيب نشوب الحرب العالمية فى عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م للتعاون مع الانكليز ضد الدولة العثمانية ووافق على استقبال الكابتن شيكسبير W.H.I. Shakespear بصفته ممثلا بريطانيا قادمًا الى الرياض فى بعثة خاصة .

فى شهر صفر عام ١٣٣٢ هـ الموافق ليناير ١٩١٥ م كتب شيكسبير كتابا الى كوكس وكذ فيه عطف عبد العزيز على قضية بريطانيا ، وذكر أن الأمير عاد يطلب اليه عقد معاهدة خاصة مع بريطانيا ، ذلك لأن « حالته غير المعينة كانت تثير حيرته ، وأنه قد يجد نفسه مكرها — اذا لم تعقد معاهدة من هذا القبيل — على اصطناع موقف يميل فى الظاهر الى صالح تركيا » . وفى الشهر التالى لقي شيكسبير حقه فى معركة جراب التى دارت بين قوات سعودية وقوات رشيدية . وظل المنصب الذى كان يشغله فى عاصمة نجد شاغرا بعض الوقت .

فى أوائل عام ١٣٣٣ هـ الموافقة لأواخر ١٩١٥ م زار اللورد هاردنق Hardinge ، نائب الملك فى الهند ، الخليج الفارسى . وقد حاول الشيخ مبارك آل صباح ، حاكم الكويت وأستاذ عبد العزيز القديم ، أن يقنع أمير نجد بالقدوم للسلام على نائب الملك فى خلال فترة اقامته بالكويت فى شهر ربيع الأول الموافق لفبراير ، غير أن عبد العزيز أبى أن يفعل هذا .

لم تعقد المعاهدة التي كان عبد العزيز يلح في عقدها مع الانكليز الا في ١٨ صفر عام ١٣٣٤ هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ م اذ اجتمع هو وكوكس في دارين بالقرب من القطيف لتوقيع الوثيقة . وقد اعترف الانكليز فيها بأن نجدا والحسا والقطيف والجبيل « وتوابعها والتي يبحث فيها وتعين أقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج فارس هي بلاد ابن سعود » ، وتعهد هو من جانبه « كما تعهد آباؤه من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية ولها صلات عهدة مع الحكومة المذكورة وأن لا يتدخل في شئونها . وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين في ما بعد » .

فلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ م عندما استبدلت بمعاهدة جدة التي تعهد فيها الملك عبد العزيز آل سعود « بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الذين لهم معاهدة خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية » .

الإمامة والسلطنة

١٣٣٣ - ١٣٣٩ هـ - ١٩١٥ - ١٩٢٠ م

زار اللورد هاردنق ، نائب الملك في الهند ، مدينة مسقط في خلال شهرى ربيع الأول و ربيع الثانى عام ١٣٣٣ هـ الموافقين لفرابر ١٩١٥ م ونصح السلطان بمسألة شعب الداخل لأن الانكليز لن يستطيعوا أن يظلوه بحمايتهم الى أجل غير محدود . وقد بسط الوكيل السياسى في مسقط العقبات التى تقف في سبيل الوصول الى اتفاق يرضاه السلطان ، وهى :

١ - ان العصاة قابضون على مفتاح الموقف ، فانهم يحتلون وادى سمايل وحصنه اللذين كانا لا غنى عنهما لازدهار التجارة في مسقط .

٢ - ان الثورة قد اتسمت بطابع دينى وأن الامام يدعو الى الجهاد . وأكثر من هذا فان كثيرين من الثوار لقوا حتفهم على يد قوات الانكليز في الهجوم الفاشل الذى شنوه في شهر يناير ، فضلا عن هذا فان شعور السخط قد بلغ مبلغا أصبح من العسير ازالته .

٣ - ان العرض الخاص بمنح اعانات للقبائل ليس خليقا أن يكون وسيلة مغرية لاقناعها ، ذلك لأن الامام قد يحرم من قبول الاعانات بوازع دينى ، وأن الزعيمين الآخرين ينعمان بدخل كبير من مركزيهما الحاليتين ومن أراضى الدولة التى قد قبضا عليها في الداخل .

٤ - ان خفض عدد رجال الحامية الى العدد العادى

سيترك السلطان دون مساعدة يعتمد عليها ، ذلك لأن السفن البريطانية في زمن الحرب يغلب أن تكون على بعد غير يسير من مسقط بخلاف ما تكون عليه الحال في زمن السلم .

في الفترة الواقعة بين أواخر شهر جمادى الأولى وأوائل شهر شعبان عام ١٣٣٣ هـ أى بين أبريل ويونيه ١٩١٥ م ظلت الرسائل والمباحثات متصلة بين زعماء الامامة وممثليهم من ناحية وبين الوكيل السياسى البريطانى ، بوصفه وسيطا ، من ناحية أخرى . وقد تمخضت هذه المباحثات عن الأسباب الجوهرية للعداوة التى يحس بها أتباع الامامة حيال السلطان وهى :

- ١ - ان قمع تجارة الرقيق يعد أمرا غير مشروع ، لأن هذه التجارة تسمح بها أحكام الاسلام .
- ٢ - ان تجارة الأسلحة والذخيرة ينبغى ألا يسمح بالتدخل فيها .
- ٣ - ان السلطان كان فاشلا في تطبيق شريعة الاسلام فيما يختص بكل القضايا المدنية والجنائية .
- ٤ - كان السلطان يسمح باستيراد التبغ والخمور ، وهذا مما تحرمه أحكام الاسلام .
- ٥ - كان السلطان يعتمد على تأييد جنود الانكليز ، مع أن الواجب كان يقضى باقصائهم .
- ٦ - كان السلطان يفرض حصارا على الداخل بأن يقطع عنه تيار الواردات المألوف .
- ٧ - ادعى الانكليز سيطرتهم على البحر مع أنه ينبغى أن يكون مشاعا للجميع .

والنقطة الأخيرة ، وقد تقدم بها قاضى الامام نفسه ، تعد مهمة بصفة خاصة ، لأن الامامة فى معزلها وراء الجبال قلما أبدت أى اهتمام بالمشاكل المتعلقة بالبحر .

وقد بعث الامام بكتاب الى الوكيل السياسى وكذ فيه انه لن يستطيع أن يجرى أى اجراء يهدف الى عقد صلح دون استشارة نواب شعبه الذى يقطن أفراده المنطقة الممتدة من الشرقية الى نزوى كلها .

وفى شهر شوال عام ١٣٣٤ هـ الموافق لأغسطس ١٩١٥ م تلقى الوكيل السياسى كتابا بتوقيع الامام وعيسى بن صالح وحمير بن ناصر وقاضى الامام ، وقد طلبوا اليه فيه أن يجتمع بعيسى بوصفه ممثلا للامام على مقربة من السيب على الساحل . واستصحب عيسى قاضى الامام الى هذا الاجتماع الذى تم فى شهر محرم عام ١٣٣٤ هـ الموافق لستمبر ١٩١٥ م . واذا تقدمت المباحثات ، أحس الوكيل السياسى أنه بات ممكنا الوصول الى حل وسط . وكانت النقطة الرئيسية مثار الخلاف اصرار السلطان على أن تجلو قوات الامامة لمصلحته عن الاستحكامات القائمة عند سمائل . ويبدو أن عيسى كان يوشك أن يقبل هذا ، لولا أن تدخل القاضى مؤكدا أن الاستحكامات المذكورة لن تخلى ما دام الامام حيا . عاد عيسى الى الشرقية بعد أن انقض اجتماعه مع الوكيل السياسى ، وكان المتوقع أن يشن هو والامام هجوما على ميناء صور . ولم تكن هناك فى الشرقية غير قبيلتين لم تتحالفا معهما ، وهاتان القبيلتان هما بنى بو حسن والجنبة . ومع ذلك فانه يبدو أنه لم يقع أى هجوم بالقوة على صور .

فى شهر رمضان عام ١٣٣٤ هـ الموافق لىوليو ١٩١٦ م استولى الامام على الرستاق من أحمد بن ابراهيم وبذلك ضمن لنفسه قاعدة توطد سلطته على مرتفعات الجبل المطلّة على الساحل الذى يحتله السلطان . ويقال

ان ثمة خلافا في الرأي شجر بين الامام وعيسى بن صالح قبل فتح الرستاق ،
ذلك لأن عيسى أيد فكرة ابقاء أحمد بن ابراهيم متوليا لشئون تلك
المنطقة .

في خلال الأعوام الأربعة التي تلت هذا الحادث كانت هناك
مفاوضات أخرى تجرى بين الحين والآخر ، عن طريق وساطة الانكليز ،
غير أنها لم تصب نجاحا . وكان السلطان يطالب باسترداد الأشياء
العائدة له التي قد صودرت في الداخل ، غير أن زعماء الامامة لم يكونوا
على استعداد للتسليم بهذه المطالبة .

عقد الإمامة للشيخ الخليلي

١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

في عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م لقي الامام سالم بن راشد الخروصي حتفه على يد رجل من قبيلة آل وهيبة لا لسبب ، على ما يقال ، سوى الحقد على الامام لأنه سجنه يوما ما .

بادرت الجماعة الاباضية الى تعيين خليفة للامام الذي راح ضحية للرصاص التي أطلقها عليه القاتل . ووقع اختيار النخبين على الشيخ محمد ابن عبد الله الخليلي حفيد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، الساعد الأيمن للامام عزان بن قيس في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي . وقيل ان الامام الجديد على وفاق تام مع عيسى ابن صالح ، أقوى زعماء الاباضيين في الداخل وأوسعهم نفوذا .

الاتفاق بين الإمامة والسلطنة

١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م

وصلت الامامة والسلطنة أخيرا في عام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م الى اتفاق لم تقف على نصوصه بوجه الدقة • ويقول أيتشنسن Aitchison :
ان فرض ضريبة جزائية في سنة ١٣٣٨ هـ الموافقة
١٩٢٠ م على الصادرات من الداخل حمل أهل عمان
على مصالح حكومة السلطان بفضل وساطة الوكيل
السياسي •

أما ولفرد ثيسيجر Wilfred Thesiger ، الرحالة البريطاني الذي
قضى وقتا طويلا في الطواف بعمان وما جاورها في الأعوام الأخيرة ،
فيقول :

انه في عام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م وقعت
معاهدة بين السلطان والعمانيين ، وقد وافق السلطان
بمقتضاها على ألا يتدخل في الشؤون الداخلية لعمان •

أما الكابتن أكلز G. J. Eccles ، وكان قد تولى قيادة قوات
السلطان في بيت الفلج وكان خبيرا في شئون السلطنة ، فأشار مرتين
في سنة ١٣٤٥ هـ الموافقة ١٩٢٦ م الى الاتفاق وقال :

ان ثمة معاهدة وقعت عن طريق وساطة الوكيل
السياسي ، ولم يقع عدوان جديد منذ توقيعها •
••••• لقد وقعت معاهدة بين مسقط والشيخ عيسى
تعد تسليما ضميا باستقلاله •

أما برترام توماس Bertram Thomas، وهو رجل انكليزي كان وزيرا ومستشارا ماليا لسلطان مسقط من عام ١٣٤٣ الى عام ١٣٤٩ هـ على وجه التقريب أى من عام ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ م ، فكان أكثر تحديدا في ما كتب وقال :

أمكن الوصول الى تسوية تقوم على أساس الحالة
الراهنة وبمقتضاها ظل السلطان سلطانا من الوجه القانوني
على مسقط وعمان . ونصت التسوية على أن تكون
لقبائل الداخل حكومة من بينهم . تعتمد على أساس
الأمر الواقع ، لتدبير شئونهم المحلية البحتة .

وهذا القول يحتمل تفسيره بأكثر من تفسير واحد ، فقد يعنى قائله
أن السلطان ظل سلطانا على مسقط وعمان لا لسبب سوى أنه كان يدعى
هذا اللقب لنفسه من زمن بعيد وأن الحكومة البريطانية كانت قد اعترفت
بلقبه هذا منذ أمد طويل ، أو قد يعنى صاحب القول أن ممثلي الامامة
أقروا قانونية هذا اللقب ، ولكن المبادئ التي تقوم على أساسها الامامة
واصرار المصادر الشفوية في عمان على أن السلطان لم يعترف به هناك
قط سيدا مطاعا ، كل هذا يلقي شككا على هذا التفسير الأخير .

وفي أوائل عام ١٣٣٨ هـ الموافقة لأواخر سنة ١٩٢٠ م ذهب القنصل
الفرنسي فادالا R. Vadaia الى مسقط ليخلق القنصلية الفرنسية
هناك ، فكتب معقبا على اتفاق ١٩٢٠ ما يلي :

كانت الحرب قد ظلت ناشبة سبع سنوات بين
سلطان مسقط وداخل عمان ، ولم تنته الا في ١١ محرم
عام ١٣٣٩ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ م يوم وقعت
وثيقة الصلح في السيب بين السلطان تيمور وعيسى

ابن صالح الذى كان يمثل جميع القبائل المحاربة ، وكان
ونقت القنصل البريطانى^(١) هو الوسيط فى عقده ،
وبمقتضاه حق لأهل مسقط وعمان أن يتاجروا ويسافروا
بحرية ، ولكن فرضت ضريبة خمسة فى المائة على جميع
سلع الداخل ساعة وصولها الى الساحل ، وبفضل هذا
الصلح ، الذى كان ينتظر أن يعقبه ميثاق سرى يحظر
كل طلب للتدخل الأجنبى ، صارت عمان اليوم هادئة
وغدا فى وسع التجارة أن يتسع نطاقها •

ولم يعثر على ذكر آخر للميثاق السرى الذى أشار اليه فادالا •

(١) كان ونقت R.B.L. Wingate يوفد الوكيل السياسى والقنصل البريطانى
فى مسقط .

الانكليز والساطنة

١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ ١٩٢٣ - ١٩٢٥ م

ان التسوية التى وقعت مع الامامة فى سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢٠ م لم تحل مشاكل السلطان جميعا اذ أخذ عرشه بعد تلك المعاهدة ببضعة أعوام يهتز من تحته ، حتى اضطر الانكليز الى العمل على الحيلولة دون انهياره . ويقول برترام توماس «لقد جاءت مساعدة بريطانيا فى شكل قرض قدمته حكومة الهند لتصفية ديون الدولة وللعمل على تنظيم فيلق للدولة يتولى قيادته ضابط بريطانى . وقد أصلحت المحاكم وأنشئ مجلس للدولة يتولى الحكم باسم السلطان فى حالة غيابه . ونصح السلطان بأن يستعين بخدمات وزير بريطانى ، كاجراء موقت » .

كتب السلطان تيمور فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٤١ هـ الموافق ليناير ١٩٢٣ م كتابا الى القنصل البريطانى فى مسقط جاء فيه :

ردا على كتابكم رقم ١٧٥١ المؤرخ ٢٦ ربيع الثانى عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ م نحيط جنابكم علما بأننا نوافق على ألا نستغل البترول الذى قد يعثر عليه فى أية بقعة تدخل فى نطاق أراضينا وأننا لن نمنح أحدا اذنا باستغلاله دون استشارة الوكيل السياسى فى مسقط ودون موافقة حكومة الهند السامية . وأن ما وصل الى مسامعنا عن وجود الزيت المعدنى فى أراضينا بمصرة لم تتحقق صحته بعد . وقد بدأنا التحرى عن وجود هذا المعدن وبعد أن تقف على حقيقته سنبحث

مع جنابكم في أمر استغلاله واتخاذ التدابير اللازمة وتنظيم العمل ووضع الشروط اللازمة • وسيكون العمل بطبيعة الحال احتكارا • ونحن نثق في المساعدة الكاملة التي ستمدنا بها حكومة الهند السامية في هذا الأمر الخطير الشأن ، كما سبق لها أن عاوتتنا على الدوام ، مما استوجب شكرنا (١) •

في عام ١٣٤٣ أو ١٣٤٤ هـ أي في ١٩٢٥ م منح السلطان تيمور شركة دارسي D'Arcy امتيازاً للتنقيب عن البترول والغاز الطبيعي وغيرهما من المنتجات ولكن الامتياز انتهى بعد مرور ثلاثة أعوام •

في عام ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٣٧ م منح السلطان سعيد بن تيمور ، الذي خلف أباه عام ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣٢ م ، امتيازاً جديداً لإنتاج البترول ونقله ، وتنتفع بهذا الامتياز شركة استثمار البترول (عمان ووظفار) المحدودة ، وهي تابعة لشركة نفط العراق •

(١) لقد أوردنا هذا النص من الترجمة الانكليزية الرسمية لكتاب
السلطان •

زحف قوات الإمامة صوب البريمي

١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م

أدرك زعماء الامامة في عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م أن نفوذ عبد العزيز آل سعود آخذ في الازدياد ولهذا شرعوا في ارسال حملة لاختضاع البريمي والظاهرة كلها لهم . وكان الجيش يضم رجالا من النافرية والهناوية معا ، وكان يرافق الامام عيسى بن صالح وسليمان بن حمير . وكان أعظم عمل حققته الحملة هو فتح مدينة عبري ، وقد عين لها الامام واليا . وتعد هذه المدينة منذ ذلك الوقت الحد الغربي لأراضي الامامة . وبعد أن بلغت الحملة هذه المدينة ساءت الأمور اذ دب الخلاف بين الصفوف ، وأصيب عيسى بداء الاستسقاء . وكان من نتيجة هذه المتاعب أن نبذت الفكرة وتركت منطقة البريمي وغيرها من المدن في الظاهرة لتستمتع باستقلالها . وقيل ان الامام آلمه عجزه عن الظفر بالنصر الذي أتيج لسلفه عزان بن قيس ، فأثر أن يستقيل. لولا أن مستشاريه نصحوه بالعدول عن هذه الفكرة .

وقيل كذلك ان رجال قبيلة نعيم في البريمي ، وقد علموا أن قوات الامامة في طريقها الى موطنهم ، أوفدوا رسولا الى عبد الله بن جلوي ، أمير الحسا من قبل عبد العزيز آل سعود ، ليطلب اليه مد القبيلة بالرجال والمال والأسلحة . ولم نعرف ماذا كان رد الأمير على هذا الطلب .

الإمامة منذ ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م

منذ أن وضعت الإمامة يدها على مدينة عبرى وعجزت عن احتلال البريمي في عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م ، كانت الحياة في بلاد عمان تسير هادئة بوجه الاجمال لا تعكرها أحداث كثيرة ذات شأن • ولما كانت البلاد تعيش في عزلة ، فقد ظل العالم الخارجى يجهل أمورها جهلا يكاد يكون تاما •

تعرضت الشرقية وربما غيرها من المناطق لسنوات من الجذب الحار • وكان من نتيجة هذا أن تعرضت حيوية البلاد للخطر • وفضلا عن هذا فإن وفاة الزعيم الشيخ عيسى بن صالح في عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م قد تركت الامام وليس له من يعتمد عليه في الشرق سوى نجل عيسى وهو شاب قليل الخبرة •

ان حالة الامام من أخطر المسائل التى تواجه الامامة فى الآونة الحاضرة ، وقد تقدمت به السن واعتلت صحته بوجه عام • ومع أنه ما فتئ ينفذ أعماله فى نشاط ، فإن ثمة يوما سيتحتّم فيه على الاباضيين بعمان أن يختاروا خليفة له • وستكشف الأيام عما اذا كان هذا التبديل يتم فى سلام وانسجام وبدون تدخل من الخارج أم لا •

الأمثلة

في زمن عبد الله الخليلي

انتخب محمد بن عبد الله الخليلي اماما للدولة الاباضية في عمان عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م ، فهو لا يزال في منصبه هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة ، ولا يعرف عمره على وجه التدقيق ولكنه على الأرجح في الخامسة والستين أو نحوها . وقد أصيب منذ زمن طويل بالملاريا ولكنه يأبى أن يتناول العلاج الطبي الحديث ، بل يقال انه يصف لنفسه العلاج ببعض الأعشاب . وهو الى هذا يعاني ألما في عينيه وبصره ضعيف . وقد روى عن ثقة أنه مرض مرضا شديدا في أواسط عام ١٣٦٩ هـ الموافقة للنصف الأول من ١٩٥٠ م ولكنه أبل ابلا لا حسنا وهو اليوم معاف . يستند الامام في حكمه على الأكثر الى هيئة منصبه الديني ، ولا يعتمد على جيش كبير حيث أنه يحتفظ على ما يقال بقوة عسكرية يتفاوت عدد رجالها بين ٤٠٠ و ٥٠٠ وذلك من أجل أغراض الدفاع العادية ، بيد أن أقوى الوسائل لحماية دولته هو أن ولاته وأعوانه على أهبة ليهبوا مع رجالهم الى نصرته في أقصر زمن .

الامام مرجع أكثر القرارات الخطيرة في سياسة الدولة ، وهو لا يتخذها الا بعد مشاورة الأعيان من الجماعة الاباضية . ويختار الامام نفسه المرشحين للمناصب أو يقدم آخرون التوصية بهم ، ولكن كل تعيين يتم باسمه . أما الزكاة ، وهي المصدر الأول لدخل الحكومة ، فيجمع بعضها الامام بنفسه ، ويوكل أركان الدولة وولاتها بجمع بعضها . وفي طليعة هؤلاء الأركان تجد سليمان بن حمير النبهاني رئيس قبيلة بني ريام وأمير الجبل الأخضر ، ثم صالح بن عيسى رئيس قبيلة الحرث وأمير الشرقية . وعلاوة على هذين الأميرين تجد الولاة والقضاة

المعينين للمدن الرئيسية في الامامة ورؤساء القبائل المشتين في مراكزهم ،
فهؤلاء مع عمال الزكاة وغيرهم من صغار الموظفين يؤلفون نظام الادارة
في الدولة وهو مجرد من الاداة الضخمة المعقدة القائمة في حكومات
أخرى كثيرة •

يجلس الامام بحكم كونه زعيما دينيا للجماعة مجلس القاضى في
كثير من القضايا التى يحكم فيها وفقا للشريعة • وتجد بين القضاة الذين
ينظرون أيضا في القضايا في طول الامامة وعرضها قاضى نزوى منصور
الفارسى الذى ينزل عند الامام منزلة خاصة لأنه مقرب منه ولأنه مشهور
بالعلم والكفاية ، فهو يعمل عمل وزير غير رسمى للامام •

والحكومة متصفة ببساطة نظام الأسرة • فاذا أراد الامام محمد أن
يعالج شئون الدولة جلس على أرض بسطت عليها سجادة لأن الجلوس
على عرش أو على كرسى يعد شيئا غير لائق • فاذا وصلت رسالة مكتوبة
كتب الامام رده عليها على الجانب الأبيض من الورقة نفسها ، فان لم
يكن ذلك الجانب من ورقة الرسالة كافيا للرد ، فصل وحفظ لينتفع به
في أعمال صغيرة كمثل تسجيل مبلغ من المال يمنح لطالب ذى حاجة ،
وبعد كتابة رد الامام بيده أو بيد قاضى نزوى يثنى الامام الرسالة الأصلية
ويضعها في عمامته • والامام يشرف بنفسه على حفظ حسابات الدولة
فيدعو أحد أتباعه ليحيثه بأحد دفاتر الحسابات كلما اقتضت الحاجة •
وليس في الامامة نقد خاص بها ولكن النقد المتداول لا يزال هو الريال
الفرنسى الفضى الذى كان في زمن ما شائعا في الجزيرة العربية كلها
وأرجاء أخرى في الشرق الأدنى •

يعقد الامام كل يوم مجلسا عاما في حصن نزوى يحضره من شاء من
رعاياه لعرض المسائل عليه ، وهذا يخالف ما جرى عليه السلطان الذى

يعيش في شبه عزلة في مسقط أو في مدينة سالالة البعيدة بظفار والذي يبقى رعاياه على بعد منه بوجه عام • يقابل هذا أن الامام شديد الامتناع عن مقابلة الأجانب ، وأما السلطان فمقابلته ميسورة لهم • وليس بين الأجانب من حظى بمقابلة الامام سوى المرسلين الأمريكيين من مسقط ومطرح وهم الدكتور پول هاريسون Paul Harrison والقس درك دايكسترا Dirk Dykstra والدكتور ولز تومز Wells Thoms وقد كان جوازهم اليه ما نالوه من حسن الصيت نتيجة لعملهم الطبى في الداخل • ومع أن هؤلاء الزوار نالوا من الترحيب ما يتفق مع حسن الضيافة العربية الا أن الامام كان في معاملته اياهم راغبا عن قطع عهد لهم أو معاوتتهم • ولما أراد تسيجر الرحالة البريطانى الذى راد أكثر الأرجاء النائية في جنوب الجزيرة العربية أن يذهب في أواسط عام ١٣٦٩ هـ الموافقة لأوائل سنة ١٩٥٠ م الى الجبل الأخضر أبى الامام عليه ذلك وأوصد الباب في وجهه •

والامام متطرف في عزلته ولا يرغب في أن ينشئ علاقات مع الدول الأجنبية ، وليس ثمة ريب في أنه يرى أنه خير له ولقومه أن يقللوا ما استطاعوا من الاتصال بالعالم الخارجى • ومع ذلك فهو لا يتدخل فيما يجرى بين عمان من ناحية وبين بمباى وزنجبار من ناحية أخرى من تجارة ورحلات في حدود ضيقة •

يقول بعضهم ان عيسى بن صالح كان في يومه رجلا أعظم سلطانا من الامام وأنه وقد مات عيسى فسليمان بن حبير اليوم هو الرجل المتفوق في الامامة • ولكن هذه الأقوال يجب أن تقابل بحذر شديد • ومن العسير طبعا أن يزن الانسان شيئا غير محسوس كالهية الدينية بالمقابلة مع القدرة الحربية • ولكن طبيعة الدولة الإباضية نفسها تقتضى أن يعترف للامام بأنه صاحب السلطة العليا ، ويعزز من منصب الامام أن أمير الجبل الأخضر وأمير الشرقية كليهما زعيما جماعات بينما الامام في المبدأ على

الأقل هو فوق جميع الجماعات • وفي تأييد هذا التفسير يقول
تسيجر ان سليمان بن حمير غامر في سنة ١٣٦٩ هـ الموافقة ١٩٥٠ م في عمل
يخالف رغبة الامام وقابل تسيجر في موقع ناء في أراضى الامامة ، ولكنه
امتنع في الوقت نفسه عن أن يتحدى الامام تحديا صريحا بالسماح لتسيجر
في السفر الى الجبل الأخضر •

يقيم الامام في نزوى عاصمة الامامة وهى واقعة على سهل قرب سفح
الجبل الأخضر ، ويقدر عدد سكانها بنحو عشرة آلاف نسمة وقد تكون
أكبر المدن في الداخل ، وهى ككثير من مدن عمان قسمان ، العلاية
والسفالة ، والفاصل بينهما هو مجرى وادى كلبوه • يسكن العلاية أبناء
قبيلة بنى ريام ، وشيخ هذه القبيلة هو أمير الجبل الأخضر ، أما سكان
السفالة فأكثرهم من بنى هنا ، ثم هناك عدد من الناس من آل بوسعيد قبيلة
سلاطين مسقط • والدور في هذه المدينة مبنية من الحجر وكثير منها
ذات طابقين وبعضها ذات ثلاث طوابق وهى تطل على شوارع ضيقة •
ومع أن المدينة في مجملها ليس لها سور يحيط بها الا أن لبعض أحيائها
أسوارا • ودار الامامة واقعة في الحصن في العلاية ، وهو يعد من أمنع
الحصون من الطراز القديم في شرق الجزيرة العربية كلها • وأما خزانة
الامامة ففى دار أخرى في نزوى •

أنعم الله على نزوى بماء عذب غزير وتحوى منطقتها كثيرا من النخيل
وحقول القطن والقمح وقصب السكر • وموقع العاصمة بالقرب من
الطرف الجنوبى للمعبر الجبلى الرئيسى يضمن عليها مزايا كثيرة من
الناحيات الاستراتيجية والتجارية ، فضلا عن هذا كله فان تاريخها
الدينى العريق يعطيها منزلة خاصة في نفوس أهل عمان •

في سنة ١٣٦٨ هـ الموافقة ١٩٤٩ م ألم ولفرد تسيجر بحواشى أرض

الامامة من الجنوب ، فكتب في سنة ١٣٧٠ هـ الموافقة ١٩٥٠ م مستندا الى ما رآه وسمعه في تلك الرحلة وفي رحلته الثانية عندما أخفق في تحقيق الوصول الى الجبل الأخضر ، فقال :

أقبلنا يومئذ على أرض يدير شئونها الامام محمد ابن عبد الله الذي يعترف به حاكما لعمان الوسطى جميع القبائل الحضرية من غافرية وهناوية بين عبرى وبلاد بنى بوحسن في جعلان وكذلك قبائل البدو وهي الدروع والجنبة الغريون وآل وهيبة والحراسيس . وقد نجح الامام موقتا على الأقل في التوفيق بين الغافرية والهناوية ، وتجد ممثليه في كل طائفة من القرى حيث يقيمون العدل . ويجبون الضرائب . وتفوذ الامام بين البدو ضعيف بطبيعة الحال : فلا يفرض عليهم ضرائب ، والواقع أن ابن سعود هو الحاكم الوحيد في هذه الأرجاء من الجزيرة العربية الذي يجبى الزكاة من القبائل الرحل^(١) . على أن البدو يعترفون بالامام سيدا لهم وكثيرا ما تسمع بينهم عبارة « أطال الله عمر الامام » وهم يعنونها باخلاص كلما قالوها . وذلك لأن الامام قد نشر الأمن والعدل بين ظهرائهم بما وفق اليه من حل مسائلهم وفض الخلافات بينهم . فهنا يستطيع الرجل أن يسير غير مسلح ، وأن يترك ابله بغير من يحرسها

(١) يغلب أن تسيجر استعمل هنا عبارة « هذه الأرجاء من الجزيرة العربية » في أمم معانيها ، لأن العمال التابعين للملك عبد العزيز آل سعود لم يجبوا الزكاة في العهد الحديث من الاراضي الواقعة الآن تحت سيطرة الامام .

دون أن يخشى من يعتدى عليها بالنهب • أما نحن وقد
تعودنا اضطراب الأمن المستعصى في الظاهرة فكنا قد
احتفظنا ببناقدنا على منال منا حتى قال لنا بعض آل
وهيبة وهم يضحكون : اننا الآن في أرض السلام • على
أن الامام معاد للمسيحيين وهو شعور تشاطره اياه
القبائل الحضرية في هذه الأرجاء ، فهي كجميع سكان
القرى أشد تعصبا من البدو •

أما استتباب السلام والأمن في أرض الامامة فيذكر المعنيين بشئون
الجزيرة العربية بما هي عليه الحال في المملكة العربية السعودية وما يخالفها
من حال في بعض دويلات الجزيرة العربية حيث لا تجد حاكما قويا
يحوز قبولا دينيا عريقا يستمد منه سلطانا لحكمه •

على أن هناك غيمة تلقى ظلها القاتم على هذه الصورة الزاهية : ماذا
يكون المصير متى ذهب الامام الحالي الى لقاء ربه ؟ وليس ثمة ريب في أن
التوتر الناشئ عن هذا السؤال منتشر انتشارا غير يسير في أراضى
الامامة • ويلوح أن من المرشحين للانتخاب لهذا المنصب الأعلى في
الدولة ابنا من أبناء الامام السابق سالم بن راشد الخروصي ومحمد
ابن عبد الله السالمى وهو نجل المؤرخ الأعمى ، ولكن يخشى أن تفضى
الأزمة الى انقسام التحالف بين الفئتين ، الغافرية والهناءية ، ويخشى
أيضا أن يقع تدخل من خارج الامامة باسم جماعات ذات مصلحة ،
فيمتنع انتقال السلطة من يد الى يد انتقالا منتظما •

أمير الجبل الأخضر سليمان بن حمير النبهاني

الشيخ سليمان بن حمير النبهاني شيخ قبيلة بني ريام وأمير الجبل الأخضر هو نجل حمير بن ناصر الزعيم الغافري الذي كان له شأن عظيم في انشاء الامامة الجديدة في سنة ١٣٣١ هـ الموافقة ١٩١٣ م ، ولا يعرف على وجه التدقيق متى خلف سليمان والده وتقلد سلطته ولكن يبدو أنه لا يزال صاحب السلطة منذ خمس وعشرين سنة أو أكثر .

أطلق سليمان على نفسه أحيانا في وثائق رسمية لقب ملك المملكة النبهانية ، بيد أن لقب ملك أطلق في الزمن الماضي في عمان على حكام أراض محدودة فيحسن أن يعد هذا اللقب معادلا للقب أمير لا لقب ملك بمعناه الشائع . وقد يستنتج من استعمال هذا اللقب الذي ليس له شيوع كبير بين عامة الشعب في عمان في الوقت الحاضر ، ان سليمان قد رشح نفسه خلفا مباشرا للأسرة النبهانية التي حكم أعضاؤها أجزاء من الداخل مدة خمسة قرون الى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى الموافق المسابع عشر الميلادى . ولكن الملوك النبهانيين كانوا غير محبين الى الاباضيين المحافظين ، وقد ذاعت لهم شهرة في أعمال العسف والاستبداد حتى لترى أن كتب التاريخ العربية لعمان لا توسع لحكمهم سوى مساحة قليلة ، أما اليوم فقد اشتهر النباهنة بأنهم بطن من بطون قبيلة بني ريام .

حوالى عام ١٠٣٣ هـ الموافق ١٦٢٤ م سقطت أسرة النباهنة الى زمن على الأقل ، يوم مات عمير بن حمير الذي لقب بلقب ملك سمايل . ولا يعرف هل كان سليمان خلفا مباشرا لعمير ولكن قد يكون لاسم

حمير الذى كان اسم والديهما شأن فى هذا لأن الاسم ليس اسما شائعا
فى الجزيرة العربية الحديثة .

فى عام ١١٣٤ أو ١١٣٥ هـ أى فى ١٧٢٢ م كان حمير بن منير بن
سليمان الريامى حاكما لمسقط فى ظل أسرة اليعاربة ، فاسما حمير وسليمان
يشيران الى أن هذا الرجل كان فى أغلب رأى سلفا للأمير الجبل الأخضر
الحالى .

وقد عادت أسرة النباهنة الى منزلة عالية فى شئون عمان فى عهد سيف
ابن سليمان وهو والد جد الأمير . وقد تقدم قبلا أن سيفا كان أحد
شيوخ الغافرية الذين تخلوا عن عزان بن قيس عقيب قيام الامامة العزائية .
وبعد أن اشترك مع تركى بن سعيد فى الحركة التى غرضها اسقاط الامامة
انحاز سيف الى جانب الامام وأسدى اليه معونة فى الاستيلاء على نزوى ،
ولكن لم يطل عليه المطال حتى انقلب ثانيا معارضا للامامة وشارك فى
المناورات التى أفضت الى سقوط عزان .

فى عام ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م ذهب مايلز S. B. Miles
الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط فى زيارة الى بلاد بنى ريام فوجد
ناصر بن سيف شيخا للقبيلة . وقد روى مايلز أن ناصرا مات بعد سنوات
قلائل وخلفه ابنه الأكبر محمد . « وفى عام ١٣٠٣ أو ١٣٠٤ هـ أى فى
١٨٨٦ م اغتال سليمان ابنى أخيه محمدا وأخاه واغتصب الحكم الذى
احتفظ به الى عام ١٣١٦ أو ١٣١٧ هـ أى الى ١٨٩٩ م » حين تمكن الابن
الثالث لناصر من الأخذ بالثأر لأخويه باعدام عمه سليمان ، وهذا الابن
الثالث هو فى الأغلب حمير بن ناصر .

وقد وصف مايلز مقام شيخ بنى ريام فى الجزء الأخير من القرن
الثالث عشر الهجرى الموافق لأواخر القرن التاسع عشر الميلادى بقوله :

ليس لشيوخ قبائل عمان بوجه عام سوى ساطة
يسيرة على غيرهم من أبناء القبائل في زمن السلم ولكن
تميمة بنى ريام قد يعد خارجا على هذا الحكم فهو حقا ،
لهذا ولأسباب أخرى ، شيخ من أعظم الشيوخ في البلاد .
ويندر أن يكون هذا الشيخ على علاقات ودية مع سلطان
مسقط وهو يتحدى السلطان ويتخذ لنفسه نتاج الأراضى
الخاصة ببيت المال التى تعود حقا للحاكم .

احتفظ حمير بن ناصر برئاسته لبنى ريام من عام ١٣١٦ أو ١٣١٧ هـ
أى من ١٨٩٩ م الى يوم وفاته عقيب عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م ،
وقد كان حمير رئيس القبيلة يوم مر كوكس الوكيل السياسى يومئذ فى
مسقط فى منطقة الجبال عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م فطلب حمير من
كوكس بندقية من صنع لى متفورد و نحو ٥٠٠ ريال ولكن كوكس اعطاه
فى النهاية البندقية مع مائة ريال من النقد فقط . وقد ظفر حمير بعلو الهبة
التي تلازم مركزه فازداد الاحترام له من حيث هو حاكم قوى جريء ،
وجاءت آية أعماله عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م ، حين تقدم جماعة
الغافرية المتحالفة مع الهناوية وعلماء الاباضيين فى الداخل لانهاض
امامة عمان .

وقد واصل سليمان بن حمير السير على سياسة والده فى حفظ وحدة
الداخل وتعزيز قوته ، فقد كان منذ زمن طويل أحد الأركان الدينيوية
لسلطة الامام الدينية ، ولا يزال منذ وفاة عيسى بن صالح فى عام ١٣٦٥ هـ
الموافق ١٩٤٦ م أقوى أركان الامامة وأعظمهم نفوذا ، حتى ذهب الذين
لا يعرفون النظام الخاص بالامامة الى حد وصفه بأنه أعظم سلطانا من
الامام نفسه .

أمير الجبل الأخضر رجل فى حدود الخمسين من العمر ذو سمت
ومهابة يقترنان بلحية طويلة سوداء ، فاذا الذى يقابله يشعر بأنه

رجل • ويقول ثسيجر « انه رجل يقع في نفسك موقع القوة وان لم يكن شخصية يسهل عليك أن تألفها » • ويبدو أنه أبعد شيوخ الداخل نظرا وأدناهم الى انشاء صلات مع العالم الخارجى ، ومن صفاته العجيبة رحابة عقله واستعداده للسير مع موكب الزمان ، وقد روى أحد المرسلين الأمريكين الذى رآه في بركة الموز في عام ١٣٥٩ هـ الموافق ١٩٤٠ م انه « معنى بالحصول على راديو ، ولكنه لا يريد سيارات أو طائرات في البلاد » ، ثم قيل نحو ست سنوات بعد ذلك انه « يرجو أن يشتري سيارة نقل وأن يمد طريقا من السيب على الساحل الى بركة الموز » • وقد زار مسقط عام ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٥ م ويبدو أنها كانت زيارته الأولى لها ، ويقال انه لم ير قبل هذه الزيارة لا بحرا ولا سفينة ولا سيارة ولا ضوءا كهربائيا ولم يسمع لا راديو ولا آلة حاكية • وفي أوساط عام ١٣٦٨ هـ الموافقة لأوائل عام ١٩٤٩ م مكث سليمان قرابة شهرين في مسقط ، وقيل سفره أهدى السلطان اليه سيارة جيب أمريكية ولكنه لم يوفق ، على ما قيل ، في السير بهذه السيارة عبر الجبل الى تنوف ، وكان لم يزل يومئذ يتحدث عن مد طريق للسيارات يصل بين أراضي الساحل ، وقد روى أنه أخذ يفكر بعد ذلك في امكان انشاء مطار في أراضيهِ • وقد رحل أيضا رحلة الى الهند ساعدت على توسيع آفاقه ، وفي موسم عام ١٣٧٠ هـ الموافق ١٩٥١ م أدى فريضة الحج • كتب ثسيجر بعد مقابلته لسليمان في شهر جمادى الأولى عام ١٣٦٩ هـ الموافق لفيبرير ١٩٥٠ م فقال :

انه مجرد من التعصب الضيق الذى يتصف به معظم سكان المدن في عمان ، ويعنى بمخترعات الغرب ، وهو مستعد للانتفاع بها ، فهذا وما يبدو عليه من طموح يجعله موضع شبهة عند الامام • وقد غضب لأن

الامام حال بينى وبين السفر الى بركة الموز تلبية لدعوته .
فمقابلته لى فى المعمور كانت تحديا للامام وتأيدا
لاستقلاله . ولكنه كان من الواضح أنه راغب عن ذهابى
معه الى الجبل الأخضر لأن فى ذلك خطر قيام خلاف
خطير مع الامام ، ومع أنى شعرت بمرارة الخيبة فى
تنفيذ خططى ، فقد سرنى أن ألقاه لأنه اذا استثنينا
الامام فهو أعظم رجل فى عمان .

ومع أن سليمان قد أبدى ما يدل على رغبته فى توثيق صلته وصلة
شعبه بالعالم الذى وراء الجبال ، فليس ثمة دليل على أنه صار مستعدا
أن يعقد مع السلطان أو مع الانكليز اتفاقا يميل به الى فصم علاقته ببقية
الامامة ، ولعله لا يتردد فى معاملة حكومات بعض الدول الأجنبية الأخرى
أو أبنائها .

يحتفظ سليمان بن حمير من أجل أغراض الدفاع بقوة مسلحة ليست
كبيرة ولكن لعلها أقوى قوة فى الداخل . ومن عناصر قوته الأخرى
امتناع الأجزاء الجبلية من أراضيه على الرواد ، فاذا وقعت أزمة فيغلب
أن يكون فى قدرة صالح بن عيسى أمير الشرقية أن يعبى جيشا أكبر من
جيش سليمان ولكن أرض صالح أميل الى أن تكون سهلا فهى تفقر
الى مزايا الدفاع الطبيعى التى تستمتع بها جبال سليمان .

تقع مدينة تنوف عاصمة سليمان بن حمير قرب الجبال على مسافة
قصيرة الى الشمال من مقر الامامة فى نزوى . وهى ليست ببلدة كبيرة
ويقال ان موقعها لا يصلح لتوسعها حتى تصير مدينة أكبر . وأكبر بلدة
بعد تنوف فى أرض سليمان هى بركة الموز ، أما قبيلة بنى ريام
فيسكن بعض أبقارها أيضا العلاية فى نزوى وعددا من القرى فى الجبال .

أمير الشرقية صالح بن عيسى الحارثي

الشيخ صالح بن عيسى الحارثي شيخ قبيلة الحرث وأمير الشرقية هو أصغر الزعماء الثلاثة الذين يسيطرون على شئون امامة عمان وأقلهم خبرة في مسائل الحكم ، بيد أنه إذا أحسن التصرف بحكمة وشجاعة كان السلطان والنفوذ في متناول يديه لأنه أعظم زعيم للهاوية في الداخل ولأنه يستطيع أن يظفر بتأييد أقوى قبائل الشرق في السلم والحرب . هذا الشاب في نحو الثلاثين من عمره، وهو سليل زعماء أشداء تعاقبوا من قبله على الزمن ، فأحد أبناء هذه الأسرة عيسى بن صالح كان قائدا لقوة من الشرقية خلال حكم السلطان سعيد بن سلطان بمسقط في أواسط القرن الثالث عشر الهجري الموافقة للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، ولا يعلم على وجه التدقيق متى أصبح صالح بن علي جد الأمير صالح الحالي رئيسا لقبيلة الحرث ، ولكن يروى أنه كان في عام ١٢٧٢ هـ الموافق ١٨٥٥ م يشارك أخاه ناصرا في السلطة على هذه القبيلة ، وقد ظل صالح بن علي أربعين سنة بعد ذلك وهو أعظم رجل في الشرق ، وكان لتأييده أثر في انشاء امامة عزان بن قيس ، وبعد سقوطها أقام صالح الدليل غير مرة على أنه أكثر من ند لسلطان مسقط .

كان عبد الله أكبر أبناء والده صالح وكان شابا يرجي له مستقبل باهر ولكنه توفي في عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٥ م عقيب أن غزا مسقط وقبيل وفاة والده ، وفي عام ١٣١٤ هـ الموافق ١٨٩٦ م خلف صالحا ابنه عيسى الذي امتد حكمه خمسين سنة أو نحوها ، فكان فيما يلوح أطول

من حكم أبيه • وعيسى بن صالح هو أحد كبار بناء الامامة الجديدة ،
وأحد القواد الذين كانوا في طليعة الهجوم على مسقط عام ١٣٣٣ هـ
الموافق ١٩١٥ م كما كان أحد قواد الحملة التي وجهت الى البريمي
في عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م •

في نحو عام ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨ م ذهب عيسى بن صالح في زيارة الى
مسقط . فأدب له السلطان مآدبة فاخرة حضرها الدكتور پول هاريسون
المرسل الطبى الأمريكى . وبعد المآدبة سار الدكتور هاريسون الى بيته
مع قاضى مطرح فكان القاضى يتمتم قائلًا عن عيسى « هذا الرجل عدو ،
انه عدو في صميم قلبه » •

وقد زار الدكتور هاريسون مع زوجته الشيخ عيسى في عاصمته
التقابل حوالى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م فشاهد كثيرا مما دله على
عدالته ودقة حكمه في الشرق ، ولم يتردد هاريسون في وصفه بأنه
« أعظم أمراء عمان المستقلين وأعظم حاكم عرفته قبائل عمان منذ عشرات
من السنين وهو مسن الآن ولكنه منتصب القامة نحيل البدن
ذو أنف ضخمة وهيئة الصقر وعليه مهابة وحديثه هادىء » •
وفي خلال هذه الزيارة أتيح لهاريسون أن يقدر ما لعيسى من الهبة
بين العرب وأن يلاحظ الخلافات الدينية التي تفصل الاباضيين عن أهل
السنة فقال :

كان مجلسه حافلا بالزوار العرب من صور وكانوا قد
جاءوا بخلاف الى الشيخ الطيب ليحكم فيه وكان يبدو
أن تقديرهم الشخصى له عال جدا ، ولكنهم كانوا
لا يذهبون معه الى الصلاة في المسجد ولا أظن أن الدعوة
وجهت اليهم ليفعلوا •

وقد خاف عيسى عند وفاته في عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م ابنه الأكبر محمد . وكان رجلا مطبوعا بطابع مختلف ، اذ كان رجلا لم يفطر على الزعامة ، عليل الصحة ، وقد نال في حكمه الذي دام سنتين شهرة ذميمة بأنه مستبد صغير . وكان محمد ميالا الى أن يكون على مودة مع سلطان مسقط . وأما السلطان فقد بذل كل ما في وسعه ليستميل الأمير اليه . فلما مرض محمد في عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م . دبر له السلطان أمر سفره الى الهند من أجل العلاج ، وقد كان لا يزال عيلا وجسمه تغطيه القروح حين جاء أجله في عام ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨ م في عاصمته القابل حيث دعى لمعالجته قبيل وفاته المرسل الأمريكي الطبي الدكتور ولز تومز .

مهدت وفاة محمد بن عيسى طريق الحكم لأخيه الأصغر صالح الذي كان يحوز ثقة الامام وتأييده ، ولم يبد صالح حتى الآن من المودة لقضية السلطان ما كان يبيده أخوه محمد . وصالح لا يجهل جهلا تاما ما في العالم خارج عمان ، فقد زار البحرين والهند من أجل العلاج في السنوات الأخيرة ، وأما الشعب في الداخل فلا يزال على ما يلوح ممتنعا عن الحكم حكما نهائيا على صفة صالح وسيادته ، ولكن لا ينتظر أن يسمو صالح قط الى مستوى والده .

ولا يستبعد أن يقوم يوما ما رجل من أقرباء صالح فيتحدى حقه في الحكم . فأخوه ابراهيم وهو لا يزال في العقد الثالث من العمر محدود عند بعض رجال الشرقية رجلا أصلح منه للمنصب ، وليس بين الأمير وابن أخيه حمد بن محمد ، على ما يقال ، مودة خالصة .

يتخذ صالح مقرا لحكمه حصنه في مدينة القابل ، وهذا الاسم يجب أن لا يختلط باسم مثله يطلق على بلدة في الظاهرة تقع قرب الطرف الجنوبي

لجبل حفيت • وحوالى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م يوم كان هاريسون فى قابل الشرقية ؛ كانت البلاد فى سبيل ابلالها من آثار الجفاف المدمر ، وقد وجد هاريسون يومئذ كثيرا من بساتين النخيل المزدهرة « والحقول الخضراء للبرسيم والشعير والقمح » • وقد عاد الجفاف منذ تلك الزيارة ففى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م زار تسيجر بلدة القابل فوجدها مهجورة على الأكثر ومثلها قرى متعددة فى تلك المنطقة ؛ وكانت الأفلاج المحفورة تحت الأرض واللازمة لرى البساتين والحقول قد أخذت تجف ؛ وعلاوة على تأثير الجفاف تجد الشعب هناك عرضة لمشاكل كبار المالك المتغيبين الذين لا يباشرون شئون أملاكهم بأنفسهم ؛ فعدد من هؤلاء وبخاصة أبناء قبيلة الحرث يعيشون فى زنجبار وغيرها • وهم يصرون فى الغالب على أن تنقل ثمار مزارعهم مسافة طويلة الى مطرح لتباع فيها ؛ لأنهم ان لم يفعلوا فقد لا يظفرون بالجانب الأكبر من ثمن ما يباع • وقد يضطر فلاحو الشرقية أحيانا الى الاكتفاء بغذاء من السمك المملح يؤتى به من مطرح أو صور بدلا من المحصولات المغذية التى تخرجها أعمالهم • وكثرة البعوض تجعل الملاريا مرضا شائعا ، فهذه الأرض وهى غير مجردة من موارد الطبيعة وموارد الناس تحتاج الى حاكم حكيم بارع ليرشدها ويأخذ بيدها الى حياة أفضل •

قبائل الأمامة

هناك حقيقة واضحة تدل دلالة بينة على تفتت الكيان الاجتماعى فى عمان ، وهى أن عدد القبائل التى تدين بالولاء الكامل أو بعض الولاء للإمامة لا يقل كثيرا عن مائة قبيلة . ففى منطقة الحسا الواسعة ، حيث لا نجد الجبال الوعرة والأودية السحيقة المألوفة فى عمان ، وحيث تقل عوامل التفرقة التى تشتت حياة الأهلىن ، لا يكاد عدد القبائل يتجاوز عشرا . وبين قبائل عمان كثير من القبائل الصغيرة التى لا يعتد بها بحيث نستطيع اغفالها فى هذا البحث ، وستحصر العناية فى ثمانى عشرة قبيلة مشهورة لها صلة بالإمامة :

الجنبه	بنى ريام
الجبوس	آل بو سعيد
الحجرين	بنى شكيل
الحراسيس	العبريين
الحرث	العوامر
بنى بو حسن	المحاريق
بنى خروص	بنى هنا
الدروع	آل وهيبه
بنى رواحه	اليعاقب

ولابد من القول بأن هذه القائمة لا تتضمن جميع القبائل الرئيسيه

المتصلة بالامامة . وفي أودية الحجر بوجه خاص قبائل ذات شأن كان
يمكن اضافتها لو وسعنا نطاق البحث .

ان تعقد الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في الامامة يسهل
ادراكه على حقيقته اذا ما رأيت كيف تندرج هذه القبائل ، وغيرها من
القبائل التي لا نلم بها في هذا البحث ، فيما لا يقل عن أربع مجموعات
متضاربة ، والثلاث الأولى منها طويلة العهد في التاريخ :

١ — مجموعات طبقا للدين : القبائل الاباضية ،
والقبائل السنية .

٢ — مجموعات طبقا للفئة : القبائل الغافرية ،
والقبائل الهناوية .

٣ — مجموعات طبقا لمنهاج المعيشة : القبائل
الحضرية ، والقبائل البدوية .

٤ — مجموعات طبقا لمدى ما للامامة من سيطرة :
القبائل الخاضعة للامامة خضوعا تاما ، والقبائل الخاضعة
لها بعض الخضوع .

يزداد الموقف اضطرابا وتعقدا بسبب المحالفات والعداوات القديمة
بين القبائل وأحيانا بين فخذ من قبيلة واحدة ، وهذه المحالفات
والعداوات قد تؤدي الى تشابك المجموعات التي سردت قبلا .
فالاباضيون يميلون الى الوقوف في جانب الاباضيين معارضة للسنيين ،
غير أنه قد يحدث أحيانا أن ينقلب بعض الاباضيين على غيرهم من رجال
عقيدتهم ، وقد يسمعون بعد ذلك الى عقد حلف مع السنيين ليزداد تأييدهم .
كذلك يميل الغافرية الى الوقوف الى جانب الغافرية ، والهناوية
مع الهناوية ، ولكن هذا الاتجاه بعيد عن أن يعد قاعدة مقرر . ونجد

في عمان التيارات القديمة للعداوة بين الرجل والحضر . وهي عداوة تدرج في أماكن أخرى من الجزيرة العربية وغيرها من البلدان الصحراوية ، غير أن هناك قبائل حضرية تتبعها فخذ أو موالون من الرجل ، أو هي تتحالف مع بعض الرجل في صراعها مع سكان المدن والقرى الآخرين . وهناك نقطة هامة يجب مراعاتها . ولا سيما عند بحث تبويب أحواض القبائل . وهي أن الحالة تتغير دائما . وإن كان يحدث هذا التغير عادة ببطء ودون أن يستوقف النظر ، فيحدث أحيانا أن يتحول الاباضيون الى السنة ، أو السنيون الى الاباضية . وقد تحولت غير قبيلة واحدة من فئة الغافرية الى الهناوية ، والعكس صحيح ، واستسلم أفراد أو جماعات صغيرة من القبائل الرجل الى جاذبية حياة الحضر ، وهو نهج لا يكاد ينقطع بيد أن الأمثلة على تحول سكان المدن والقرى الى حياة الرجل في البيداء قليلة ونادرة . أما درجة ولاء قبيلة معينة لسلطة عليا ، فانها قد تبقى ثابتة مدة طويلة من الزمن أو قد تتغير تغيرا سريعا شيئا ما . وما هو صحيح عن القبائل اليوم ، قد يكون صحيحا غدا ، أو يجوز أنه سيحتاج بتحول الظروف الى تعديل ما .

القبائل الإباضية والقبائل السنية

مع أن امامة عمان هي منشأة إباضية أصلا وفرعا . ومع أن السواد الأعظم من أهلها موالون للإباضية . فإن عددا من السنيين يقطنون في سلام في أراضى الامامة ويعترفون بسيطرة الامام عليهم . ويوجد هؤلاء بوجه خاص في المناطق الواقعة على الحدود وكذلك بين البدو . والبدو الرحل في جزيرة العرب . باستثناء حالات قليلة مشهورة . درجوا منذ القديم على الميل الى مذهب السنة في الاسلام . أو هم فعلوا ذلك على الأقل عندما لم يرددوا الى شعائر الوثنية الراجعة الى أسلافهم القدماء . ومع ذلك . لم يتشبث بالسنة جميع بدو عمان ، لأن عناصر هامة منهم اعتنقت الإباضية .

ينبغي الإشارة كذلك الى أن الامامة الإباضية الحالية لا يدين لها بالولاء والطاعة جميع الإباضيين في عمان . فشمة قبائل بأسرها من الإباضيين ، وفخوذ من قبائل ، تعيش وراء تخوم الامامة وهي جميعا تأبى لسبب أو لآخر أن تنتمى الى الهيئة المركزية للحكومة التي أقامها الإباضيون ، وأبرز مثل على الإباضيين المنعزلين عن الامامة هم سلاطين مسقط أنفسهم .

قبائل اباضية

آل بو سعيد	الجبوس
بنى شكيل	الحجريين
العبريين	الحرث
العوامر	بنى بو حسن
المحاريق	بنى خروص
بنى هنا	بنى رواحة
آل وهية	بنى ريام

قبائل مشكوك في مذهبها

الدروع
اليعاقيب

قبائل سنية

الجنبه
الحراسيس

يبدو أن في بعض قبائل الاباضيين ، كالعبريين مثلا ، يوجد عدد قليل من السنين *

والمعلومات متضاربة بشأن الدروع واليعاقيب ، ويحتمل أن يكون في صفوف كل من القبيلتين عناصر من الاباضيين والسنين معا *

القبائل الغافرية والقبائل الهناوية

قبائل غافرية	قبائل هناوية
الجنبنة	الجبوس
بنى خروص	الحجريين
الدروع	الحراسيس
بنى ريام	الحرث
بنى شكيل	بنى بو حسن
العبريين	بنى رواحة
المحاريق	آل بو سعيد
اليعاقب	العوامر
	بنى هنا
	آل وهية

القبائل الحضرية والقبائل البدوية

قبائل بدوية	قبائل حضرية
الجنبة	الجبوس
الحراسيس	الحجريين
الدروع	الحرث
آل وهية	بنى بو حسن
	بنى خروص
	بنى رواحة
	بنى ريام
	آل بو سعيد
	بنى شكيل
	العبريين
	العوامر
	المحاريق
	بنى هنا
	اليعاقيب

في بعض القبائل الحضرية فخوذ أو موالون من البدو الرحل *
 أما الجنبة فتوجد عناصر قوية منهم مستقرة في مناطق خارج أراضى
 الامامة *

سيطرة الإمامة على القبائل

يأمر الإمام وحكومته سيطرة تكاد تكون تامة على معظم القبائل التي تقطن في أراضي الإمامة . وفي طليعة ما يستثنى من ذلك ثلاث قبائل بدوية كبيرة وعدد من القبائل البدوية الصغيرة التي تنتقل على الأطراف الجنوبية والغربية لهذه الأراضي . وقد اشتركت القبائل الخاضعة للسيطرة التامة في انتخاب الامام وانضمت بملء اختيارها الى الامامة ، فالمنتظر اذن أن تدين للامام بالطاعة الكاملة باعتباره زعيمها الروحي والزمني ما دام سلوكه سليما وما دامت أوامره غير جائزة . أما القبائل التي لا تزال تتمتع ببعض الحرية فهي تعيش مجولة مطوفة في مناطق نائية الى حد ما وهذا يجعلها بالبدية بعيدة عن الخضوع لسيطرة السلطة القائمة . وجرى العرف من قديم في عمان على ألا تفرض الزكاة الا على الثروة الزراعية لسكان المدن والقرى ؛ لا على مواشي البدو الرحل ، وبذلك يكون عنصر السيطرة المضمن في جباية الضرائب غير منطبق على حالة قبائل البدو الذين يعيشون في أطراف البلاد . وتعترف هذه القبائل الى حد ما بالسلطة القضائية للامام ، وتعرض كثيرا من منازعاتها عليه أو على مثليه اما للحكم أو للتحكيم ، غير أن القبائل احتفظت الى جانب الشريعة الاسلامية بنظام حكم « الحوز » وهو نظام عرفي قديم للقبائل ينطبق على حالات كثيرة لا تعرض على قضاة الامام . وصفوة القول أن درجة الولاء الذي تدين به هذه القبائل البدوية للامام تميل الى التغيير والتبديل طبقا لما يمليه الموقف ؛ أكثر مما هو الحال في القبائل التي اندمجت في الدولة اندماجا تاما .

تنقسم بعض قبائل شرق الجزيرة العربية الى جماعات تعيش منعزلة

بعضها عن بعض نوعا ما . فاذا ورد في القائمة التالية أن قبيلة من القبائل خاضعة لسيطرة الامام التامة . فلا يستوجب ذلك أن يصدق هذا القول على جميع رجال القبيلة حيث يكونون ، وانما معناه أن رجال هذه القبيلة الذين يعيشون في داخل أراضى الامامة هم الذين يخضعون للسيطرة التامة لرأس الدولة . ولعل أبرز مثال على ذلك آل بو سعيد ، قبيلة سلاطين مسقط . فيختلف أفراد الأسرة السلطانية عن رجال قبيلتهم في الداخل في أنهم لا يعدون أنفسهم خاضعين لسيطرة الامامة .

قبائل خاضعة للسيطرة التامة قبائل خاضعة للسيطرة غير التامة

الحبوس	الجنبة
الحجرين	الحراسيس
الحرث	الدروع
بنى بو حسن	آل وهبة
بنى خروص	
بنى رواحة	
بنى ريام	
آل بو سعيد	
بنى شكيل	
العبريين	
العوامر	
المحاريق	
بنى هنا	
اليعاقب	

معلومات عن قبائل الإمامة

نورد في الصفحات التالية معلومات موجزة عن كل من القبائل الثماني عشرة موضوع البحث. وتوجد لدينا تفاصيل أخرى محفوظة في مراجعنا .

وقد رتبت القبائل بحسب أحرف الهجاء ، بعد اغفال مقدماتها مثل « ال التعريف » و « آل » و « آل بو » و « بنى » و « بنى بو » .

وقد وضعنا صيغة المفرد التي ينادى بها عضو كل قبيلة تحت اسمها .

والأرقام التي أوردتها المصادر المختلفة عن عدد رجال قبائل عمان هي على أحسن الفروض تقديرات عامة غير دقيقة . وبدلاً من أن نورد أرقاماً قد يتضح عدم صحتها . نرى أن نرتب القبائل من حيث عدد رجالها القادرين على حمل السلاح في الأبواب الأربعة التالية :

١ — كبيرة : وقد يزيد عدد رجالها القادرين على حمل السلاح على ألفين .

٢ — متوسطة : وقد يتفاوت عدد رجالها القادرين على حمل السلاح بين ألف وألفين .

٣ — صغيرة : وقد يتفاوت عدد رجالها القادرين على حمل السلاح بين خمسمائة وألف .

٤ — صغيرة جداً : يغلب أن يكون عدد رجالها القادرين على حمل السلاح أقل من خمسمائة .

وحيث أنه لا توجد لدينا احصاءات يعول عليها ، فإن الأبواب السالفة الذكر ينبغي أن تؤخذ بدورها بتحفظ .

الجنبنة

جَنَبِي

قبيلة كبيرة
سمنية
غافرية
بدوية في الامامة

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا غير تام

يظهر أن الجنبنة كانوا يوما ما أقوى قبائل البدو في عمان . وعلى الرغم من أن مركز رجال هذه القبيلة في البادية ليس هو اليوم المركز الذي كانوا يشغلونه فيما مضى . فانهم يوشكون أن يقفوا على قدم المساواة مع الدروع . وهم حلفاء لهم من فئة الغافرية ، ومع آل وهيبة ، وهم خصوم لهم من فئة الهناوية . ويرجع السبب الرئيسي في ضعف الجنبنة كقوة من قوى البادية الى تناقص عددهم فيها على أثر استقرار كثير منهم في ميناء صور وغيره من الموانئ الصغيرة الواقعة على الساحل الشرقي والممتدة جنوبا حتى الجازر . وعلى هذا فقد انشطرت القبيلة في الواقع الى جماعة غربية ، ما فتىء أفرادها بدوا ، وجماعة شرقية ، استقرت استقرارا جزئيا . وأصبحت منشغلة بأمور الملاحة والحياة الحضرية .

يجول الرحل الغربيون من الجنبه خلال البلاد الواقعة شرقى ديرة الدروع
فى منطقة الأودية بجوار بلدة آدم • ويعد زعيمهم جاسر بن حمود ، وهو
يقيم فى بلدة عز • من أروع شخصيات عمان اليوم • ولم يتخل جاسر عن
دعوى فرض سلطانه على المناطق التى يحتلها أعضاء الجماعة الشرقية
من القبيلة • ويصف الدكتور ولز تومز المرسل الطبى الأمريكى كيف أن
جاسرا أيقظه فى منتصف ليلة من الليالى من زمن غير بعيد فى صور ،
وشكا اليه من أن سلطان مسقط حصل على مبلغ من المال من الانكليز
والأمريكيين أجرة للمطار المقام على جزيرة مصيرة مع أنه هو ، بصفته
مالكا للجزيرة ، لم يحصل على شئ •

لما طاف ولفر دثيجر فى عمان فى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م وافق
جاسر على أن يستقبله لأن دثيجر كان يحمل كتابا من زايد بن سلطان
أخى حاكم أبو ظبى ، وهو رجل واسع النفوذ • وعلى أية حال ، « فقد
حار جاسر بسبب وصولى وكان الامام قد سمع بوجودى فى تلك
البقاع وأمر القبائل أن تسد السبيل أمامى » • ومع ذلك فإن جاسرا قد
قصد الى الامام فى نزوى ، نيابة عن دثيجر ، وبعد نقاش طويل استصدر
من الامام اذنا له بمرافقة دثيجر عند مغادرته الامامة وعودته الى البريمى •

وصف الدكتور كارتر Carter ، وهو رحالة بريطانى كان يتنقل
على طول الساحل الشرقى فى النصف الأول من القرن الثالث عشر
الهجرى الموافق للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، وصف
الجنبه الذين رأهم بأنهم « صغار الأجسام وعلى شئ من الملاحه ، نحاف
يبدو عليهم سوء التغذية • وهم دكن اللون وقد أرسلوا شعورهم على
طريقة بنى بو على وكانوا يرتدون زيا يشبه زى تلك القبيلة • وكان

الصيداؤون الذين يعيشون على الساحل أقل سمره من الباقين ورؤوسهم
منويلة مكنتزة وجباههم مرتفعة تجللها فروة من الشعر ... ويقومون
جميعا بالقبض على ركاب السفن الغارقة أو المتحطمة وسلب البضائع
التي فيها رزقهم يعتقدون أن ما يقع على الشاطئ إنما هو ملك للقبيلة
التي تملك الشاطئ . ولو عرفت الحقائق فأننى أفن أن الجنبه هم أسوأ
الناس خلقا على هذا الساحل » .

كان تحطيم السفن ونهبها عملا مجزيا في تلك الأيام . وقد تعرضت
السفينة الأمريكية بيكوك Peacock للخطر على أيدي الجنبه عند ما
جنحت على مقربة من مصيرة في عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م وكانت
تقل آدموند روبرتس الى مسقط لتبادل وثائق المصادقة على المعاهدة الجديدة
المعقودة بين الولايات المتحدة والسلطان . فصعد أشخاص من الجنبه على
ظهر السفينة ، وكان واحد منهم رجلا جميل الطلعة ، « وله خصلة كثيفة
من الشعر الأسود المجعد تصل الى كتفيه ، وعينان حادتان من اللون
الأسمر الداكن ، وتقاطيع منتظمة وجلد أسود ناعم وأسنان بيضاء ،
وفوق هذا فإن التماع طلعتة خلع على جمال وجهه طابعا نسويا الا أن
شاربه المرسل ولحيته السوداء المجعدة أظهرته بمظهر شاب محارب » .
وقد أبلغ ممثلو القبيلة الضباط البحريين الأمريكيين أن مصيرة « يحكمها
سلطان » ، مشيرين بذلك ، كما يتبين من ظروف زيارتهم ، الى زعيمهم
هم لا الى سلطان مسقط . ولم تتم الاتصالات التي جرت بين الأمريكيين
والجنبه بصفة مرضية ، ذلك لأن الوسيط الوحيد « كان مترجما ضعيفا ،
وهو بولندي بأفس اسمه ميخائيل ، ولأنه سافر برا ، حسب قوله ، من
بولندا الى بمباي ، فقد استطاع أن يتكلم الى حد ما العربية والاطالية
والهولندية ولكنه كان يجهل الفرنسية والانكليزية » .

وقد ألقى برترام توماس في العقد الخامس من القرن الهجري الحالي الموافق للعقد الثالث من القرن الميلادي شيخ مصيرة الجنبي معسكرا على البر . وكان « رجلا نحيلًا طويلًا وجهه وجه صقر وهيئته ترففة تميزه عن أتباعه من ذوي الشكل القبيح » ؛ وكان حليفاً لزعيم بنى بو على ووثيق الصلة به . وكان هذا الزعيم ذا نفوذ كبير في البدو التابعين للجماعة الشرقية من الجنبه . وأدرك ثسيجر كذلك من جولاته الأخيرة في عمان أن الجنبه الشرقيين يعترفون بزعيم بنى بو على سيداً أعلى عليهم .

يأتى رجال الجماعة الشرقية ، ممن يترددون على منطقة الساحل ، بقطعان كبيرة من الابل والمعز في فصل الشتاء ، وبعد انقضائه يرجعون صوب الداخل الى كهوف في الجبال قبيل هبوب الرياح الموسمية من الجنوب الغربى . وبعض هؤلاء الناس صيادون مهرة يعرفون ببراعتهم في اصطياد القرشان .

وقد استقر بعض الجنبه في صور . وهو ميناء يتقاسمونه مع بعض رجال بنى بو على ، ويعملون أكثر ما يعملون في التجارة والمهن البحرية . ومن بينهم تجار يملكون مخازن كبيرة ويتجرون مع بمباى وزنجبار وموانى البحر الأحمر . وهم متمردون في عناد وقد ساهموا بنصيب في الاضطراب الذى دفع الانكليز الى القيام بحملتهم التأديبية على صور في سنة ١٢٨٢ هـ الموافقة ١٨٦٥ م . ثم ائتمروا بالفرنسيين الذين كانوا يحمون مراكبهم التى تنقل الرقيق على صورة أغضبت الانكليز وسلطان مسقط . ولم يكونوا يقبلون قط الا فرض قدر ضئيل من سيطرة السلطان على صور ؛ بل كانوا يتحللون من هذه السيطرة في بعض الأوقات .

يقال ان شعور الكراهية الذى كان مستحكماً بين الجنبه وآل وهيبة فيما مضى قد خفت حدته اليوم ، وقد رأى ثسيجر رجالاً من القبيلتين يعيشون معا في صفاء في وادى حلفين .

الحكماء

قبيلة صغيرة جدا من البدو ينسب اسمها الى بر الحكماء ؛ وهو لسان من الساحل يقع مقابل مصيرة . وقد اختلط بعض أفراد هذه القبيلة بالجنية أو صاروا معهم على اتصال وثيق . ونزح بعضهم الى منطقة نفوذ آل وهيبة أو بنى بو على . ولهذا تفقد القبيلة صابغها الخاص شيئا فشيئا . وكان الحكماء فيما مضى على علاقات ودية مع حاكم أبو نلبى ؛ اذ تعود زعماء هذه القبيلة فى أوائل القرن الميلادى الحالى أن يسافروا فى كل عام مارين بعمان ليتلقوا الهدايا المألوفة من ذلك الحاكم ؛ ويقال ان هذه العلاقات لا تزال باقية على ما هى عليه .

الجبوس

حَبْنَى

قبيلة كبيرة

إباضية

هناوية

حضرية (وفيها عدد قليل من البدو الرحل)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قبيلة الجبوس هي عنصر من العناصر الثلاثة التي تكوّن كتلة من الاباضية هناوية ، والعنصران الآخران هما الحرث والحجريين ، وعلى هذه الكتلة تعتمد الامامة أكثر ما تعتمد في الشرقية •

تقع ديرة الجبوس غربى ديرتى الحرث والحجريين ، وتتجمع بلاد الجبوس حول واد قائم بذاته ، ويسكن بعض رجال القبيلة عمان الوسطى •
بنى ثنائى ، وقد يبلغ عددهم أكثر من مائة رجل من الرجال القادرين على حمل السلاح ، هم فخذ بدوى من فخذ الجبوس •

الورود

قبيلة صغيرة جدا ترتبط بالجبوس على الأرجح بوصفها موالية لها •

الحَجَرِيَّينَ

نَجْدَى

قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ

إِبَاضِيَّةٌ

هَنَـاوِيَّةٌ

حَضْرِيَّةٌ (ولها عدد من الموالين البدو)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعاً تاماً

كان الحجرين ، كما يتضح من اسمهم ، يسكنون في الأغلب على سفوح جبال الحجر ، غير أنهم انحدروا منذ وقت بعيد الى أرض الشرقية المنخفضة حيث تقع الآن بلادهم على مسافة غير بعيدة من بلاد الحرث في البطحاء وهي الوادي الرئيسي في هذه المنطقة .

وللامام وال في المنترب وهي عاصمة الحجرين .

لما زار ثسيجر البطحاء في ربيع عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م ، تبين له أن احدى قرى الحجرين قد طغت عليها الرمال التي سفت على الوادي من الغرب ، بينما تغلى الحجرين عن قرية أخرى بسبب الجذب الذي منيت به الشرقية .

كان هلال بن سعيد . رئيس القبيلة السابق . زعيما من أبرز زعماء الشرق في عصره . وليس هناك اليوم أحد تعترف القبيلة به زعيما دون منازع . وقد زار حمد بن محمد . ابن أخى هلال . الرياض في ربيع عام ١٣٧٠ هـ الموافق ١٩٥١ م . مطالبا بالزعامة على أن بعض العرب من الذين يعرفون الشرقية يعدون حمدان بن سالم . وهو تاجر غنى ساكن في بديّة . أكثر نفوذا منه . على حين أن بعض الشيوخ الآخر يتمتعون بتأييد بعض أفراد القبيلة .

وأعظم آية للحجريين في الأزمنة الحديثة هي انتصارهم في عام ١٢٢٨ هـ الموافق ١٨١٣ م على قوات نجد التي كانت بقيادة مطلق المطيري وهو الذي أرسى دعائم سلطة الموحدين في عمان . وقد فقد مطلق حياته في القتال مع الحجريين . غير أن ابنه سعدا انتقم فيما بعد انتقاما كاملا من القبيلة . وعندما يزور الحجريين البلاد العربية السعودية اليوم يحرصون على نسيان هذه الحادثة .

آل عمرو

قبيلة بدوية صغيرة تتصل بالحجريين باعتبارها جماعة من المواليين . ومن أعضائها من هم على اتصال كذلك ببني بو حسن ويختلفون الى الرمال التي تقع في ديرة آل وهيبة ، ولما كان آل وهيبة من الاباضيين والهنأوية ، فانهم حلفاء قدامى للحجريين .

الحراسيس

خرسوسى

قبيلة صغيرة

سمنية

هناوية

بدوية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا غير تام

يطوف الحراسيس فى السهول الواقعة شرقى الربع الخالى وجنوبى
ديرتى الدروع وآل وهيبه . ولعلمهم أبعد القبائل التى تعترف بحكم الامام
عن مركز الامامة .

والحراسيس معروفون بوجه خاص بأنهم يتحدثون فيما بينهم بلسان
غير عربى . هو لغة سامية قديمة انحدرت من اللغات التى كانت شائعة
فى جنوب الجزيرة العربية . وهم يتكلمون العربية كذلك ويستخدمونها
فى الاتصال بالقبائل العربية المجاورة .

الحِثْ

حارث

قبيلة كبيرة
إباضية
هناوية

حضرية (ولها عدد من الموالين البدو)
خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تعد قبيلة الحِثْ أكبر قبائل الهناوية شأنا في الامامة كلها ، ومرد هذا الى قوة القبيلة من ناحية والى المركز الذى يشغله زعيمها من ناحية أخرى . وقد مر بنا ما كان لرجال تلك القبيلة من شأن في الأيام الأخيرة وذلك فى القسم التاريخى من هذا الكتاب وفى القسم المخصص لصالح ابن عيسى .

كانت المنطقة التى يسكنها الحِثْ فى الشرقية أغنى المناطق فى شرق الجزيرة العربية الى أن أصابها الجفاف . والحِثْ : ويحف بهم الحجرين من الجنوب والحبوس من الغرب ، يعتبرون قلب القوة العسكرية فى الدولة الاباضية . وما فتئت بلدة القابل فى الشرقية عاصمة القبيلة ، ولها عدد من القرى بجوارها .

قد وصف مصدر بريطاني رجال هذه القبيلة فقال « على الرغم من أنهم يحتفظون ببعض طبائع البدو فإنهم يشتغلون . في الأغلب : بالزراعة وخاصة بزراعة التمر . وثمة نفر قليل منهم يعدون تجارا أثرياء ويملكون سفنا تجارية . أما الذين هاجروا منهم الى زنجبار فقد أصبحوا ذوى مكانة فيها . ولا يتعامل رجال الحرث مع صور . ولهم ميناءان هما مضرح ومسقط . وتعد هذه القبيلة ذات نزعة حربية . »

وثمة بعض القبائل البدرية التى ترتبط بالحرث بصفتها موالية لهم ، ويبدو أن رجال هذه القبائل يميلون الى الهجرة فى اتجاه الباطنة ، وهذا يؤدى الى أضعاف علاقاتهم بالحرث .

بنى بو حيسن

حببنى

قبيلة كبرى

إباضية

هناوية

حضرية (ولها عدد من الموالين البدو)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تشغل قبيلة بنى بو حسن موقعا من أهم المواقع فى الامامة . وذلك فى منطقة جعلان فى الشرق الأقصى . فهذه القبيلة هى القبيلة الوحيدة الموالية للامامة ولواء تاما فى تلك المنطقة + وتقع بلاد بنى بو حسن بين بلاد بنى بو على وميناء صور ، مما يتعذر معه انشاء قوة موحدة قد تستطيع أن تهدد أمن الامامة من هذه الناحية . فاما تكون تلك القوة مستقلة واما متحالفة مع سلطان مسقط .

وقد كان النزاع القديم بين بنى بو حسن وبنى بو على ، وهم الموحدون فى شرق عمان ، نزاعا من أطول المنازعات وأعتاها فى هذه الرقعة من الجزيرة العربية . وفى عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م ذهب الامام الى بلاد بنى بو حسن ليصلح ذات البين بين القبيلتين ، واستطاع باستخدام نفوذه على رعايا دولته أن ينجح فى بلوغ هذا الهدف . ومنذ

ذلك الوقت وسلطان مسقط يزعم أنه وضع حدا لهذا النزاع . ولكن يبدو
أنه ليس ثمة أساس يسوغ هذا الزعم .
يرتبط عدد من الموالين البدو بقبيلة بنى بو حسن . ومنهم قبيلة آل
عمرو الصغيرة جدا التي لها بدورها صلات مع الحجرين وآل وهيبة .

بنی خروص خروصی

قبيلة كبيرة
إباضية
غافرية

حضرية (وفيها بعض البدو)
خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تعد قبيلة بنی خروص جدیة بالذكر لأنها قدمت لامامة عمان عددا غیر قليل من الأئمة . وقد انتخب أول امام من هذه القبيلة فی القرن الثانی الهجری الموافق للقرن الثامن المیلادی ، وكان آخرهم ، وهو سالم ابن راشد الخروصی ، السلف المباشر للامام الحالي . وفوق هذا فالمستفاد من أبناء عمان أن من المحتمل أن ينتخب أحد أبناء سالم بن راشد اماما بعد وفاة الامام الحالي .

رئيس بنی خروص الآن هو ناصر بن راشد ، أخو الامام الراحل . ويقال ان شخصية ناصر الصعبة المراس كانت سببا من الأسباب التي جعلت الناخبين يتجهون الى أسرة الخليلی بعد مقتل سالم فی عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م .

بنى خروص قوم جبليون . وثمة واد من الأودية الكبيرة التي تتجه
من الحجر صوب البحر يحمل اسمهم . وفيه تتجمع قراهم . ومما ينفى
شأننا كبيرا على هؤلاء القوم أن عددا منهم يسكنون بلدتي نخل والرساق ،
وهما معقلان من معاقل الامامة على الجانب المطل على البحر من الجبال .

الدروع

دزعى

قبيلة كبيرة

عقيدتها الدينية غير معروفة على وجه الدقة (١)

غافرية

بدوية (وفيها عدد قليل من المتحضرين)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا غير تام

ان قبيلة الدروع هي القبيلة البدوية الرئيسية التي تعيش على طول
الطرف الغربى لأراضى الامامة . وان ديرتها الشاسعة التي تمتد بين
أراضى آل بوشامس فى الشمال وأراضى بدو الجنبه وآل وهيبه فى الشرق
لهى منطقة من سهول المراعى والأودية والتلال . وتقع مناطق المدن والقرى
العمانية على أحد جانبيها ويقع الربع الخالى على الجانب الآخر . ومع
أن الدروع يعيشون بالقرب من الصحراء الكبيرة ومع أنهم قد يفوقون
جيرانهم آل وهيبه فى كثرة ترحالهم : فانهم يميلون الى تجنب الرمال
المستاثمة التى تقدم للمغامرة فيها قبائل هى دونهم عددا .

(١) المرجع ان القبيلة خليط من الاباضيين والسنيين .

والدروع والجنبة وآل وهيبة هي أقوى القبائل البدوية في الامامة .
والقبيلتان الأوليان : وهما غافريتان . على تحالف من قديم الزمن
فيما بينهما وعلى عداوة مع آل وهيبة النهاوية . وان كانت الأيام الأخيرة
لم تشهد سفك دم أو شهادته نادرا .

وبلدة تنعم الصغيرة التي تقع على مسافة غير بعيدة جنوبى عبرى
هي عاصمة قبيلة الدروع . ومع أن معظم الدروع بدو ، فان للقبيلة
بعض القرى الصغيرة كما يملك بعض رجالها عددا ضخما من النخيل
ولا سيما في عبرى وفي واحة السليلف القريبة منها . أما سوق عبرى .
فهي السوق الرئيسية التي يكثر الدروع من اختلافهم اليها .

يتولى الدروع مهنة غير مألوفة عادة عند البدو ، وهي أنهم يستخرجون
الملح من مملحات كبيرة تقع عند الطرف الشرقى للربع الخالى ، ثم يبيعونه
في مدن عمان مثل مدينتى عبرى ونزوى . ويقول ثسيجر ان مملحة من
المملحات : وهي قارة الملح . « وهبها فيصل بن تركى لسلطان بن مطر
الدرعى ، ولا تزال هذه المملحة ملكا خاصا لشيخ الدروع ، ولا يستطيع
استثمارها الا بموافقة » . ومما يؤسف له أن ثسيجر أخفق في أن يعين
اذا ما كان فيصل بن تركى هذا هو أمير نجد الذى حمل هذا الاسم في
أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة لأواسط القرن التاسع عشر
الميلادى . أم هو سلطان مسقط الذى حمل عين الاسم في أوائل القرن
الرابع عشر الهجرى الموافقة لأواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل
القرن العشرين (١) .

(١) ولكنه يلوح أن ثسيجر يقصد سلطان مسقط المذكور .

وفضلاً عن الملح يستخرج الدروع مقادير صغيرة من الكبريت من تل يسمى قارة الكبريت يقع في نفس المنطقة ؛ ويستخدم الكبريت بوجه خاص في علاج داء الجرب في الابل ؛ ومن المحتمل أيضاً أنه يستخدم لتعبئة البنادق البدائية في الصحارى •

تعد ابل الدروع التي ترعى عند أطراف الربع الخالى من خير الابل بعمان ؛ وهذه بدورها تعد ابلا ممتازة في شبه الجزيرة العربية كلها • ويبيع الكثير من ابل الدروع في أسواق الداخل •

لا يعرف اذا كانت هناك صلة ما بين الدروع وآل درع وهم من أقرباء آل سعود وقد كانوا يقيمون في وادى حنيفة في نجد ، أم أن هناك مجرد تشابه بين الاسمين • والواقع أن آل درع هم الذين أطلقوا على الدرعية اسمها • وكانت الدرعية العاصمة الأولى للموحدين في الجزيرة العربية ، وبذلك كانت سابقة لمدينة الرياض الحديثة •

اشتهر الدروع بأنهم غزاة شجيمان مقادير ومقاتلون أشداء • ويقال انهم خاضوا فيما سلف كل فتنة قامت بها القبائل في هذا الجزء من عمان • ويقول ثسيجر « انهم اشتهروا كذلك بالخيانة ... فيروى البدو الآخرون أنهم كثيراً ما يقتلون زملاء هم في السفر ثم يزعمون بعد ذلك أنهم ماتوا ببلدغة حية » • ويبدو هذا الاتهام مبالغاً فيه شيئاً ما •

ويقول ثسيجر ان على بن هلال من فخذ المحاميد أصبح أخيراً الرئيس الأعلى للدروع ، وان كان الرئيس السابق محمد بن سعيد تينه ، وهو بدوى ذو شهرة كبيرة ، لا يزال على قيد الحياة • ويتضح مما رآه ثسيجر ببلاد الدروع أن المحاميد لم تعد لهم سيطرة فعالة على القبيلة كلها ، ذلك لأن هناك من يتحدى سلطتهم ولا سيما من فخذ المقاردة الأقوياء • وليس من المعروف هل تدخل ممثلوا حكومة الامام في هذا الأمر أم لا •

العِفَار

قبيلة صغيرة غريبة من السنين : وتعيش جماعة منها في بلاد الدروع ، ويبلغ عدد الذكور هنا نحو أربعين لا أكثر . ويوجه بعض العرب اليهم تقريرا حيث يتهمونهم بأكل الرمم . ولكن العرب الذين يعرفونهم معرفة جيدة يقولون ان هذه التهمة ليس لها ما يسوغها . وهم هناوية يعيشون بين الدروع الغافرية ويتمتعون بامتياز مفيد اذ يسمح لهم بالترحال بغير قيد أو شرط مع كل من يصحبهم سواء من الغافرية أو من هناوية . أما سائر رجال العفار فانهم يوجدون خارج أراضي الأمامة .

أَلْخُمَيْس

قبيلة صغيرة من البدو تعيش في بلاد الدروع وتتحالف معهم أو لعلها في منزلة قبيلة موالية لهم . وهي من الغافرية ، أسوة بالدروع .

بنی رواحة
رُويحي
قبيلة كبيرة
إباضية
هناوية
حضرية
خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قبيلة بنى رواحة هي القبيلة التي ينتسب اليها الامام الحالي محمد ابن عبد الله الخليلى . ولا يعد الامام ، على أية حال ، رئيسا للقبيلة بالمعنى المألوف لأن مركزه يسمو به فوق الآراء السائدة عن سياسة القبائل . وهذه هي احدى القبائل الكبيرة عددا في الداخل وتحتل منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية . فالجزء الأعلى من العقبة الرئيسية التي تمتد من عمان الوسطى الى الساحل ، في قبضة هذه القبيلة وتحمل اسمها ، وادى بنى رواحة^(١) . ويقيم معظم رجال القبيلة في قرى الوادى العديدة .

وبنى رواحة بوصفهم حضرا يعملون أكثر ما يعملون في الزراعة والتجارة والنقل . ويملكون قدرا كبيرا من النخيل وعددا قليلا من الابل . وتتألف ماشيتهم في الأغلب من البقر والحمير والغنم .

(١) يعرف الجزء الاسفل من هذه العقبة باسم وادى سمائل .

في خلال أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر
الموافقة للنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي . ناصبت قبيلة
بنى رواحة سلطان مسقط العداء وبخاصة في عهد امامة عزان بن قيس
عندما أصبح سعيد بن خلفان الخليلي . وهو من أبناء هذه القبيلة ، قوة
من قوى الدولة . وقيل ان السلطان . حوالى عام ١٣٢٣ هـ أى في ١٩٠٥ م .
استمال القبيلة الى جانبه بأن دفع لها مبلغا من المال . غير أنه لم يمتنع الا
زمن قصير حتى عادت القبيلة الى معارضتها القديمة له .

وبنى رواحة ما فتئوا : كما كانوا من زمن طويل . أعداء لبني ريام ،
وهم رجال قبيلة سليمان بن حمير أمير الجبل الأخضر : غير أن الخصومة
بين القبيلتين أمكن كبح جماحها بعد بعث الامامة في عام ١٣٣١ هـ
الموافق ١٩١٣ م .

بنی ریام
ریامی
قبيلة كبيرة
إباضية
غافرية
حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعاً تاماً

لما كان بنی ریام موالین لرعیهم أمير الجبل الأخضر ، فانهم يحتلون منزلة لها شأنها الكبير فی الامامة وفي أنحاء جبال عمان كلها . وقد ذكرنا نشاط رجال هذه القبيلة بوصفهم حماة للامامة فی القسم التاريخي من هذا الكتاب وفي القسم المخصص لسليمان بن حمير الرئيس الحالي . وتنوف عاصمة سليمان ، هي عاصمة قبيلة بنی ریام كذلك . والمناطق الجبلية التي تحتلها هذه القبيلة قريبة من أراضي قبيلة بنی راحة الهناوية ، وهي المنافسة القديمة لبنی ریام ، على الرغم من أن القبيلتين أصبحتا الآن تحت سيطرة الامامة . ويسكن رجال بنی ریام العਲاية فی نزوى ، عاصمة الامامة ، ويعيشون كذلك فی جهات أخرى من عمان الوسطی . يتمتع بنی ریام فی المناطق الواقعة شمال غربی بلادهم وغربها بنفوذ أقوى من النفوذ الذي يتمتعون به فی المناطق الواقعة جنوب شرقها ، ذلك لأن الأولى تحكمها الغافرية والثانية تحكمها الهناوية .

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجرى الموافقة على وجه التقريب
لمستهل القرن العشرين الميلادى وصف مصدر بريطانى بنى ريام بأنهم
« قبيلة غريبة الأطوار بعض الشيء » وهم جميعا أغنياء الى حد ما
مسالمون . أما الذين يعيشون فى الجبال فمكروهون لأنهم مشاكسون
كسالى فجرة بخلاء . وقد يكون مرد الحملة عليهم فى بعض الأحيان الى
تجاهلهم المبادئ الاسلامية : فهم يشربون نبيذا يصنعونه بأنفسهم من
كروم يفرسونها فى موطنهم . وقد وصفوا بأنهم عجاف يشيخون قبل
الأوان : وتنقصهم الحيوية والقوة اللتان يستمتع بهما عادة سكان الجبال ،
والنساء فى هذه القبيلة سافرات ولهن فى بعض الأحيان وجوه صافية
البشرة متوردتها . »

قد يكون هذا الوصف فى حاجة الى مراجعة دقيقة ، فالقبيلة تميل
الى الروح الحربية أكثر مما هو واضح هنا . ويبدو أن الأقوال المتعلقة
بضعف رجالها وتكاسلهم ليست كلها صحيحة .

آل بُوسَعِيد

سَعِيدى أوبوسَعِيدى

قبيلة متوسطة (فى الامامة)

إباضية

هناوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

آل بو سعيد قبيلة هاجرت من اليمن الى عمان فى العصور القديمة ، وربما بقيت القبيلة بجملتها تعيش الى يومنا هذا مغمورة خاملة الذكر وراء الجبال لولا أن أحد رجالها ، وقد ولد فى آدم منذ نحو قرنين ونصف قرن ، أصبح لحسن حظه وبحكم ما يستمتع به من مزايا مؤسسا للأسرة الجديدة من سلاطين مسقط . أما اليوم فانها أكثر قبائل عمان شهرة فى البلاد الأجنبية ، غير أن هذه الشهرة لا تشمل أولئك الرجال الذين لم يعبروا الجبال اطلاقا .

مافتت آدم ، وهى مسقط رأس أحمد بن سعيد جد أسرة السلاطين ، مركزا من مراكز القبيلة الرئيسية فى عمان الوسطى . ويتقاسم آل بو سعيد ملكية البلدة مع قبيلة المحاريق ، وليس بينهما حب مفقود .

وللمحاريق عادة ، وهم مسيطرون على حصن آدم . اليد العليا في المنافسة .
يسكن بعض رجال آل بو سعيد نزوى . عاصمة الامامة . في حين أن
غيرهم قد انتقل الى بعض أودية الحجر . وليس ثمة الا جماعة صغيرة من
القبيلة قصدت الى مسقط والباطنة .

واذا استثنينا صلة الدم . فإن العلاقات التي تربط سلاطين مسقط
ورجال قبيلتهم في الداخل انفصمت انفصاما تاما . وثمة حقيقة تقابل بنوع
من التهكم مؤداها أن السلاطين رغم أنهم قد انحدروا من سلالة هناوية
يرون حتما عليهم أن يعتمدوا أول ما يعتمدون على تأييد الغافرية
للاحتفاظ بحكمهم ، وأنهم على الرغم من أنهم من سلالة اباضية ؛ فإن
الامامة الاباضية هي التي أثارت روح التحدى الخطير لسلطتهم .

بنی شکیل
شکیل
قبيلة متوسطة
إباضية
غافرية
حضرية
خاضعة لسيطرة الامامة خضوعاً تاماً

قبيلة بنی شکیل ظلت زمناً طويلاً ركناً من أركان سلطة الامامة في عمان الوسطى ، المركز الجغرافي والديني للأراضي الإباضية • وسيفهم هي عاصمة بنی شکیل ، وثمة عدد من القرى الأخرى في عمان الوسطى يسكنها كلها أو بعضها ، رجال هذه القبيلة •

العَبْرِيُّنَ عَبْرَى

قبيلة متوسمة ———
إباضية (وبعض أفرادها سنيون)
غافرية ———
حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعاً تاماً

ان قبيلة العبريين هي من القبائل ذات النفوذ في منطقة الحدود عند الطرف الغربي للامامة . وفي هذه المنطقة يشترك العبريين مع البلوش المستقلين في الظاهرة في ملكية بلدة العراقي في أعلى الوادي من عبرى . ومع أنه قد يبدو أن اسم العبريين مرتبط باسم مدينة عبرى الهامة الواقعة على الحدود ، ومع أن القبيلة تقيم على مسافة غير بعيدة عن هذه المدينة ، فليس ثمة رابطة وثيقة في الوقت الحاضر بين القبيلة والمدينة . والغريب أن كلمة « عبرى » لها معنى « يهودى » بالعربية ، ولكن هذه بلاريب مصادفة مجردة لأنه ليس هناك ما يشير الى أن القبيلة قد تكون من أصل يهودى .

ومع أن معظم رجال القبيلة من الإباذيين . فإن بعضهم على ما يقال
من أهل السنة . وقد يكون هذا صحيحا بسبب موقع القبيلة في الرقعة
التي يقل فيها الإباذيون الأقوياء بعمان الوسطى رويدا رويدا أمام
السنين بالظاهرة .

العَوَامِرُ عامر

جماعة متوسطة (في الامامة)

إباضية

هناوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تنقسم قبيلة العوامر الى ثلاث جماعات . هي الى حد كبير معزولة بعضها عن بعض : (١) الجماعة الجنوبية التي تقيم جنوبى الربع الخالى ، (٢) والجماعة الوسطى وقوامها بدو يعيشون في ديرة آل بوشامس غربى الظاهرة ويمعدون أنفسهم رعايا لآل سعود ، (٣) والجماعة الشرقية وهي حضرية تعيش في عمان الوسطى وفي الشرقية وفي الباطنة . ولن يتناول هذا البحث سوى رجال الجماعة الثالثة الذين يعيشون في عمان الوسطى وفي الشرقية . أما الذين يقطنون في الباطنة فيبدو أنهم موالون لسلطان مسقط .

والعوامر في عمان الوسطى الذين تقع قراهم على مسافة غير بعيدة من نزوى والعوامر في الشرقية ، هم بلا ريب طلائع مهاجرين من الجنوب جاءوا الى ديرتهم الحالية منذ عهد بعيد حتى لقد اندمجوا فيها الآن

اندماجا تاما : وانفصلوا الى حد كبير عن الجماعتين الآخرين لقبيلتهم *
وقد تخلت هذه الطلائع عن أساليبها البدوية ، واعتنقت الإباضية ، وغدت
ولا فرق بينها وبين جيرانها في معظم الاحوال *
ولم يمتد الى دليل يدل على أن صلات جماعة العوامر الوسطى
بالمملكة العربية السعودية كان لها تأثير ما في أفراد الجماعة الشرقية ،
وذلك لأن بقاء الجماعة الوسطى بدوية سنية أدى الى عدم تشجيع
الاتصال الوثيق مع أقربائهم النائين في عمان *

المَحَارِقُ مَحْرُوقُ

قبيلة متوسطة

إباضية

غافرية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعاً تاماً

عاصمة المحاريق هي بلدة آدم ، يشاركون فيها عدد من آل بو سعيد وهي القبيلة التي أنجبت سلاطين مسقط . وكانت ثمة عداوة شديدة بين العنصرين في البلدة فيما مضى ، وبما أن المحاريق يملكون الحصن فقد دانت لهم عادة السلطة العليا .

تقع آدم في أقصى الجنوب من قرى عمان الوسطى ، وهي بهذا أقرب الى الصحراء ، ولذلك كثر تردد البدو الذين يعيشون على طول الحدود الجنوبية للامامة عليها . ومع أن البلدة تقع على بعد شاسع من البحر فانها تتصل بالساحل بطريق للقوافل تستخدم في مرور كثير من السلع . وعند ما زار مايلز الساحل قبالة مصيرة في عام ١٣٠١ هـ الموافق ١٨٨٣ م وجد هناك مقادير كبيرة من التمر جلبت من آدم لتصديرها عن طريق

ميناء محوت الصغير الى مسقط وزنجبار • ويحتل أن تكون تجارة
التمر هذه مستمرة حتى اليوم •
ويعيش بعض رجال المحاريق في بلدة بهلا القديمة بعمان الوسطى
وفي سناو بالشرقية •

بنى هينا هناوى

قبيلة كبيرة (؟)

إباضية

هناوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

في أوائل القرن الثانى عشر الهجرى الموافقة لأوائل القرن الثامن عشر الميلادى أصبح خلف القصير . رئيس قبيلة بنى هنا ، زعيما لليمنية فى عمان فى نضالهم الطويل مع النزارية ، واليمينية هى القبائل التى تزعم أنها من نسل عرب الجنوب ، والنزارية هى القبائل التى تزعم أنها من نسل عرب الشمال . وبمرور الوقت حل اسم هناوية ، المشتق من اسم قبيلة خلف . محل اسم اليمنية . وحل اسم العافرية ، المشتق من اسم قبيلة بنى غافر^(١) ، محل اسم النزارية ، مع أن زعامة الفتيين انتقلت الى أيد أخرى . ومن المستحسن أن يميز دائما بين عبارة بنى هنا وعبارة هناوية بمعناها الخاص الذى يشير الى القبيلة وأفرادها وبين نفس

(١) ان قبيلة بنى غافر التى تعرف أيضا باسم الميايعة هى اليوم احدى القبائل المستقلة فى الظاهرة . راجع ص ١٩١ .

العبارتين بمعناها العام الذى يشير الى الفئة كلها وأفرادها • ولما كانت المحافظة على هذا التمييز شيئا عسيرا ، فقد كانت النتيجة اضطرابا لا مفر منه • وقد يمن لسائل أن يسأل مثلا هل صحيح أن قبيلة بنى هنا كبيرة جدا كما تقول بعض المصادر ؟ والحقيقة ان أقوالهم قد تكون متأثرة باختلافهم فى التمييز تمييزا جليا بين القبيلة والفئة • والقبيلة فى الوقت الحالى ليس لها حق مطلق فى أية مدينة أو قرية كبيرة ، وان كانت تسكن جزءا من نوى عاصمة الامامة ، ومعظم قوتها مركز فى عمان الوسطى •

آل وهيب

وهيب

قبيلة كبيرة

إباضية

هناوية

بدوية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قد تعد قبيلة آل وهيب أكبر قبائل البدو وأقواها في الامامة ، وفي جميع بقاع الداخل من عمان كذلك . وأفراد آل وهيب مع أعدائهم الغافرية القدامى من الدروع والجنبة يعتبرون كل هؤلاء سادة الأراضي الواسعة الواقعة بين مناطق عمان المأهولة والصحارى الرملية الكبيرة في شرق الجزيرة العربية . ولما كانت قبيلة آل وهيب أنأى القبائل الثلاث شرقا ، فانها تشرف على حدود الامامة من ناحيتي الشرق والجنوب الشرقي . تمتد ديرة آل وهيب من وادي حلفين الى البطحاء في الشرقية ، وتصل من ناحية الشمال الشرقي الى جوار جبال الحجر في اتجاه البحر العربي ، ومن ناحية الشرق تضم مساحة فسيحة من الرمال ، وهي أكبر مساحة من هذا القبيل توجد في هذه البقعة من الجزيرة العربية بين الربع الخالي

والبحر • وبمعنى آخر تنحصر هذه الديرة بين المنطقة التى تحتلها الجماعة الغربية من الجنبه وتلك التى تحتلها الجماعة الشرقية • وما فتى رجال آل وهية يفضلون المكوث فى ديرتهم معظم الوقت بخلاف غيرهم من رجال بعض القبائل البدوية الأخرى ، فآل وهية ممن لا يسعون وراء آفاق جديدة ، رغم أن حب التجول متأصل فى دمائهم •

ولا ينفرد شيخ من شيوخ آل وهية بالسيادة على القبيلة كلها • وأكبر الفخوذ شأنا فى القبيلة فخذ الجحاحيف ، وهم تحت امرة سعيد ابن راشد • وفخذ آل بو غفيلة • وهم تحت امرة سلطان بن منصور • ويقول الجحاحيف أنفسهم انهم من أصل أجنبى : حيث أنهم ينحدرون من فخذ بدوى من فخذ آل بو سعيد • ولهذا فلم صلة قرابة بعيدة مع سلاطين مسقط •

وقد درج رؤساء آل وهية على أن يقضوا شطرا من العام فى قرى الشرقية • فيقصد شيوخ الجحاحيف الى السديرة • ويقصد شيوخ آل بو غفيلة الى الأفلاج • ويقضى هؤلاء الرؤساء بقية الوقت فى الخلاء مع شعبهم •

وللقبيلة سمعة طيبة لما اتصف به رجالها من خلق كريم وخلال أصيلة • ومنذ قرن ألفاهم الدكتور كارتر « أحسن منظرا وأكثر مرحا من الجنبه » • ويقول تسيجر « انهم مشهورون بكرم ضيافتهم ... وقد وجدتهم بلا ريب شعبا جذابا » •

والابل التى يربها آل وهية مشهورة بسرعتها ومزاياها الحسنة ، والقبيلة غنية كذلك بما تملك من الغنم والحمير • ويختلف رجال آل وهية عن جيرانهم من الحجرين والحرث والجوس اذ لا يملكون الا خيولا قليلة وماشية قليلة ، وقد لا يملكون شيئا منها •

تذكر الكتب العربية الخاصة بتاريخ عمان أن قبيلة آل وهيبة في خلال
أواسط القرن الثالث عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن
التاسع عشر الميلادي قد وقعت مرات عديدة الى جانب حكام مسقط
في وجه موحدى نجد ، وكان من بين أسباب هذا أن بنى بو علي . وهم
من الغافرية في جعلان ممن احتضنوا فكرة التوحيد . كانوا أعداء
قدامى لآل وهيبة .

في عام ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨٦٥ م تدخل الموحدون ، وقد كانوا
يخرجون من قاعدتهم في البريمي ، في الشؤون الداخلية لآل وهيبة ،
فأيدوا ترشيح أحد الطامعين في الظفر بزعامة القبيلة . وزحف الموحدون
في تدخلهم صوب الجنوب الشرقي لغزو الشرقية ثم صوب الساحل
لنهب مدينة صور .

وعند ما قامت دعائم امامة عزان بن قيس في عام ١٢٨٥ هـ الموافق
١٨٦٨ م قدم آل وهيبة ولاءهم للدولة الجديدة فترة وجيزة من الزمن .
وقد أقنع السلطان السابق سالم بن ثويني معظم رجال القبيلة بالانضمام
اليه في الهجوم الذي دبره على الامامة . ومنذ ذلك الحين ما فتىء الامام
عزان يعد آل وهيبة من بين خصومه باستثناء رئيس من رؤساء الجحاحيف
ظل مواليا له . واذ بدأت الامامة تنهار ، ازدادت حماسة رجال آل وهيبة
في الحملة عليها لدرجة أنهم لجأوا الى الاستعانة بتأييد منافسيهم الموحدين
من بنى بو علي .

وفي عام ١٢٩١ هـ الموافق ١٨٧٤ م انضم أحد رؤساء الجحاحيف
الى معية السلطان تركى بن سعيد في مسقط ، ولما اكتشف السلطان أن
هذا البدوى من الشرق يتآمر عليه مع بعض زعماء الهناوية زج به في

السجن : وهذه آخر مرة . فيما نعلم : ارتبط فيها زعيم من زعماء القبيلة بأى سلطان من السلاطين .

وثمة رجل ذو شهرة من آل وهيبة في عهد السلطان تركى هو حمد ابن حميد بن خليفين . ويعتد نسله اليوم من الشيوخ الكبار من آل بو غفيلة . وما فتىء عرب عمان يروون روايات ويرددونها عن أعمال ابن خليفين . وقد أقام في قلعة منيعة في السديرة وجعل من اسمه كنية لكرم الضيافة .

والقول في الآونة الحاضرة ان قبيلة آل وهيبة تنعطف بعض الشيء الى سلطان مسقط على الرغم من أنه ليس ثمة دليل على أن القبيلة ترغب في أن تعيش تحت حكمه أو حكم ولاته .

كانت القبيلة فيما مضى على علاقات ودية مع حكام أبو ظبى وقد اعتاد ممثلوها أن يقصدوا الى أبو ظبى بين الفينة والفينة ليتلقوا الهدايا ، ويقال ان هذه الصلة ما انفكت قائمة .

كذلك لم تكن قليلة الزيارات من هذا القبيل الى الرياض . ويحدثنا شجير عن رحلة قام بها حمود بن سعيد ، نجل رئيس الجحاحيف ، الى الرياض في شتاء عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م « لبيع ابلا وليؤدى السلام على ابن سعود » وكانت بعض الابل تقدم كذلك هدايا للأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية . وقد أصيب عدد كبير من أصحاب حمود بالحمى في طريق عودتهم ومات منهم أحد عشر رجلا .

آل عَمْرُو

قد ورد ذكر هذه القبيلة الصغيرة جدا في البابين الخاصين بالحجرين وبنى بو حسن ، ولها علاقات أيضا مع آل وهيبة فبعض رجالها يهيمنون في الرمال التي تقع في ديرة آل وهيبة .

الفزارى

تمد هذه القبيلة البدوية الصغيرة موالية لآل وهيبة ، ورجالها في هذه البقاع اباضيون وهناوية . ويعيش بعض رجال القبيلة الآخر حياة حضرية في الباطنة ، حيث لا يخضعون لسيطرة الامامة . ويقال ان رجال آل وهيبة يرفضون أن يكون ثمة تزواج بينهم وبين الفزارى . وفي هذا دلالة على أن الفزارى دونهم في المنزلة الاجتماعية .

الحكمان

يبدو أن لبعض رجال هذه القبيلة ، وقد تكلمنا عنها في حديثنا عن الجنبه ، علاقات في الآونة الحاضرة بآل وهيبة . ويميل رجال الحكمان ، من المرتبطين بآل وهيبة ، الى التحول من فئة الفافرية الى هناوية . ويقال ان رجال آل وهيبة يأبون مصاهرة الحكمان ، وبهذا يهبط هؤلاء الى عين المنزلة الاجتماعية المنخفضة التي هبط اليها الفزارى .

آل بو عيسى

ان الروابط التي تربط هذه القبيلة البدوية الصغيرة بآل وهيبة تشبه تلك التي تربط آل عمرو بآل وهيبة . ويقيم آل بو عيسى في ذات المنطقة الرملية التي يقيم فيها آل عمرو . ورجال آل بو عيسى هناوية .

اليَعْقَابِيُّ

يَعْقُوبِي

قبيلة متوسطة

عقيدتها الدينية غير معروفة على وجه الدقة^(١)

غافرية

حضرية

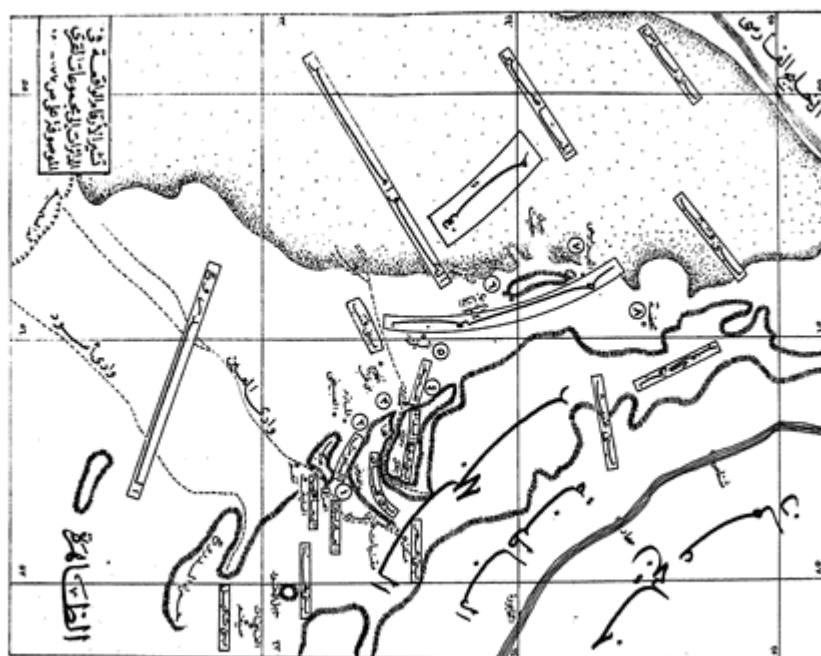
خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قبيلة اليعاقب هي العنصر المتحكم في مدينة عبرى الواقعة عند الحدود وهي آخر مدينة في الامامة يلقاها المسافر شمالا بغرب في اتجاه البريسى . ويقطن بعض رجال القبيلة كذلك في بعض القرى المجاورة . ومن بين جيران اليعاقب العبريين الغافرية وهم من قبائل الامامة ، والبلوش الهناوية وهم من القبائل المستقلة في الظاهرة .

ومع اختلاف الروايات في عقيدة اليعاقب الدينية ، فان من المحتمل أن يدين بعضهم تحت تأثير الامامة بالاباضية ، بينما يؤمن بعضهم بالمبادئ الدينية الخاصة بالسنيين المستقلين من أهل الظاهرة .

(١) المرجح أن القبيلة خليط من الاباضيين والسنيين .

الظُّلُمَةُ



□ أضف إلى السلة

الظاهرة

الى الشمال الغربى من الامامة والجنوب الشرقى من ساحل الصلح البحرى يتألف داخل عمان من الظاهرة أو الأرض المرتفعة وهى تختلف اسما وحقيقة عن الباطنة أو الأرض المنخفضة التى تسير بمحاذاة ساحل خليج عمان شرقى سلسلة جبال الحجر . ففى الشمال تصل الظاهرة الى جوار شبه الجزيرة المعروف باسم روس الجبال وتتحد حدودها فى الجنوب الى تلال الحجر المتطرفة ومجارى المياه المنسابة الى بلقع الربع الخالى . وأما الى الغرب من الظاهرة فلن تجد سوى القلوات الرملية الخاوية . والى الشرق يقوم حاجز جبال الحجر الطويل الشديد الانحدار سدا منيعا لهذه المنطقة ، ولا تخترقه سوى مخارم هنا أو هناك فى الجبال تيسر اجتياز المعابر الوعرة الى الباطنة والموانى التى على البحر الخارجى .

وليس ثمة حدود معترف بها لمنطقة الظاهرة أو للأجزاء التى تتألف منها . حتى اذا نظرت اليها من الناحية الجغرافية المجردة ، وجدت مشقة فى تعيين حدود للمنطقة . فمثلا ليس فى وسع أحد أن يقول قولا فاصلا فيما اذا كانت تنتهى الظاهرة عند الجنوب الشرقى فى جوار عبرى ، وهى أبعد مراكز الامامة الادارية فى هذه الجهة ، أم تمتد وراء عبرى الى جبل الكور والأرض غير المستوية المعروفة باسم حمراء الدروع ، وكلاهما أى جبل الكور وحمراء الدروع قد يعدان مجتمعين الطرف الغربى لعمان الوسطى ، وأيسر لنا من أجل أغراض هذا البحث أن نعد الظاهرة ممتدة الى جوار عبرى ووادى العين وحسب ، ووادى العين

هو الامتداد الغربى الجنوبى للوادى الذى تقع فيه عبرى والقرى
التي تتبعها .

ومع أن الظاهرة ليست مزدحمة بالسكان ولم تكشف فيها موارد
ثروة طبيعية كبيرة . فانها تستحق أن تعد بين المناطق ذات الشأن في
الجزيرة العربية بحكم موقعها الاستراتيجى . فهنا أو في هذه الجيرة
يلتقى نفوذ المملكة العربية السعودية أو يدنو من نفوذ دول ساحل الصلح
البحرى وسلطنة مسقط وامامة عمان ، ولكل منها شيء من نفوذ في البلاد
التي تجاور الأرض الخاضعة لسيطرتها خضوعا تاما .

وقد كانت الظاهرة هي الباب الذى دخل منه موحدو نجد ، أسلاف
الحكومة العربية السعودية الحاضرة ، الى عمان في أوائل القرن الثالث
عشر الهجرى الموافقة لطلائع القرن التاسع عشر الميلادى ، ولم تزل
العلاقة قائمة بين الموحدين والظاهرة منذ ذلك التاريخ . أما حكام
أبو ظبى فقد كان لهم منذ زمن طويل موطن قدم في قرى البريمى الواقعة
في الظاهرة وسوف ترى فيما يلى من المعلومات أن الصلات بين أماكن
أخرى على ساحل الصلح البحرى وبين الظاهرة لم تكن منعقدة . فيقال
ان سلطان مسقط يدعى لنفسه حقا في أجزاء كبيرة من الظاهرة ، ان لم
يدع لنفسه حقا في المنطقة كلها . ومن المعروف أنه بذل في السنوات
الأخيرة مساعى لتعزيز ادعاءاته بتوسيع نطاق نفوذه توسيعا فعالا . وفي
أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة على وجه التقريب للنصف
الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وضعت امامة عمان يدها على
الظاهرة واحتفظت بها زمنا قصيرا ، وكادت الامامة الجديدة تفعل ذلك
مرة أخرى في عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م .

ويحيط بالظاهرة دول تهتم بشئونها ولكنها ظلت الى حد ما حرة
لم تخضع لسيطرة خارجية منذ أن احتلتها قوات الامامة احتلالا عابرا

قبل نحو قرن من الزمان • بيد أن أهل الظاهرة لم يتعلموا الانتفاع بحريتهم تماما ، فبدلاً من أن يتحدوا لينشئوا حكومة مركزية تحافظ على الأمن وتشجع فنون السلام تبادوا في ضغائنهم القديمة ونزعاتهم الحديثة حتى صارت المنطقة مقسمة أقساماً صغيرة يحكم كل منها سيد صغير أو شيخ من شيوخ القبائل • وقد كتب الرحالة البريطاني ولفرد ثسيجر الذى يعرف هذه المنطقة معرفة وثيقة فوصف حالتها الحاضرة وصفا جلياً فقال :

فى كل مكان فى عمان الشمالية ترى الشيوخ الذين يفار بعضهم من بعض أو يعادى بعضهم بعضاً • وهم يعتمدون فى الاحتفاظ بمنزلتهم على تأييد البدو وهو تأييد متقلب • وهم ينافسون بعضهم بعضاً للظفر بتأييد رجال القبائل بالاعداق عليهم من ضيافتهم ومنحهم • وليس بين هؤلاء من هو مستعد للاعتراف بسلطة أعلى من سلطته ، وليس بينهم من هو قادر على أن يفرض سلطانه على البدو ، بل ليس بينهم من يجرؤ على أن يحاول ذلك خشية أن يفقد تأييدهم متى اشتدت حاجته الى ذلك التأييد • ونتيجة ذلك أن البلاد ملأى بالخارجين على القانون الذين لا يخشون عقاباً سوى عقاب ثأر الدم واقتصاص أعدائهم من رجال القبائل... ومن وراء هذه الأحقاد والضغائن نجد النزاع القديم بين القبائل التى من أصل يمنى والقبائل التى من أصل نزارى ، وقد ظهر هذان الفريقان اليوم الى حد بعيد فى فتى الهناوية والغافرية... هذا النزاع الذى مزق عمان خلال قرون وحال دون قيام حكومة ذات سلطان فى الظاهرة •

قرى الظاهرة

توجد قرى الظاهرة على الأغلب في مجموعات ، فالحياة غير مأمونة ولا تستطيع قرية منفصلة أن تعيش مطمئنة . وقد تتألف المجموعة من قرى متشابهة على سهل منبسط ، أو على أرض مستوية على مقربة من جبل . أو قد تكون سلسلة من القرى بطول واد متداخل بين ثنايا جبال الحجر . ولجميع العناصر التي تتألف منها مجموعة القرى حاكم واحد في بعض الحالات ؛ وفي حالات أخرى تكون كل قرية مستقلة بنفسها . وفي حالات نادرة يكون السلطان موزعا في داخل قرية واحدة أو أكثر من القرى . وبعض مجموعات القرى تسكنها قبيلة واحدة . بينما بعضها تسكنها عناصر من أربع أو خمس من القبائل المختلفة المستقرة في داخل حدودها . وسنعالج هنا المجموعات الثماني الرئيسية للقرى في منطقة الظاهرة^(١) .

(١) هذه القرى تحمل أرقاما من ١ الى ٨ على خريطة الظاهرة المرفقة بهذا الفصل ، وهي مرتبة وفقا للترتيب التالي .

١ - قرى وادى الكبير

ينحدر وادى الكبير من سلسلة جبال الحجر صوب الجنوب ، ثم جنوبا بغرب حتى يتداخل فى وادى العين الذى يواصل سيره الى الجنوب الغربى حتى يلتقى بالطرف الشمالى لميعاس أم السميم على أطراف الربع الخالى . ويعد هذا الوادى الطويل بصفة عامة الخط الذى يفصل أراضى امامة عمان عن الأراضى المستقلة للظاهرة . وتقع مدينة عبرى . وهى عاصمة أحد ولاه الامام . فى وادى الكبير بالقرب من النقطة التى يفرق الوادى فيها عن الجبال . أما القريتان اللتان تقعان دون عبرى . وهما السليف وتنعم . فانهما خاضعتان للامام . على حين أن قبيلة الدروع التى تقطن فى وادى العين خاضعة بعض الخضوع لسيطرته .

وكما أن سلطة الامام لا تتجاوز مدينة عبرى الى الظاهرة ، فانها كذلك لا تمتد الى ما وراء عبرى تجاه أعلى وادى الكبير ، وتقع القرى المستقلة للوادى على مرأى من مقر الوالى الاباضى . وأولها هى قرية العراقى المنقسمة بين البلوش والعبريين الذين يعيشون فى حالة صلح قلق ان لم يكن بينهم نزاع . ولا يعترف البلوش . وهم من السنين ، بالامام حاكما لهم . أما القسم الذى يعيشون فيه فى القرية فينبغى اعتباره مستقلا ، ومن ناحية أخرى نرى العبريين ، وبعضهم من الاباضيين ، موالين للامام ولذلك فإن القسم الذى يعيشون فيه فى العراقى موطن القدم الشمالى المتطرف للامامة فى وادى الكبير .

واذا تابعنا من العراقى مجرى الوادى الصاعد ، نصادف أراضى الميايحة أو بنى غافر الذين يحتلون قصر العينين المشهور وكذلك قرية

الدريز • ومقل قوة الميايحة هو الى الجانب الآخر للحجر في وادى بنى غافر الذى يتدرج هابطا الى خليج عمان • والدريز هى عاصمة تلك العناصر التى تعيش على الناحية المواجهة للظاهرة من الجبال •

والى شمال أرض الميايحة تقع قبيلة بنى كلبان الجبلية الشديدة المراس ، وأهم قراها هى مقنيات والعارض ومسكن وتقع جميعا فى وادى الكبير أو فى الأودية المجاورة له • ومقنيات هى عاصمة قبيلة بنى كلبان ، فى حين أن بلدة مسكن التى تقع بالقرب من رأس وادى الكبير تعد أقصى ما تبلغه القبيلة فى امتدادها شمالا • وتقع وراء مسكن أراضى قبيلة بنى عمر الاباضية ، وهى قريبة جدا من الباطنة بحيث لا يمكن اعتبارها تابعة للظاهرة •

٢ - قرى البلوش

لقد ذكرنا آنفا أن البلوش يملكون جزءا من قرية العراقي في وادي الكبير . وهم يملكون كذلك ثلاث قرى تقع في الظاهرة ، وهي المازم والصبيخى ومشارب ، وجميعها تقع بالتقريب شمال غربى عبري . ويقول تسيجر في وصف رحلته عبر هذه الأراضى في عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م « ووراء عبري ندخل أراضى البلوش وبنى قتب الجنوبيين وآبوشامس . وهي قبائل لا تعترف بحكم الامام . وكان من العسير التكهن بما ستقوم به اذا درت بوصولي . فان كشف الزيت على ساحل الصلح البحرى^(١) أثار مطامع القبائل المجاورة وشكوكها . فصارت شديد الغيرة على حقوقها . أما وهى مشغولة الآن بالدسائس لزيادة مطالبها الاقليمية أو للمحافظة عليها ، فانها ليست في الوقت الحالى موافقة الا على سياسة استبعاد جميع الأوربيين من أرضها » . والمازم هى عاصمة البلوش المستقرين في هذه القرى الثلاث ، غير انها ليست بحال من الأحوال عاصمة جميع البلوش في عمان وسلطنة مسقط كما سيتضح في الباب الخاص بالبلوش الذى يرد فيما بعد .

(١) لا يدل هذا القول على حقيقة الأمر اذ أن الزيت لم يكن قد اكتشف هناك في الوقت الذى قام فيه تسيجر برحلته .
أما ما كان في فكر تسيجر فهو بلا شك ازدياد نشاط شركة استثمار البترول وبخاصة في جوار أبو ظبى ، وكان الأمل في العثور على الزيت هو مبعث هذا النشاط .

٣ - قرى بنى قتب

على بعد يسير الى الشمال الشرقى من المازم تقع القرى التى استقر فيها الحضر من بنى قتب . وهى مجموعة من القرى تعرف فى جملتها باسم أفلاج بنى قتب ، وموقعها يتوسط المسافة بين قرى البلوش وقرى آل بوشامس المجتمعة من حول السنية . ولفظ الأفلاج هو جمع فلج الكلمة المستعملة فى طول عمان وعرضها لوصف قنوات الري الطويلة التى تحت الأرض . وقد بنيت مسaire للطريقة المتبعة فى ايران فيجرى فيها الماء المحيى الى الحقول وبساتين النخيل التى تحيط بالقرى على العموم^(١) .

وقد ذكر ثسيجر أسماء خمس قرى فى أفلاج بنى قتب بعضها محرفة . على أن شهادة العرب الذين يعرفون هذه المنطقة تدل على أنه قد تكون هناك تسع قرى أو عشر بعضها صغيرة جدا . وأكبر القرى هى المعمور^(٢) ، وهى مقر رؤوس الجماعة الجنوبية من بنى قتب . أما جفيف وأبو خابى فتليانها حجبا على الأرجح .

(١) فى عمان عدد من القرى أو مجموعات منها تعرف باسم أفلاج فلان أو فلج فلان أو فليج فلان أو فليجات فلان .

(٢) ينبغى أن لا يختلط اسم هذه القرية باسم قرية المعمور التابعة للدروع حيث التقى ثسيجر بسليمان بن حمير . انظر ص ١١٥ .

٤ - قرى وادى ضنك

وادى ضنك واد من الؤودية الضيقة التى تشق الجانب العربى من سلسلة جبال الحجر ، وهو واد تسيل فيه المياه منطلقه من بوابة ومنجهة سينا ما الى جنوبى الغرب نحو رمال الربع الخالى . وعند هذه البوابة تجد بلدة ضنك التى أطلق اسمها على الوادى . هنا فى ضنك يقيم رجال من القسمين الكبيرين لقبيلة نعيم وهما آل بو خريان وآل بو شامس . وميل نعيم الى آل سعود أعظم فى الغالب من ميل أية قبيلة أخرى فى الظاهرة . فالنفوذ السعودى قد يمتد بعض الشيء عبر الظاهرة كلها حتى يبلغ جبال الحجر عند هذه البلدة .

قبل خروج وادى ضنك من الجبال الى السهل تجد قريتى دوت وفدا ، وهما واقعتان فى أعالى الوادى فى سيره صوب الغرب فيكون موقعهما الى الجنوب بعض الشيء من شرقى ضنك . أما قرية دوت فتابعة لقبيلة البداه الصغيرة ، وهى قبيلة صارت متحضرة برغم ما يشير اليه اسمها من أنها قبيلة من قبائل البدو . أما قبيلة بنى زيد الصغيرة فتحفظ بقرية فدا مستقلة بها .

إذا أمعنت ذهابا فى أعلى الوادى قبل أن ينعطف الى الغرب وجدت بلدة ذات شأن هى بلدة ينقل التى لم تزل منذ زمن طويل ملكا لقبيلة بنى على .

٥ - السينة والقرى المجاورة لها

في السهول بين الحجر والربع الخالي تقوم مجموعة مؤلفة من خمس قرى تابعة لآل بو شامس القسم الأكبر من قسمة قبيلة نعيم في الظاهرة وأقواها . وتقع هذه القرى في منتصف الطريق شمالا من أفلاج بنى قتب الى جبل حفيت أو أقل قليلا من النصف . وأكبرها هي السينة موطن محمد بن سالمين بن رحمة من آل على . وهو أعظم زعماء آل بوشامس نفوذا . ولم يزل ابن رحمة منذ زمن طويل شديد الود لآل سعود حتى لترى رجلا من الانكليز حسن الاطلاع على شئون عمان يصفه ويصف شعبه بأنهم وهابيون . وهو وصف لا يدعيه هؤلاء الناس لأنفسهم في العادة . وابن رحمة يزور الحين بعد الحين أعضاء آل سعود في الحسا ونجد . بيد أنه يحتفظ في الوقت نفسه بعلاقة طيبة مع آل بو فلاح في أبو ظبي . فبينه وبينهم صلات زواج وقد تزوجت إحدى بناته زايذا أحد أخوة حاكم أبو ظبي .

أما قرينا السينة والهرموزى فهما قريتان قديمتان . وأما الثلاث الأخرى أى الراكى والريحانى والمشروح : فأحدث منهما عهدا . فقرية المشروح مثلا لا تزال قريبة من حياة البدو وليس فيها مبان ذات حجم بذكر ، أما قرية الراكى وهى إحدى القرى الجديدة فرئيسها هو حميد ابن عبد الرحمن والد أمير الحميرية على ساحل الصلح البحرى .

٦ — حفيت والقرى المجاورة لها

هناك مجموعة أخرى من القرى تابعة لقبيلة نعيم واقعة عند الطرف الجنوبي لجبل حفيت الطويل ، وتجد فيها كما تجد في ضنك أبناء القسمين الكبيرين من القبيلة • ورئيس قرية حفيت هو أحمد بن محمد الصلف من آل بو خريان وهو على صلة وثيقة بصقر بن سلطان من البريمي الذي يعد أكبر رؤساء هذا القسم • أما قرية القابل — ويجب أن لا نخلط بينها وبين القابل في الشرقية — فخاضعة لمحمد بن سالمين بن رحمة رئيس السنية وهو أكبر شيوخ آل بو شامس • وثمة بعض القرى الصغيرة تتم بها هذه المجموعة •

٧ - قرى البريمي

تقع واحة البريمي عند الطرف الشمالى لجبل حفيت وتشغل بحكم حجمها وقيمتها الاستراتيجية مركزا خاصا فى الظاهرة : فضلا عن ذلك فان الالماء بتاريخها فى المائة والخمسين سنة الأخيرة شىء لا غنى عنه لفهم الحالة اليوم . فمن أجل ذلك يحسن أن يخصص للبريمي فصل قائم بنفسه . هو الفصل التالى .

٨ - قرى بنى كعب

إذا سرت شمالا من البريمي . دخلت أرض بنى كعب . وأبناء هذه القبيلة كثيرا ما يختلفون الى أودية الجزء الشمالى من الحجر والأرض غير المنبسطة التى تكثر فيها الآكام المنعزلة الى الغرب من سلسلة الجبال الرئيسية . والقبيلة تملك عددا من القرى الصغيرة أهمها محضة التى تقع متوسطة بين ساحل الصلح البحرى والبريمي والباطنة .

قبائل الظاهرة المستقلة

لم نعن بالتفصيل هنا الا بقبائل الظاهرة المستقلة التي تقطن في اراضي التي يمكن أن تعتبر متاخمة لأراضي المملكة العربية السعودية . ولا يسمح المجال لنا بأن نبذل هذه العناية نفسها للقبائل النائية التي تقيم في الجنوب الغربي للحجر كقبائل البداه وبنى زيد وبنى على وبنى كلبان . وثمة قبائل أخرى كبنى عمر وبنى غيث : أوثق صلة بالباطنة منها بالظاهرة .

وقد سبق أن وصفنا روح الفتنة التي تتميز بها هذه القبائل المستقلة ، غير أن ثمة ناحية من أحوال هذه القبائل لها شأنها الكبير ، ولكن لا يمكن بحثها بالتفصيل لتعذر الحصول على معلومات يعول عليها بشأنها ، تلك هي ما قيل من أن حكام شرق الجزيرة العربية المجاورين يوزعون اعانات كبيرة على هذه القبائل . وقيل ان سلطان مسقط يقدم هبات سخية من هذا النوع . وعلى أية حال فقد اتفقت المصادر على أن اعتماد هذه القبائل لقبول الأموال التي تمنح لها ليس معناه الرغبة في التفريط في أى قدر من استقلالها .

البلوش بلوشى

قبيلة متوسطة

سنية (وفى الغالب حنبلية)

هناوية

حضرية

لقد عبر آلاف من المهاجرين البلوش المياه الضيقة التى تفصل بلادهم عن شرق الجزيرة العربية واستقروا بين العرب . ولما كان البلوش يتميزون بالجد والاجتهاد فقد مكنتهم هذه الميزة من أن يعيشوا بالتوفيق فى دورهم الجديدة ؛ ويعتقد بعض المراقبين أن البلوش سيكونون من بين العناصر ذات الأثر الملحوظ فى تقرير مصير مسقط وعمان . وكثيرا ما يلقاهم المرء فى أراضى السلطان وأراضى الامام ، فى جماعات صغيرة أحيانا وفى طوائف كبيرة أحيانا أخرى . وهم على العموم طائفتان : طائفة قدمت حديثا وطائفة استقرت فى الجزيرة العربية من زمن بعيد . وكثيرا ما يعمل القادمون الجدد كجنود مرتزقة ، وبوجه خاص فى مدن ساحل الصلح البحرى حيث ينخرط بعضهم فى خدمة الحكومة البريطانية . ويتبع البلوش الذين تتحدث عنهم هنا الطائفة الثانية ، طائفة المتوطنين القدامى .

وقد أقام البلوش الذين استوطنوا القسم الجنوبى الشرقى من الظاهرة زمنا طويلا فى تلك البقعة فألفوا الأساليب المحلية للحياة حتى

أصبح من المتعذر أن نميزهم عن يجاورهم من العرب . وهم يقولون انهم من أصل عربى وكان أجدادهم رجالا من قحطان هاجروا من الجزيرة العربية الى بلوشستان منذ قرون . ويرى بعض عرب عمان أن البلوش عرب بينما يعارض بعضهم هذا الرأى .

وبالإضافة الى القرى الأربع التى سبق ذكرها ضمن قرى وادى الكبير وقرى البلوش . أى العراقى والمازم والصبيخى ومشارب ، فإن للقبيلة علاقات بالغبى وهى الآن تطل من الأطلال وكانت يوما من الأيام مدينة ذات شأن فى عمان ؛ وبحسب أقوال العامة كانت الغبى فيما مضى مدينة زاهرة تضم سبعين مسجدا . ولقبيلتى الميايحة وبنى شكيل علاقات بالغبى كذلك . ويقال ان عجز القبائل الثلاث عن الاتفاق فيما بينها على حقوقها الخاصة حال دون بعث المدينة .

ومع أن المازم تعد حاضرة هذه المنطقة البلوشية ، فإن الرئيس الأكبر راشد بن سعيد من آل اسماعيل يقطن فى العراقى ، التى تعد عاصمة ثانوية نوعا ما . رغم أن البلوش لا يسيطرون على القرية كلها . ويعمل سعيد . الابن الأكبر لراشد ، نائباً عن والده فى قرى البلوش بالظاهرة . ويبدو أنه سيطرة هؤلاء الرؤساء لا تمتد الى البلوش المقيمين فى مناطق أخرى من عمان أو فى أراضى سلطان مسقط ، رغم أن راشدا وابنه كليهما يستمتعان بسمعة طيبة .

قد زار سعيد بن راشد الرياض فى أواسط عام ١٣٧٠ هـ الموافقة لأوائل ١٩٥١ م ، ومن المفهوم أنه أبلغ عاهل المملكة العربية السعودية أن والده وشعبه جميعا يميلون الى الحكم السعودى . ولما كان بلوش هذه القرى حنابلة ، باستثناء فريق من الأحناف يسكنون العراقى ، فإن فى هذا ما قد يفسر سر ميلهم الى آل سعود . هذا وهؤلاء البلوش كانوا فيما مضى حلفاء مقربين لآل بو فلاح حكام أبو ظبى غير ان العلاقات الودية بينهم قد فترت فى السنوات الأخيرة .

بنى قَتَب

قَتَبى

قييلة كبرى

سنية

غافرية

حضرية وبدوية

تتألف قبيلة بنى قتب من جماعتين رئيسيتين متباعدتين احدهما عن الأخرى من حيث بعد المسافة ومن حيث منهاج الحياة : (١) الجماعة الشمالية وقوامها على الأغلب بدو رحل يتجولون فى الداخل على بعد يسير من ساحل الصلح البحرى . و (٢) الجماعة الجنوبية وهى مستقرة فى القرى المعروفة باسم أفلاج بنى قتب فى الجزء الجنوبى للظاهرة .

والجماعة الشمالية : وهى تحت زعامة محمد بن على بن هويدين . تشارك واحة ذيد مع قبيلة القواسم من الشارقة ورأس الخيمة . ويقال ان هذه الجماعة كانت فيما مضى خاضعة بعض الخضوع لسيطرة حاكم الشارقة ولكن يبدو الآن أنها مستقلة استقلالاً تاماً . أما ديرة هذه الجماعة فانها تمتد جنوباً بغرب صوب أراضى حاكم أبوظبى والحدود الشمالية للمناطق التى يتنقل فيها المناصير . ولكنها الى الجنوب منعزلة عن منطقة البريمى بالديرة التى يسكنها بنى كعب .

أما الجماعة الجنوبية فيفصلها بنى كعب ونعيم عن الجماعة الشمالية . ورأسها هو محمد بن على بن ربيع . ويبدو أن قوة القبيلة تكاد تكون موزعة بالتساوى بين الجماعتين .

بنى كعب كعبى

قبيلة كبيرة
سنية (حنبلية)
غافرية

حضرية (وفيها بعض البدو الرحل)

تعد قبيلة بنى كعب من أكبر القبائل وأقواها في المنطقة الممتدة شمالاً من البريمي الى رأس مسندم عند مدخل الخليج الفارسى • ولما كانت ديرة القبيلة تشرف على الطرق التى تربط ساحل الصلح البحرى بالباطنة فقد رفع هذا من منزلة القبيلة فى شئون هذه البقعة •

اقترب الرحالة البريطانى ولستيد Wellsted من أرض بنى كعب فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، ووصف رجال هذه القبيلة حينئذ بأنهم وهابيون • ويبدو محتملاً أن بعضهم ، ان لم يكن كلهم ، كانوا قد اعتنقوا عقيدة موحدى نجد • وعلى أية حال فإن القبيلة قد تعاونت مع قواد الموحدين فى عمان فى الفترة التى كانت فيها سلطة نجد قد بدأت تستقر فى البريمي • على أن زعيم بنى كعب فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة للنصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وقع أسيراً فى أيدي رجال نجد ، ومؤدى الرواية السائدة فى القبيلة هو أن هذا الزعيم قد قتل الى نجد مصفداً بالأغلال واحتجز فيها سبع سنوات • ويقال ان شعور

المرارة الذى تحس به القبيلة حيال شعب نجد اثر هذا الحادث قد ازداد شدة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق لأوائل القرن العشرين الميلادى . وقد وجد الضابط البريطانى اكز هذا الشعور حيا عندما زار القبيلة منذ خمسة وعشرين عاما تقريبا . ومع هذا فان رجال بنى كعب يكتون صداقة لآل سعود فى الآونة الحاضرة أكثر من ذى قبل . فيغلب على الظن أن من ضمن أسباب ذلك عداوة القبيلة القديمة لآل بو فلاح حكام أبو ظبى وتحالفها القديم مع نعيم ، وهى قبيلة معروفة بموقفها الودى تجاه الأسرة المالكة فى المملكة العربية السعودية .

زعيم بنى كعب فى الآونة الحاضرة هو عبيد بن جمعة ، ويتخذ مقامه فى محضة : وهى قرية فى أقصى شمال الظاهرة . أما وقد فقدت أسرة الزعيم الأسبق سالم بن دين الكثير من نفوذها القديم ، فان سلطة ابن جمعة على القبيلة تبدو سلطة لا نزاع فيها .

الميايحة أو بنى غافر مياحي أو غافري

قبيلة كبيرة
إباضية
غافرية (٩)

حضرية

هذه القبيلة هي قبيلة بنى غافر الأصلية في عمان التي خلعت اسمها في القرن الثاني عشر الهجرى الموافق للقرن الثامن عشر الميلادى على فئة الغافرية . ومن ذلك الحين كسبت القبيلة سمعة تسماها بالتلون حتى سمي أفرادها بالميايحة وهو اسم مشتق من كلمة « مَيَّح » بمعنى التمايل . وقد استعملنا هذا الاسم هنا لنميز القبيلة عن الفئة الكبيرة . وبعد مضي مدة من الزمن انفصل رجال هذه القبيلة عن الفئة التي نسبت اسمهم اليها ، وانضموا الى الهناوية . وتقول بعض المصادر ان الميايحة عادوا في الآونة الحاضرة الى حظيرة الغافرية غير أن مصادر أخرى تكذب هذا ، ولم نصل نحن من ناحيتنا بعد الى حقيقة الأمر . وثمة شك كذلك فيما يتعلق بعقيدة بعض العناصر في القبيلة ، فبعض المصادر تقول ان رجال الميايحة المقيمين في الدريز سنيون في حين أن مصادر أخرى تقول انهم إباضيون كبقية اخوانهم . وثمة شك كذلك يكتنف الوضع السياسى للقبيلة ، فتقول رواية ان بعض ملوائف القبيلة متحالفة مع الامام ، وتقول رواية أخرى ان القبيلة كلها مستقلة استقلالاً تاماً .

موطن الميايحة هو الوادى الذى يحمل الاسم الأصلى للقبيلة ، وادى
بنى غافر . وهو يمتد من سفوح الحجر الشرقية الى خليج عمان . ويظهر
الميايحة فى الظاهرة . على الأغلب ، فى قرية الدريز على مقربة من عبرى .
وهم يملكون القصر المجاور المسمى بالعينين .

وزعيم رجال القبيلة المقيمين فى الظاهرة هو على بن سعيد بن ناصر .
ولا يعرف على وجه الدقة الى أى مدى يمتد سلطانه فى وادى بنى غافر
ذاته . وهو وشعبه على علاقات ودية مع الامام ومع أمير الجبل الأخضر ،
رغم أنه غير مرتبط معهما بأية محالفة . وفى الوقت نفسه فان الروابط
وثيقة بين على بن سعيد وقبيلته وبين أحمد بن ابراهيم وزير الداخلية
فى حكومة سلطان مسقط .

نَعِيمٌ نَعِيمِي

قبيلة كبيرة

سنية (حنبلية)

غافرية

حضرية (وفيها بعض البدو الرحل)

ان قبيلة نعيم هي من أكبر الهيئات العربية في منطقة الخليج الفارسي .
وهي منقسمة الى جماعتين رئيسيتين تفصل احدهما عن الأخرى مسافة
نحو ثلاثمائة ميل . ولم تعد بينهما صلة وثيقة وان كانتا تعترفان بصلة
القربى . والجماعتان هما (١) الجماعة الغربية وقوامها على الأغلب
بدو مقيمون في قطر وقد انتقلت عناصر منهم الى المملكة العربية السعودية
والبحرين : و (٢) الجماعة الشرقية وهي تقيم في الظاهرة وهذه هي
الجماعة التي نتحدث عنها الآن .

فالجماعة الشرقية لقبيلة نعيم ، اذا أخذناها في جبلتها ، هي على
الأرجح أكبر القبائل وأقواها في الظاهرة . غير أن هذه الجماعة بدورها
مشطورة الى قسمين رئيسيين هما آل بو خريان وآل بو شامس وهذان
القسمان لا يتصرفان دائما تصرفا متشابها . ويبدو هذا الانقسام أحيانا
من السعة بحيث يتضح هناك ميل الى اعتبار آل بو شامس قبيلة منفصلة ،
وكثيرا ما يقصر استعمال اسم نعيم في هذه الجهات على آل بو خريان .
ولا ريب في أن من الأسباب الرئيسية التي أدت الى تباعد القسمين أن

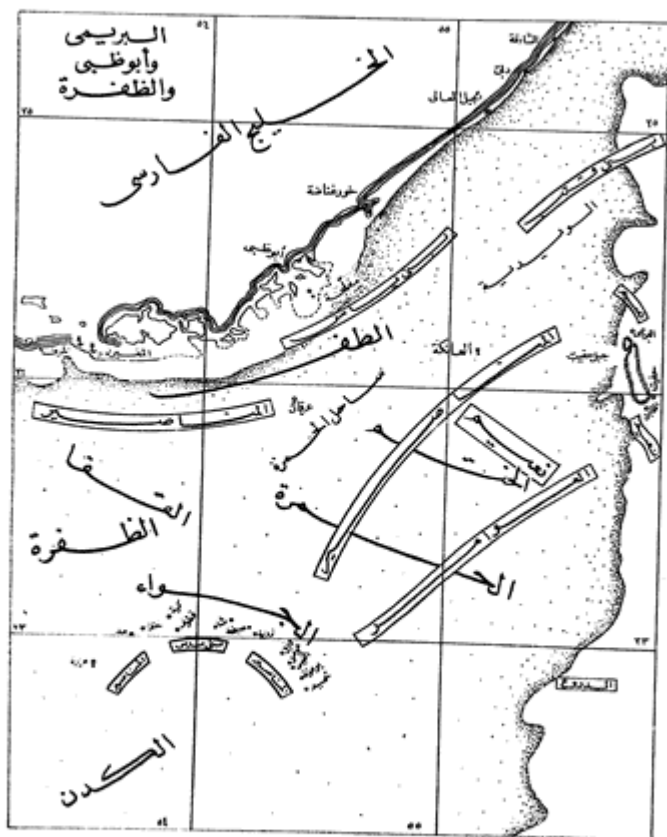
تقاليد القبيلة تعزو الى كل منهما أصلا منفردا ، فيقال ان آل بو خريبان هم النواة الأولى لنعيم التي دخلت فيما بعد في حلف مع آل بو شامس وبين المجموعات الثمانى من القرى الواقعة في الظاهرة ، أربع مجموعات تحتلها عناصر مختلفة من نعيم اما احتلالا كاملا أو جزئيا • ولعل أكبر منزلة تتمتع بها القبيلة ، هى فى البريمى ، حيث تستمتع بمزية كونها صاحبة الواحة الأصلية ، وان كان تفوق القبيلة يتعرض الآن للتحدى من جانب عناصر من بنى ياس • وبلدة ضنك التي تقع على الطرف الغربى للحجر ، خاضعة الى حد كبير لسيطرة رجال نعيم ، بينما القرى المتجمعة حول السنية وحول حفيت خاضعة لهم خضوعا تاما •

ليس للجماعة الشرقية لنعيم رئيس أعلى واحد بسبب الشقاق بين القسمين الكبيرين ، ويبدو أن أعلى الشيوخ مرتبة فى آل بو خريبان هو محمد بن سالمين بن رحمة من السنية ، وقد يليه راشد بن حمد بن شامس ، وهو من حماسا فى البريمى • ويقال ان هذين الرجلين اللذين يتحدران من فخذ آل على هما على صلات طيبة وكثيرا ما يتبادلان المشورة • وهناك عدد من رؤساء آل بوخريبان الآخرين يبدون نشاطا فى الشؤون السياسية للقبيلة فى الظاهرة • وبين آل بو شامس يبرز رجل واحد على الجميع ، وهو صقر بن سلطان القرطاسى ، وهو من البريمى • ولا تقتصر قوة الجماعة الشرقية لقبيلة نعيم على الظاهرة • فان العناصر البدوية من آل بو شامس تجول صوب الغرب فى منطقة الختم التي تعد جزءا من ديرتها • وعلى ساحل الصلح البحرى يكثر رجال آل بو خريبان فى امارة عجمان وحاكمها هو راشد بن حميد الذى ينتمى الى هذا القسم ، فى حين أن زعيم الحميرية الواقعة بالقرب من عجمان مع أنها تابعة لامارة الشارقة ، هو هادف بن حميد بن عبد الرحمن من

آن بو شامس . وله صلات باحدى القرى بالقرب من السينة . وهناك
كذلك رجال من نعيم في مناطق أخرى على ساحل الصلح البحرى أو غير
بعيدة منه .

يحتمل ألا يجد المرء قبيلة بين جميع قبائل الظاهرة الأخرى تدين
بالاحترام والتقدير المخلص لآل سعود كما هو حال قبيلة نعيم . ومن
أسباب ذلك الزمالة فى المذهب الحنبلى . وليس من غير المألوف لزعماء
نعيم ومن هم دونهم من رجال القبيلة أن يزوروا البلاد العربية السعودية
حيث يضمنون استقبالا وديا وضيافة كريمة . وقد حدث تزواج بين
زعماء نعيم وآل بو فلاح حكام أبو ظبى ، وهناك صداقة بين الفريقين
غير أن رجال نعيم كانوا ذوى غيرة على صون استقلالهم والنأى عن كل
سيطرة من جانب آل بو فلاح . وهم أنفسهم يقولون انهم يؤثرون
آل سعود على الأسرة الحاكمة فى أبو ظبى .

الْبُرَيْقِيُّ



البريمي

البريمي واحة تتألف من تسع قرى تقع في منطقة الظاهرة : ويطلق هذا الاسم كذلك على أكبر القرى في الواحة . وتقع البريمي على بعد نحو تسعين ميلا شرقي الجنوب الشرقي من مدينة أبو ظبي على ساحل الصلح البحري . عند الطرف الشمالي لجبل حفيت . وتبعد نحو عشرة أميال غربى سفوح الحجر ، وهي سلسلة الجبال التي تفصل الظاهرة عن الباطنة وعن سلطنة مسقط . فالبريمي اذن تقع عند ملتقى كثير من طرق المواصلات في شرق جزيرة العرب وتعد محورا بين صحارى الجنوب الكبيرة وسواحل الباطنة ومناطق الحجر الداخلية والظاهرة وعمان الوسطى والشرقية . وما يدل على المنزلة الاستراتيجية للموضع ، أن هناك عددا من الحصون فضلا عن أن تاريخ الحروب الماضية يوضح ذلك أيضا . والجيش الذى جرده الخليفة العباسى المعتضد بالله فى أواسط القرن الثالث الهجرى الموافقة لأواخر القرن التاسع الميلادى اتخذ البريمي قاعدة لهجومه على عمان ، وحذا حذوه الفرس فى أواسط القرن الثانى عشر الهجرى الموافقة لأوائل القرن الثامن عشر ، ثم تلتهم الجنود السعودية فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة لأوائل القرن التاسع عشر الميلادى .

نابج البريمى

لما كانت البريمى مفتاحا للمناطق المجاورة لها : ولما كانت غنية طيبة فى حد ذاتها : فقد أغرت كثيرين من الآتين للهجوم على شرق الجزيرة العربية القادمين من الغرب ، وكثيرا ما كان الاستيلاء عليها هدف الزعماء المتحاربين فى المناطق المجاورة . وكان من نتيجة ذلك أن انتقلت البريمى من يد الى يد مرات كثيرة منذ تأسيسها . ففى القرن الثالث عشر الهجرى الموافق على وجه التقريب للقرن التاسع عشر الميلادى وقعت البريمى فى خلال خمس فترات منفصلة فى أيدي موحدى نجد ، كما احتلها فى أثناء فترات مختلفة القواسم وحكام أبو ظبى وامام عمان . وفى العهد الأخير من تاريخها قويت سلطة آل بو فلاح فيها كما تقدم تفوذ المملكة العربية السعودية هناك فى أحدث الأزمان .

وقد تمتع أحمد بن سعيد ، وهو أول حاكم من حكام آل بو سعيد ، بالسيطرة على البريمى مدة قصيرة فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى الموافق لأواسط القرن الثامن عشر الميلادى ، غير أنه أكره على الانسحاب عند ما ثارت عليه قبيلة نعيم . وكان من جراء الفتن الداخلية فى مسقط وعمان أن أصبحت البريمى هدفا سهل المنال للموحدين الذين انتشروا شرقا من نجد الى الساحل الجنوبى للخليج الفارسى حوالى عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠٠ م . ودعا أمير نجد الحكام المحليين فى عمان وعلى الساحل أن يقبلوا تفسير الموحدين لدين الاسلام . ولما تبين له أنه ليست هناك استجابة من الجميع لدعواه ، جرد حملة يقل عدد رجالها عن الألف من الفرسان بقيادة الحريق ، وهو عبد نوبى ، وقد استسلمت

للحريق قبائل بنى ياس وبنى قتب ونعيم . واتخذ هذا القائد البريمى مستقرا له وجبا الزكاة من القبائل ومن سكان القرى المجاورة . وكانت قوات الموحدين تجول في عمان . وكانت تبدو قادرة على اخضاع البلاد كلها لمشيئتها .

يلوح أن سعود بن عبد العزيز الذى أصبح أمير نجد في عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م كان يعتزم أن يخضع بلاد عمان ومسقط كلها لسيطرته . فاحتفظ ، فضلا عن الحامية في البريمى ، بوكيل سياسى في مسقط . وكان يستعين بقائده المجلى مطلق المطيرى في التدخل تدخلا فعالا في سياسة مسقط ومناصرة أحد المطالبين بالعرش ضد آخر .

في عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م عقد النجديون حلفا مع الذين يغيرون على البحر من القواسم على الساحل العربى . وكان من نتيجة ذلك أن اشتد هجوم القواسم على جميع السفن المارة بالخليج الفارسى ، بما في ذلك السفن البريطانية . وأصبح الخطر على مسقط شديدا عقب اتصال قوات النجديين بقوات القواسم . وأدرك الانكليز أنه اذا صار حاكم مسقط تابعا لأمر نجد ، فإن الموانىء العائدة لمسقط قد تتخذ عندئذ قواعد للقواسم . ويزيد هذا بالتالى خطر الاغارة والهجوم . ومن ثم هجم الانكليز على رأس الخيمة في عام ١٢٢٤ هـ الموافق ١٨٠٩ م بمساعدة قوات عربية من مسقط ، وكان لهذا الهجوم غرضان هما منع المغيرين من القيام بأعمالهم البحرية ، وتعزيز موقف حاكم مسقط . ولكن هذا العمل البريطانى لم يؤد الى وقف أعمال الموحدين البرية في شرق جزيرة العرب . وفي عام ١٢٢٦ هـ الموافق ١٨١١ م دفع سعيد بن سلطان حاكم مسقط ٤٠ ألف ريال الى مطلق المطيرى ليقتنعه بالانسحاب من أراضي مسقط .

منذ حوالي عام ١٢٢٨ هـ الموافق ١٨١٣ م أخذ اشراف النجديين على عمان يخف بسبب وفاة مطلق المطيري الذي قتل في معركة مع الحجرين ، وكذلك بسبب وفاة الأمير سعود بن عبد العزيز وزحف القوات التي أوفدها محمد علي باشا والى مصر صوب بلاد نجد . وجاء الى البريمي من نجد بئال المطيري . أخو مطلق ، وكان معتزما أن يكون ذا منزلة مستقلة فيها . غير أن قبائل المناطق المجاورة للبريمي نجحت في مقاومته . وقد هدم قصر البريمي ، واستعاد السكان استقلالهم لفترة وجيزة .

أما تاريخ البريمي في بضع السنوات التي تلت ذلك ، فهو غامض مجهول ، والروايات التي أمكن الحصول عليها فيها شيء من التناقض ، وليس من الميسور تسجيل حوادث هذه الفترة بثقة تامة . ويبدو أنه حوالي عام ١٢٣٦ أو ١٢٣٧ هـ أي نحو ١٨٢١ م جاء الى البريمي سعد ابن مطلق وأغار اغارات واسعة في عمان زاعما أنه ينتقم لمقتل والده مطلق المطيري .

نحو عام ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٤ م استولى سلطان بن صقر القاسمي على البريمي على الرغم من احتجاجات حاكم مسقط ، وكانت البريمي « قد اعتبرت محايدة بناء على معاهدة محترمة عقدت قبلا » . ووقف طحنون بن شخبوط رئيس بني ياس الى جانب سعيد بن سلطان حاكم مسقط ضد رئيس القواسم . ولما اتضح أن السلام والطمأنينة في الخليج الفارسي مهددان ، تدخل المعتمد البريطاني وأمكن بذلك ابعاد خطر الحرب . ووافق سلطان بن صقر على أن يدمر بروج البريمي ، ولكن يلوح أن هذا الاتفاق لم ينفذ قط .

وفي عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٣ م وما تلاه حالت سيطرة المصريين على نجد دون أن يتخذ الموحدون الخطوات اللازمة لاسترداد البريمي .

وفي عام ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م برز في المناطق المجاورة للبريمي سعد ابن مطلق عاملاً باسم فيصل بن تركي أمير نجد الجديد ، فاستسلم له أفراد نعيم وغيرهم من رجال القبائل . وأخذت القوات التي يقودها سعد تهدد مسقط ، ووافق ثويني بن سلطان نيابة عن والده حاكم مسقط على أن يدفع جزية سنوية للأمير الموحدين .

وفي عام ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٨ م درس موضوع عقد حلف فيما بين عرب ساحل الصلح البحري ، رغبة في إقصاء الموحدين . ولما فقد صبر سعيد بن طحنون حاكم أبو ظبي من الإبطاء في عقد الحلف انفراد بعمل مضاد للموحدين وأقصاهم عن البريمي . وهنا استبدت الغيرة بعرب الساحل الآخرين عندما شهدوا علو مقام أبو ظبي والمنزلة المنيعة التي اكتسبتها بالاستيلاء على البريمي ، ووجد سعيد بن طحنون نفسه يواجه ائتلافاً معادياً له قوامه قوات نجد ودبي ورأس الخيمة وعجمان ، واضطر نتيجة لذلك إلى الانسحاب من البريمي ، وعادت المنطقة إلى إشراف نجد .

وفي عام ١٢٦٩ هـ الموافق ١٨٥٢ م قوى موقف الموحدين كثيراً عندما ظهر في البريمي عبد الله بن فيصل نجل أمير نجد ، فاستسلمت له قبائل المناطق المجاورة . وبعد ذلك وافق ثويني نجل سلطان مسقط مرة ثانية على أن يدفع جزية سنوية كبيرة لحاكم نجد . وعين تركي السديري ممثلاً لحكومة نجد في البريمي .

وفي أواخر شهر رمضان عام ١٢٨٥ هـ الموافقة لأوائل يناير ١٨٦٩ م ظفر سالم بن ثويني ، الذي جلس قبلاً على عرش مسقط ثم خلع ، بمعونة تركي السديري في استرداد مقامه السابق . وبعد ذلك بقليل سافر السديري من البريمي إلى ساحل الصلح البحري ليتشاور مع

حكام الساحل في تقديم المساعدة لسالم • ولكن شيوخ ساحل الصلح البحري أبدوا ترددا في الموافقة على الانضمام اليه ، وفي شهر محرم ١٢٨٦ هـ الموافق لأبريل ١٨٦٩ م قام أهل الشارقة وقتلوا السديري •

بقيت البريمي تحت سيطرة النجديين ، ولكن لما درت نعيم بنبا قتل تركي ، وهي القبيلة التي طالما عارضت حكمه لتوسله بشيء من الشدة في تنفيذه ، دعت عزان بن قيس امام عمان الجديد الى الاستيلاء على البريمي واقصاء الموحدين الذين يقودهم عبد الرحمن السديري أخو تركي • وقد قبل عزان هذه الدعوة ، وتمكن بمساعدة نعيم من فتح البلدة بعد معركة دامت ثلاثة أيام أو أربعة في صيف عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م •

في شتاء عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ — ١٨٧٠ م كان عبد الله بن فيصل أمير نجد يعد حملة لاسترداد البريمي ، غير أن خطته أرجئت بسبب الجذب الشديد وبسبب احتمال قيام أخيه سعود بهجوم ، لأن أخاه هذا كان ينازعه حينئذ السيطرة على نجد • والواقع أن فترة مداها نحو عامين انقضت عقب انتصار عزان حال فيها الخصام والتشاحن في داخل نجد والحسا دون عودة سيطرة الموحدين الى البريمي • غير أنه في شهر رمضان ١٢٨٧ هـ الموافق لديسمبر ١٨٧٠ م هزم سعود بن فيصل أخاه عبد الله وظفر بالسيطرة على نجد • وفي ربيع عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م برز محبوب ، وهو قائد أوفده سعود ، أمام البريمي واستطاع بمساعدة حاكم أبو ظبي الاستيلاء عليها ودعا القبائل المجاورة أن تدين له بالطاعة والولاء •

لا تعرف بالتوكيد مدة سيطرة النجديين على البريمي بعد فتحها عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م • وقد أدى دخول الأتراك في الحسا في

العام المذكور وتقدم آل رشيد بالتدريج من الشمال الى اضعاف دولة الموحدين ثم الى قلب نظام حكمهم . ويؤخذ من تقارير حكومة الهند المؤرخة في شهر جمادى الآخرة ١٢٩٠ هـ الموافق لأغسطس ١٨٧٣ م أن قصر البريمي كان اذ ذاك في يدى حاكم الشارقة وان حاكم أبو ظبي الذى درج على زيارة البريمي فى كل عام كان يقصى عنها . وليس ثمة دليل يفهم منه اذا ما كان الموحدون أكرهوا على مغادرة البلدة أو أخلوها بمحض رغبتهم نظرا الى سير الحوادث فى نجد .

وفى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م زار البريمي مايلز الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط وقال انها « عادت الآن الى أصحابها الأصليين وهم نعيم » . ويبدو أنه لم تكن لنجد سيطرة فعالة عليها فى الجزء الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى والجزء الأول من القرن الرابع عشر أى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى عندما دان وسط الجزيرة العربية لحكم آل رشيد .

وتبين صموئيل زوير Samuel M. Zwemer المرسل الأمريكى الذى زار البريمي فى عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م انها « لا تزال مركزا وهابيا » مع أنها « ليست خاضعة فى الوقت الحاضر للسيادة الأجنبية » . ثم قال زوير ان قبائل البريمي والقبائل القاطنة شرقها لا تعترف بسلطة سلطان مسقط حيث كان لهم رؤساؤهم الخاصون . وفى عام ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٨ م ورد فى كتاب « دليل الخليج الفارسى » الذى وضعه لوريمر J.G. Lorimer أن البريمي كانت مستقلة « غير أن نفوذ شيخ أبو ظبي قوى مطرد » . وقال لوريمر كذلك ان الظواهر . وهم تابعون لبنى ياس . كان لهم اذ ذاك تفوق عددى فى البريمي ؛ ولكن « رجال نعيم هم أصحاب الواحة الأصليون ؛ وكان امتلاكهم لقصر البريمي سببا

في تمتعهم بهية وتفوق محلى على الظواهر » . ويقول المصدر عينه
ان قلة من المناصير كانت ترتاد البريمي في أيام القبط .

وفي الثلاثين سنة الماضية أو نحوها امتد نفوذ جلالة الملك عبد العزيز
آل سعود على البريمي : وان كان ذلك في مدد متقطعة . ولما حاول
برترام توماس في الأعوام التي تلت عام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م أن يتقدم
داخل الأراضي المحيطة بالبريمي ، أبلغه رئيس نعيم أن « هذه البقاع
داخلة في أراضي ابن سعود » . وكتب توماس كذلك يقول « ان الظاهرة
ماجت بأنباء زيارة عامل من عمال الزكاة أوفده ابن جلوى نائب الملك
ابن سعود في الحسا ، وان كثيرين من أهل الظاهرة كانوا يؤدون الزكاة » .

وفي عام ١٣٤٥ هـ الموافق ١٩٢٦ م وصف البريمي الكابتن اكلز .
وهو ضابط في الجيش الهندي انتدب فترة من الوقت لخدمة سلطنة
مسقط ، فقال انها واحة مستقلة ، كما قال انه حدث في عام ١٣٤٤ هـ
الموافق ١٩٢٥ م ، عندما خافت قبيلة نعيم من شن الهجوم عليها من داخل
عمان ، ان تلك القبيلة بعثت في طلب مساعدة من عبدالله بن جلوى .
وقال اكلز كذلك ان عبدالله بن جلوى جبا الزكاة من قبائل البريمي
والمناطق المجاورة لها .

وفي عام ١٣٥٢ هـ الموافق ١٩٣٣ م كتب الرحالة البريطاني فلبى
H. St. J.B. Philby عن حديث جرى بينه وبين أحد رجال آل مرة من
وقت غير بعيد فقال :

اهتمت أن أسمع منه أن نفوذ ابن سعود صار اليوم
ملبوسا في بلاد الظاهرة كلها ، كما يسمون المنطقة
الواقعة غربى جبال عمان ، بما في ذلك البريمي طبعا ،
وهي مركز وهابى منذ زمن طويل ، ويظهر أنها تضم حتى

عبرى أيضا • أما رحلات عمال الزكاة فيبدو أنها لم تكن
تسفر الا عن تعويض نفقات اعدادها وإيفادها ؛ ولكن
هذه الرحلات كانت تميل الى نشر رسالة السلم الوهابى
والوحدة العربية • وأخذت ثمار الحكم المستقر تنتشر
من الوسط الى الخارج انتشارا موكدا وان كان بطيئا •
ويمكن اعتبار المناشير اليوم رعايا لابن سعود وهم
لا يطلب منهم الا أن يرتضوا سيادته ويصونوا السلم
العام •

أما المعلومات عن علاقات المملكة العربية السعودية وأبو ظبى
ومسقط بالبريمى فى الأزمنة المتأخرة فهى واردة فى القسم الخاص
بالقبائل فى الواحة فيما يلى •

قرى البريمي

لا يعرف شيء بالتوكيد عن عدد سكان البريمي ، غير أنه يمكن القول استنادا الى المعلومات التي لدينا ان عددهم قد يقارب عشرة آلاف نسمة . فضلا عن بلدة البريمي نفسها ، التي يقال انها البلدة الأصلية ، هناك ثمانى قرى أخرى مأهولة بالسكان اليوم بصفة دائمة ، كما أن هناك بعض الأطلال التي كانت مأهولة ذات يوم . والقرى موزعة بين الحقول والنخيل في الواحة .

والموقف السياسى فى الواحة صورة مصغرة للأحوال السائدة فى الظاهرة كلها . فلا سلطة لأية قوة على الواحة بجملتها . ولا يوجد اتحاد يربط جميع القرى التسع المأهولة بعضها ببعض . وهناك قبيلتان سائدتان وهما نعيم وبنى ياس ولكن لا تمثل أية واحدة منهما جبهة كاملة متراصة . وهناك افراد من كل من قسمى قبيلة نعيم الكبيرين اللذين لا يستتب الوئام بينهما على الدوام . ويقسم فى البريمي عدد من أعضاء آل بو فلاح : شيوخ بنى ياس ، ولكن غالبية أفراد هذه القبيلة هناك تأتى من الظواهر وهم فخذ لا توجد بينه وبين القبيلة صلات وثيقة تماما^(١) أما توزيع السيطرة فى القرى المأهولة بين القبيلتين واقسامهما فيظهر فى الجدول المبين فيما يلى :

(١) أنظر ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

بنى ياس	نعيم
<u>آل بو فلاح : الموقعى</u>	<u>آل بو خريبان : البريمى</u>
العين	صعرا
المعترض	<u>آل بو شامس : حماسا</u>
<u>الظواهر : القيمى</u>	
القطارة	
هيلى	

ويقال ان آل بو فلاح يباشرون نوعا من السلطة العامة على جميع القرى الست التابعة لبنى ياس مع ان الظواهر هم غالبية السكان فيها جميعا ما عدا الموقعى .

أما القرى الخاصة لسبطرة نعيم فتتجمع معا فى الجزء الشرقى الأوسط من الواحة ، وتلك التى تخضع لآل بو فلاح تتجمع فى الجزء الجنوبى ، والتى تخضع للظواهر تتجمع فى الجزء الشمالى الغربى . أما التفصيلات الخاصة بهذه القرى المأهولة وبثلاثة من الأماكن المهجورة فهى واردة فيما يلى .

البريمى

ان بلدة البريمى ملك لآل بو خريبان ، وهم أحد القسمين الرئيسيين لقبيلة نعيم . فالبلدة والحالة هذه يمكن أن تعد المقر الرئيسى لنعيم . وهم الأصحاب الاصليون للواحة كلها . والسلطة المحلية فى البلدة معقودة للشيخ صقر بن سلطان من آل بو خريبان . والقصر المعروف باسم قصر الخندق هو من أهم المعاقل فى الواحة . أما سوق البلدة ، فهى سوق للقرى الأخرى كذلك . والى الجنوب من بلدة البريمى تجاه قرية العين أطلال قصر السديرى المشهور الذى كان مركز سيطرة الموحدىين على الواحة فى أيام الاحتلال النجدى .

حَمَاسَا

تقع هذه القرية غربى بلدة البريمى بعد نخيلها مباشرة • والجزء الأكبر من حماسا ملك لآل بوشامس من نعيم ، وخاضع لسلطة الشيخ راشد بن حمد بن شامس • ولحماسا منزلة خاصة باعتبارها مقرا لطائفة صغيرة ذات نفوذ من مهاجرى نجد يعمل أكثرهم بالتجارة • ويعد رجال هذه الطائفة أنفسهم محتفظين بالجنسية السعودية • ويقوم بعضهم برحلات كثيرة الى ديارهم الأصلية • ويقال ان طائفة من السنيين الفرس يملكون بساتين فى القرية ، وفيها كذلك سكان من البلوش • وفى حماسا سوق وقصر صغير •

صَعْرَا

تقع قرية صعرا شرقى بلدة البريمى وتفصلها عنها أرض لا تزرع الا فى أوائل الصيف • وهى خاضعة لصقر بن سلطان الذى يعيش فى بلدة البريمى • وفى صعرا قصر صغير منشأ خارج بساتينها • وفى مكان غير بعيد من القرية فى اتجاه الشرق تتقارب الدروب من جهات شتى من الواحة لتتألف منها طريق الارتحال الرئيسية بين البريمى والباطنة • وسكان صعرا هم فى الأغلب من آل بوخريبان من نعيم ، وهناك عناصر من آل بوشامس من نعيم وآل بوفلاسا من بنى ياس وكذلك عناصر من بنى قتب وبنى كعب •

المُوَيْقَعِى

ان قرية المويقعى هى أقصى قرى البريمى فى اتجاه الجنوب الغربى ، ومع انها قرية صغيرة ، فانها تعد مركز النفوذ الرئيسى لآل بو فلاح فى واحة البريمى وفى مناطق الصحارى المحيطة بها • أما سكانها فقوامهم على الأغلب رجال من آل بو فلاح ومعهم حاشيتهم وخدمهم • ويباشرون

زايد بن سلطان أخو حاكم أبو ظبي السلطة المحلية في المويقي . ويمكن
فيها معظم الوقت مثلاً لمصالح الأسرة الحاكمة في أبو ظبي .

العين

ان قرية العين هي أقصى قرى البريمي في اتجاه الجنوب الشرقي ،
ولعلها أكبرها كذلك . وحيث ان سوقها صغيرة فكثيراً ما يذهب سكانها
الى سوقى البريمي وحاساً ليقضوا حاجاتهم . والى الجنوب الشرقي
من القرية حصن العين . والعين خاضعة لسيطرة آل بو فلاح ، أما السلطة
المحلية فهي في يدى الشيخ زايد بن سلطان الذى يقيم في المويقي ولكن
معظم السكان هم من الظواهر . كما تجد هناك أفراداً من فخذ أخرى
من بنى ياس : وينزل رجال من العوامر بالقرب منها في أثناء القيط .

المعترض

تقع قرية المعترض الى الجنوب الشرقي من المويقي ، بينها وبين
الجاهلى . ويقال ان في المعترض ثلاثة حصون ، ولكن ليست هناك
سوق . والقرية ملك لآل بو فلاح من بنى ياس ، والسلطة المحلية في
يدى الشيخ محمد بن خليفة وهو ابن عم حاكم أبو ظبي ، ولكن معظم
السكان هم من الظواهر .

القيمي

تقع قرية القيمي الى الجنوب الغربى من القطارة وتكاد تكون ملاصقة
لها . وتقع كذلك الى الشمال الشرقي من المويقي . والى الجنوب من
القرية يقع حصنها . وقد قال الأوروبيون الأولون الذين زاروا البريمي
ان في هذا الحصن مدفعاً نحاسياً كبيراً من صنع أمريكا ، غير أن الأقوال
التي تناقلتها الألسنة أخيراً تقول ان هذا المدفع القديم نقل الى المويقي .
أما نخيل القرية فمعظمه ملك للظواهر من بنى ياس ، كما أن أغلبية

السكان هم من هذه القبيلة وان كانت هناك عناصر أخرى • والسلطة المحلية هي في يدى الشيخ على بن غانم بن حمودة الظاهري •

الْقَطَارَة

تقع قرية القطارة الى الشمال الشرقى من القيمي وتكاد تلاصقها • وفيها حفسن غير أنه ليست فيها سوق • ولذلك فان السكان مضطرون الى التعامل مع أسواق بلدة البريمي أو حماسا • والسلطة المحلية في القطارة هي في يدى الشيخ راشد بن سعيد الدرهمكى الظاهري وهو قريب للشيخ على بن غانم من القيمي • ومعظم السكان هم من الظواهر ، ومعظم النخيل ملك لهم • وان كان هناك عدد من السكان ينتمون الى فخذ أخرى • ولا سيما المشاغبين من بنى قتب وآل بو حمير من بنى ياس • وبعض النخيل ملك لآل بوفلاح •

هَيْلَى

ان قرية هيلى هي أقصى قرى البريمي في اتجاه الشمال ، وتقع في منطقة فسيحة منبسطة وهي منفصلة بعض الشيء عن القرى الأخرى • ويقال ان عدد سكانها يزيد على الألف ؛ ومعظمهم من الظواهر ، غير أن فيهم عناصر من قبائل أخرى منها بنى كعب وبنى قتب وآل بو حمير من بنى ياس وآل بوفلاسا من بنى ياس • ويبدو انه ليس هناك سيد واحد مطاع يحكم القرية ، غير انه يقال ان الشيخ هزاع بن سلطان أخا حاكم أبو ظبى أرسل منذ بضع سنوات أحد أتباعه الى هيلى ليشرف على شئونها ؛ وقد يدل هذا على أن لهزاع حقوقا خاصة في النخيل والممتلكات الأخرى في القرية • ويقال ان أبرز سكان هيلى هما حمد ابن زريبيل وحمد بن رحمة وكلاهما من الظواهر •

المسعودى

كانت هذه القرية خاضعة قبلا لحكم الشيخ خليفة بن زايد من آل بو فلاح . وأشار مايلز اليها عندما وصف رحلته الى البريمي في عام ١٢٩٢هـ الموافق ١٨٧٥ م . غير أن كوكس الذى زار البريمي في عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م قال « ان المسعودى قرية أنشأتها حديثا قبيلة بنى ياس » . ويقال ان المسعودى خلت من سكانها بسبب ما تعرضت له من خسارة ترتبت على سيل سال فى بطحائها . وليس فيها اليوم سكان دائمون ، غير انها لا تزال منزلا لرجال من الظواهر وآل بوحمير من بنى ياس فى الشتاء ، وكذلك لرجال من العوامر فى القيظ .

الجاهلى

تقع قرية الجاهلى بين المعترض والعين . ويملك نخيلها آل بو فلاح ، غير أن القرية أققرت من سكانها منذ نحو خمس سنوات وليس فيها منذ ذلك الوقت سكان دائمون . وهناك حصن يقعد فيه خدم زائد بن سلطان وجنوده فى النهار .

افضال البريمي

تتعامل الأسواق القليلة الصغيرة في البريمي في بيع المؤن والأقمشة وبعض السلع الضرورية الأخرى . وكان جانب كبير من تجارة هذه المنطقة يجرى مع ساحل الباطنة شرقا ، غير أنها تجرى في الأغلب الآن مع ساحل الصلح البحري ، فمثلا يؤتى من البريمي الى أبو ظبي بمقادير كبيرة من التمر . وكانت البريمي ذات يوم مركزا للخاسة ، ولا سيما لأنها تقع بعيدا عن منطقة النفوذ البريطاني على السواحل ، ويقال ان الخاسة لا تزال تجرى فيها الى حد ما .

غير أن العمل الرئيسي الذي يشغل البريمي ليس هو التجارة بل الزراعة . والمحصول الأهم هو التمر ، وقد أشرنا قبلا الى اصداره الى أبو ظبي . وفي عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م قدر كوكس عدد أشجار النخيل في المنطقة بما لا يقل عن ٦٠ ألفا ، كما أنه تحدث عن « جميع الفواكه والخضر الموجودة هناك . . . كالعنب والبطيخ والليمون والتين والمان وقليل من المنجه . . . والقمح والشعير . . . ومقادير من القث » .

أما الماء الذي يروى كل هذه الزراعة ، فينسب في عدد من الأفلاج تحت الأرض . وهذا المورد يزود الواحة بقدر موفور من الماء ولا سيما من ينابيع جبال الحجر شرقا ، وان كان هناك فلج أو فلجان يمتدان من ينابيع جبل حفيت الواقع الى الجنوب . ومن المحتمل أن تكون هذه الأفلاج قد حفرت في البلاد بأيدي الفرس لأنها تشابه من حيث بنائها قنوات ايران .

تتصل البريمي بدروب مع المناطق المجاورة في شرق جزيرة العرب •
فهناك طريق تتجه شمالا من البريمي وبالقرب من السفح الغربى للحجر ،
وهذه هى الطريق الى عجمان ورأس الخيمة على ساحل الصلح انبحرى •
وعند العويجاء تتشعب الطريق الى دبی والشارقة • وهناك طريق أخرى بين
البريمي ودبي وهى تجرى غربى هذه الطريق عبر رمال الويدية وتلتقى
عند روس المالح بالطريق الأولى التى هى أطول منها •

والى الغرب من البريمي تجرى طريق أخرى تنشطر الى شطرين عقب
عبورها بطحاء المسعودى أى على بعد نحو خمسة أميال من البريمي •
ثم ينشطر فرع منها الى بعض الدروب التى تقضى الى أبو ظبي • أما الفرع
الثانى فينحرف جنوبا الى العائكة ؛ ثم يتجه غربا الى العديد وملوة
والحسا •

والى الشرق من البريمي تجرى الطريق الرئيسية الى ساحل البائنة
عابرة وادى العبيلة ووادى الجزى • والى الجنوب تجرى الطريق التى
تعبر الظاهرة مارة على ضنك وعبرى ثم تصل الى عماذ الوسطى • وعند
جبل حفيت تتشعب هذه الطريق تشعبا مؤقتا فيجرب فرع ملاصقا للناحية
الغربية للجبل فى حين يجرى الفرع الآخر بين الجبل والحجر الغربى •

ليس لحكومة غربية ما علاقة مستندة الى معاهدة مع أى زعيم من زعماء
البريمي المحليين • وفى مانعلمه ليست هناك شركة غربية لها امتياز يخولها حقوقا
مطلقة فى العمل هناك وقد منح حاكم أبوظبى شركة استثمار البترول (ساحل
الصلح البحرى) المحدودة Petroleum Development (Trucial Coast) Ltd
امتيازاً فى شهر ذى القعدة ١٣٥٧ هـ الموافق ليناير ١٩٣٩ م ، غير
أن نصوص هذا الامتياز لم تعلن ، ولهذا لا يعرف اذا ما كانت منطقة
الامتياز قد حددت تحديدا صريحا لكى تشمل ممتلكات آل بو فلاح فى

البريمى أو لم تحدد . غير أن هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن تلك الشركة ترى أن لها حقا فى مباشرة العمل فى تلك المنطقة . وقد بذلت أخيرا مساعيها . ولعلها لا تزال تبذلها ؛ لتوسيع نفوذها الى البريمى . وفى خلال عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٨-١٩٤٩ م قام أحمد بن ابراهيم . وهو قريب لسلطان مسقط ووزير الداخلية فى حكومته . بما لا يقل عن زيارتين للبريمى بصحبة الكابتن رتشارد برد Richard Bird الذى كان ذات يوم ضابطا سياسيا بريطانيا فى الشارقة ؛ وكان يمثل حينئذ شركة استثمار البترول فى معاملاتها مع الحكام العرب فى شرق جزيرة العرب . ثم أمضت فرقة من رجال شركة استثمار البترول شتاء عام ١٣٦٩ هـ الموافق ١٩٤٩ - ١٩٥٠ م فى التنقيب فى المنطقة . ونزل أعضاء هذه الفرقة . لما كانوا فى البريمى ؛ فى ضيافة زايد بن سلطان أخى حاكم أبو ظبى وأكبر زعيم محلى من آل بو فلاح فى المنطقة . غير أنه يقال ان فصيلة من جنود سلطان مسقط صحبت الفرقة الى البريمى لحراستها فى أثناء اضطلاعها بعملها .

قبائل البريمي

القبيلتان الرئيسيتان في البريمي هما نعيم وبنى ياس . وتجد هناك أفرادا كثيرين من القسمين الكبيرين من نعيم . اللذين هما آل بو خريبان وآل بو شامس ؛ كما تجد أفرادا كثيرين من الظواهر من بنى ياس ؛ ويتمتع آل بو فلاح من نفس القبيلة بنفوذ قوى هناك . ويمثل كذلك عدد من قبائل أخرى في سكان الواحة . ولا تعرف بالتفصيل كيفية توزيع السكان بين القبائل المختلفة .

جرى العرف على اعتبار البريمي خاضعة لسيطرة قبيلة نعيم التي أشير إليها في خلال القرن الثالث عشر الهجرى وأوائل القرن الرابع عشر أى في القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين باعتبارها القبيلة المهيمنة هناك . أما اليوم فلا تسيطر نعيم الا على ثلاث من القرى التسع المأهولة في حين أن بنى ياس وهى القبيلة السائدة في اماره أبو ظبى تتسلط على الست القرى الأخرى .

ومن العسير أن نقرر الى أى مدى تأثر هذا الموقف بما نالته أخيرا قبيلة بنى ياس عموما ؛ وآل بو فلاح خصوصا ، من قوة في البريمي . بيد أنه يمكن أن يقال انه حتى ولو ادعى حاكم أبو ظبى بأن البريمي كلها جزء من أملاكه . فان مثل هذا الادعاء لا يلقى اعترافا واسع النطاق من عرب عمان كما أنه يلقى بلا مشاحة معارضة عنيفة من زعماء نعيم وأفرادها . وان ما ينشر في بيانات الموظفين والرواد الانكليز الذين

يعرفون هذه المنطقة معرفة جيدة يدل بجلاء على وجهة النظر القائلة
ان البريمي مستقلة .

ان كلا من القسمين الكبيرين لقبيلة نعيم ممثل في سكان البريمي
ولكن آل بو خريبان يزيدون كثيرا في عددهم وفي نفوذهم هناك على
آل بو شامس . ويخضع آل بو خريبان في البريمي لسلطة الشيخ صقر
ابن سلطان القرطاسي ، في حين يخضع آل بو شامس لسلطة الشيخ راشد
ابن حمد بن شامس .

آل بوفلاح هم الفخذ الثرى ذو النفوذ الكبير من فخذ بنى ياس
في البريمي . والسلطة المحلية الرئيسية لبنى ياس في الواحة هي في يدى
زايد بن سلطان الفلاحى ، غير أن آل بو فلاح هم أقل عددا هناك من
الظواهر الذين هم فخذ آخر من بنى ياس . وبين الفخذ الأخرى من
بنى ياس التى منها رجال في البريمي تجد آل بو حمير وآل بو فلاسا .
ان الصلات الأولى بين بنى ياس والبريمي ما انفكت غامضة . وفي
عام ١٣٦٤ هـ الموافق ١٨٤٨ م ، كما سلفت الاشارة ، استولى سعيد-
ابن طحنون من آل بوفلاح على البريمي وانتزعها من أيدي النجديين ،
غير أنه سرعان ما أكره على التخلي عنها ، ويدو أن احتلاله القصير
الأمد لم يكن له تأثير ما دائم . وتتحدث الوثائق الرسمية لحكومة
الهند عن نزاع نشب بين آل بوفلاح ونعيم حول البريمي في عام ١٢٨٨ هـ
الموافق ١٨٧١ م ، وتقول هذه الوثائق ان حاكم أبو ظبى ساعد محبوبا ،
وهو نائب سعود بن فيصل ، في استيلائه على البريمي في ذلك العام .
وتقول وثائق رسمية أخرى يرجع تاريخها الى عام ١٢٩٠ هـ الموافق
١٨٧٣ م ان حاكم أبو ظبى أضجرتة مسألة البريمي « لأنه جرى على

زيارة تلك المنطقة في كل عام والاقامة في القصر . غير انه منع من ذلك
أخيرا » .

قال مايلز الذى زار البريمى في عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م ان
أربعا من القرى كانت اذ ذاك في أيدي بنى ياس ، وأن أربعا كانت في
أيدي نعيم . وقال كوكس في وصفه لزيارته للبريمى في عام ١٣٢٠ هـ
الموافق ١٩٠٢ م « ان صاحب السلطة الحقيقية في المناطق المجاورة هو
شيخ أبو ظبى الذى تزداد ممتلكاته المادية وثقوذه في الواحة عاما بعد
عام » . وتحدث كوكس عن نفوذ هذا الحاكم فقال انه يتجاوز البريمى
حتى يصل الى عبرى . وهذا الموقف يرجع بعض الشيء الى القدرة
الشخصية والهيبة اللتين كان يتمتع بهما الحاكم في ذلك الوقت ، وهو
زايد بن خليفة . ولم يكن من بين خلفائه من هو كفو مثله .

من سكان البريمى كذلك أفراد من البلوش وبنى كعب وبنى قتب .
ويزور المنطقة ، ولا سيما في أشهر القيظ ، بعض أفراد قبيلتى المناصير
والعوامر وبدو من قبائل أخرى ، غير انه ليس لهؤلاء اقامة دائمة هناك .

قد اقتبسنا قبلا عبارات تدل على مدى قوة النفوذ السعودى في
البريمى في السنوات التالية لعام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م . وفي العقد
السادس وأوائل العقد السابع من القرن الهجرى الحالى أى في العقد
الرابع وأوائل العقد الخامس من القرن الميلادى الحالى تعرض هذا
النفوذ لشيء من التدهور . وقال الأمير سعود بن جلوى حوالى عام
١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨ م انه وان كان العمال السعوديون درجوا قبلا
على جباية الزكاة من المناطق المجاورة للبريمى ، الا أنهم كفوا عن ذلك .

ويبدو الآن أن النفوذ السعودى في هذه المنطقة بدأ يسترد شيئا
من حيويته السابقة . ففى شهر شعبان ١٣٧٠ هـ الموافق لمايو ١٩٥١ م

سافر الى الرياض وفد من زعماء آل بوشامس وبني كعب ، ويقال انهم التمسوا من جلالة الملك عبد العزيز كتابة ومشافهة أن يشملهم هم وأراضيهم بحمايته .

وينبغي الإشارة كذلك الى الجهود التي تبذل لوضع البريمي تحت نفوذ سلطان مسقط أو حكمه . فيقول سكان المنطقة ان السلطان يدفع في كل عام هبات من المال لجميع القبائل وأقسامها في البريمي بوجه خاص وفي الظاهرة بوجه عام . ويقال ان من الذين يتلقون هذه الهبات بعض آل بو فلاح وهم مستقرون في البريمي . كما يقال ان القبائل على استعداد لقبول هذه الأموال غير أنها لا تعد قبولها اعترافا منها بأنها من رعايا السلطان .

أَبُو ظَبْيٍ



أَبُو ظَبْيٍ

أبو ظبي اسم جزيرة تقع على مقربة من الطرف الجنوبي الغربي لساحل الصلح البحرى ، وهو كذلك اسم مدينة على هذه الجزيرة ، واسم اماره ، عاصمتها هى تلك المدينة . وامارة أبو ظبى هى أكبر السبع امارات أو مشيخات التابعة لساحل الصلح البحرى فى شرق جزيرة العرب، التى لها معاهدات خاصة مع بريطانيا العظمى . والامارات الأخرى الواقعة شرقا على جانبى رأس مسندم الذى يفصل الخليج الفارسى عن خليج عمان ، هى دبه والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة وكلها . وهذه الامارات السبع جميعا ، باستثناء كلبا ، تقع على الجانب الغربى للرأس وهذا الجانب هو الذى ينطبق عليه اسم ساحل الصلح البحرى بوجه خاص .

ناتج أبو ظبي

انشئت مدينة أبو ظبي حوالى عام ١١٧٥ هـ الموافق ١٧٦١ م على
أيدي عرب من آل بو فلاح ^(١) ، ومن المحتمل أنه قد اشترك معهم في
انشائها أفراد آخرون من قبيلة بنى ياس .

يبدو أن آل بو فلاح كانوا في الزمن الخالى قبيلة مستقلة لا يزال
أصلها وصلاتها الأولى بنى ياس غامضة مبهمه . والرأى في
أبو ظبي الآن يتجه الى اعتبار آل بو فلاح فخذاً من فخذ بنى ياس .

قد كونت قبيلة بنى ياس الحالية نتيجة لاتحاد عناصر من قبائل
شتى . ويقال ان بنى ياس وصلوا الى المناطق المجاورة لما يسمى الآن
ساحل الصلح البحرى حوالى العقد السابع أو الثامن من القرن الثانى عشر
الهجرى أى نحو منتصف القرن الثامن عشر الميلادى وكان ذلك قبيل
انشاء مدينة أبو ظبي . وبعد وصولهم بالقرب من الساحل للمرة الأولى
بفترة تزيد على ثلاثين عاما حدثت منافسات أدت الى تقسيم بنى ياس الى
بعض الطوائف . ولم تتحقق وحدة الزعامة الا نحو عام ١٢١٠ هـ
الموافق ١٧٩٥ م تحت امرة شخبوط بن ذياب من آل بو فلاح الذى
حكم بنى ياس وأبو ظبي حتى عام ١٢٣١ هـ الموافق ١٨١٦ م عند ما أنزله
من الزعامة ابنه الأكبر محمد . وقد أكره محمد بدوره على التنازل عن
الحكم فى عام ١٢٣٣ هـ الموافق ١٨١٨ م لأخيه طخون الذى كان أصغر

(١) يقال ان الموطن الاصلى لآل بو فلاح كان المنطقة المطلق عليها اسم
ساحل الحمرة والواقعة فى الجزء الشمالى الشرقى من الظفرة . وقد بحثت
صلات آل بو فلاح مع الظفرة فى كتابنا «المناطق الشرقية من مقاطعة الحساء» .

منه • وحكم طحنون فترة من الزمن بمشاركة أبيه ، غير أن الابن أخذ بالتدريج يضطلع بالدور الرئيسى •

وصل موحدو نجد الى عمان حوالى عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠٠ م ، ولم تحل نهاية عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م حتى كانت قوات نجد قد استولت على البريمى وأخذت تجبى الزكاة من القبائل الى مسافات بلغت رأس الخيمة • وفى عام ١٢٢٣ هـ الموافق ١٨٠٨ م عزل الموحدون سلطان بن صقر شيخ القواسم فى رأس الخيمة وأجلسوا مكانه ابن عمه حسين بن على الذى قيل انه تلقى أوامر معينة بأن يهاجم السفن فى الخليج الفارسى وأن يسلم الى حكومة نجد خمس الغنيمة • غير أن بنى ياس لم يعرف عنهم بالتحديد اذا ما كانوا قد شاركوا القواسم فى هذا العمل أم لا •

وتتيجة لعقد حلف بين بنى ياس وحاكم مسقط حوالى عام ١٢٣٤ هـ الموافق ١٨١٩ م تعرضت علاقات بنى ياس والقواسم لجفاء ، بعد ما كانت حتى ذلك الوقت علاقات ودية • وزادت حدة الجفاء بين القبيلتين عندما أيد سلطان بن صقر القاسمى محمد بن شخبوط فى الجهود التى بذلها لاسترداد السيطرة على أبو ظبى • أضف الى ذلك أن شيخ القواسم عادى حاكم أبو ظبى وحاكم مسقط معا باستيلائه على البريمى التى كانت قد أعلنت أرضا محايدة عقب اقضاء الموحدين • ولكن وساطة المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أسفرت عن عقد معاهدة صلح حوالى عام ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٤ أو ١٨٢٥ م بين طحنون بن شخبوط من بنى ياس وبين حاكم مسقط و سلطان بن صقر القاسمى •

وفى عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٣ م اغتيل طحنون بن شخبوط ، اغتاله أخواه خليفة و سلطان • وكان من أول أعمال الحاكمين الجديدين

لأبو ظبي تقديم فروض الطاعة والولاء للنجديين والشروع في دفع الجزية لهم . وعقب هذا العمل أرسل تركي بن عبد الله أمير نجد الى شيخ القواسم ينبئه أن بني ياس صاروا تحت حمايته وانه لن يسمح لحدوث اعتداء عليهم .

وبدأ الإخوان خليفة وسلطان يتنازعا للسيطرة على أبو ظبي فيما بينهما ومزقت الخلافات الداخلية قبيلتهما من جديد . وفي عام ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣ م انسحب أفراد آل بو فلاسا من الكيان الرئيسي لبني ياس ، وتركوا أبو ظبي ليستقروا في دبي . وهذا الانسحاب يؤرخ بدء المنافسة بين الامارتين ، تلك المنافسة التي استمرت حتى يومنا هذا .

حوالي أوائل عام ١٢٥٠ هـ الموافقة لأواسط ١٨٣٤ م بدأ بني ياس من أبو ظبي يشنون هجمات متعددة على السفن في الخليج الفارسي ، فاعتدوا على بعض السفن التي ترفع الراية البريطانية . فلجأ الانكليز الى اتخاذ اجراءات تأديبية بأن فرضوا غرامة كبيرة على القبيلة . وفي عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م هرب رجال من فخذ القبيسات من بني ياس الى العديد ، وذلك فرارا من دفع نصيبهم من الغرامة . وفي شهر صفر ١٢٥٣ هـ الموافق لمايو ١٨٣٧ م ظفر الشيخ خليفة بن شخبوط بترخيص من الانكليز لتأديب المنشقين ، ودمرت بلدة العديد .

وفي عام ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م قتل الشيخ خليفة بن شخبوط ، وبعدها خلا مقعد الحكم فترة كانت مليئة بالاضطراب ، قفز اليه ابن أخيه سعيد بن طحون . وكان من بين الأعمال الأولى التي قام بها الحاكم الجديد عقد حلف مع القواسم رغبة في شن حرب على امارات دبي وعجمان وأم القيوين ، غير أن هذا الحلف لم يعمر طويلا ولم يسفر عن عمل عسكري ما .

في عام ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٨ م بحث موضوع عقد حلف فيما بين
عرب ساحل الصلح البحري وذلك رغبة في اقضاء الموحدين عن هذه
الرقعة . ولما تعد صبر سعيد بن ضحون تجاه الابطاء في عقد هذا الحلف ،
تفرد بعمل ضد الموحدين وطردهم من البريمي . واستبدت الغيرة بالعرب
البحريين الآخرين تجاه نجاح أبو ظبي . ووجد الشيخ سعيد نفسه أمام
ائتلاف معاد له فاضطر ازاء ذلك الى الانسحاب من البريمي ، وأعيدت
المنطقة الى سيطرة النجديين .

وفي عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م هاجرت القبيسات من أبو ظبي
الى العديد مرة ثانية واستقرت فيها . وطلب زايد حاكم أبو ظبي من
المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي أن يسمح له بالزحف على العديد
غير أن السكان تمكنوا من أن يصدوا حتى أقصاهم الانكليز في
عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م . وقد فر أغلبهم يومذاك الى الدوحة
في قطر حيث احتموا بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني . ومكثوا هناك
الى نحو عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م عندما عادوا الى أبو ظبي عقب
العفو عنهم .

نشبت قتال في عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م بين قاسم آل ثاني
وبين أبو ظبي . ومن أسباب ذلك الاغارات التي قامت بها القبائل الخاضعة
لولايتهما . ولكن القتال لم يسفر عن نتيجة حاسمة .

تولى زايد بن خليفة الحكم باعتباره أمير أبو ظبي من عام ١٢٧١ هـ
الموافق ١٨٥٥ م الى ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٨ م فزادت هيئته في هذه
الحقبة حتى أصبح أقوى رجل على ساحل الصلح البحري وأصبحت
أبو ظبي من أهم دول هذه المنطقة . ولما زار كوكس ساحل الصلح
البحري في عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م كان زايد قد تجاوز الثمانين

من عمره . وقال كوكس ان نفوذه انتشر الى ما وراء البريمي بكثير . وكان يملك بساتين كبيرة من النخيل في البريمي نفسها . ومات زايد قضاء وقدر في عام ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٨ م وكان في نحو التسعين من عمره . وترك وراءه سبعة أبناء . وقد رفض خليفة ، وهو أكبر هؤلاء الأبناء ، منصب الحاكم ، فارتقى الحكم النجل الثاني طحنون وظل في هذا المنصب حتى وفاته في عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م .

يبدو أن حمدان ، النجل الثالث لزايد ، الذي خلف طحنون والذي بقى الحكم في يديه بين عامي ١٣٣٠ و ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩١٢ و ١٩٢٢ م ، كان أكفأ أبناء زايد . فقد نجح في صون النظام وفي الاحتفاظ الى حد ما بالمنزلة الرفيعة التي ظفر بها أبوه لأبو ظبي . ونحو عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢٢ م اغتيل حمدان بيد أخيه سلطان الذي حكم الامارة حكما مزعزعا حتى عام ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ م . وتمكن آخر الأمر اثنان أو ثلاثة من البدو الذين كانوا قد خدموا حمدان المقتال ، من اقناع صقر ، وهو أخ أصغر له ، بأن ينضم اليهم للانتقام لقتل حمدان . فكمن صقر مع أحد زعماء البدو لسلطان ذات يوم وأردياه قتيلا بالرصاص بينما كان يصعد الدرج في قصره الشمالي في أبو ظبي ليصلي صلاة المغرب . ولم يدم حكم صقر الا الى عام ١٣٤٧ هـ الموافق ١٩٢٨ م . وعقيب قتله أخيه ، نشبت بينه وبين المناصير منازعات كان السبب الأول لها أنه رفض أن يدفع لرجال القبيلة مثل ما اعتادوا أن يتلقوه من حكام آل بو فلاح . وقد أدى هذا الموقف آخر الأمر الى تأمر صقر على اغتيال أخيه الأكبر خليفة الذي كان مصاهرا للمناصير ، واغتيال محمد وهو نجل خليفة . ولما درى أنصار خليفة من المناصير في أبو ظبي بالمؤامرة ، اتفقوا مع عبد مسن لحمدان على احباط خطط صقر بقتله . فكان العبد أول من أطلق

النار على صقر ولكنه أخطئه وحاول صقر أن يلوذ بالفرار . على أن أحد زعماء المناصير أرداه قتيلا .

بعد ما تخلص المناصير من صقر حاولوا أن يعزّزوا موقعهم في أبو نبي بآن ينصبوا محمد بن خليفة حاكما جديدا . غير أن محمدا الذي كان ميسور الحال يؤثر راحة البال في حياته الخاصة رفض هذا الشرف . فوقع الاختيار بعده على شخبوط . وهو أكبر أبناء سلطان . وكان اذ ذلك شابا في العقد الثالث من عمره . وظل شخبوط حاكما حتى يومنا هذا .

لا تزال المنافسة والخصومة القديمة بين أبو ظبي وآل بو فلاسا من دبي مستمرة لا يخفف من حدتها شيء . وحوالي عام ١٣٦٣ - ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٤ - ١٩٤٥ م حاول سعيد بن مكتوم حاكم دبي أن يرد تخوم أبو ظبي الى الجنوب بأن يضع قدمه على خور غناضة . وترتب على ذلك نشوب معارك متقطعة دامت بضع سنوات بين قبائل البدو في الداخل . وكان من الممكن أن تستمر الحرب دائرة بين القوات الرئيسية للامارتين لو لم تتدخل بريطانيا وتفرض هدنة عليهما في عام ١٣٦٦ هـ الموافق ١٩٤٧ م . ويقال ان الانكليز تدخلوا أخيرا مرة ثانية رغبة في تعيين تخوم معترف بها بين الدولتين .

حدود أبو ظبي وأراضيها

ان حدود أبو ظبي لم يسبق تحديدها بمقتضى اتفاقات دولية ، وليس من المستطاع في الآونة الحاضرة الا أن نوضح ، على وجه عام ، المدى الذي تمتد اليه الأراضي الخاضعة لسيطرة حاكم أبو ظبي .

يدعى حاكم أبو ظبي بنفسه ملكية أراض واسعة تمتد على طول الساحل من خور العديد في الغرب الى نقطة تقع بين أبو ظبي ودبي في الشرق ، وتمتد كذلك برا الى مسافة غير معينة حتى تشمل معظم ديرة المناصير وان لم تكن كلها ، وجزءا من اقليم الجواء ان لم يكن كله ، وجزءا من واحة البريمي ان لم تكن كلها .

وفي عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦ م ذكر الشيخ شخبوط أن حدود سلطته تمتد من غناضة التي تقع على الساحل ولا تبعد كثيرا الى الشمال الشرقي عن مدينة أبو ظبي ، الى جزيرة دلمة جنوب شرقي قطر ، وفي الداخل من الوكرة الواقعة على ساحل قطر شمالي خور العديد الى البريمي .

وقيل في أواخر العام ذاته ان هذا الحاكم وصف الحدود في صورة تختلف بعض الشيء عن الوصف السالف الذكر ، فجاءت كما يلي :
في الغرب — سوداء ثيل ، وهي مورد ماء يقع جنوب غربي خور العديد .

في الجنوب — القرن وعقدة (وموضع هاتين البقعتين غير مقطوع به ، غير أنه يبدو من المرجح أن الحاكم كان يقصد موردين يقعان الى الغرب أو الجنوب الغربي من سبخة مطي) .

في الشمال الشرقي — الجبل العالي (ويسمى الجبيل أيضا) وهو
جبل صغير يقع بين أبو ظبي ودبي ؛ ولطالما
تنازعته الدولتان .

في الشمال الغربي — جزيرة حالول .

وقد ذكر شخبوط في الوقت نفسه أنه يمتلك ما يقرب من ثلاثمائة
جزيرة مختلفة المساحات . ومن أكبرها صير بني ياس والياسات (وتعرف
بالياسين أيضا) ودلما وغاغة .

وتدل المعلومات التي يمكن الرجوع اليها على أن آل بو فلاح من
أبو ظبي لا تمارس السيطرة الفعالة الا على منطقة أصغر بكثير مما ذكر .
فقى الغرب تدعى المملكة العربية السعودية بالسيطرة على جزء كبير من
الساحل بين أبو ظبي وقطر ؛ ولا تعدم هذه المملكة حججا تستند اليها
في هذا الادعاء . أما في الداخل فان الحدود الجنوبية التي تدعى بها
أبو ظبي لا تتفق مع الحدود الشمالية والشرقية التي تدعى بها المملكة
العربية السعودية . ويقطن رجال من بني ياس في بعض القرى الواقعة
في منطقة الجواء وهم يعترفون بزعامة حاكم أبو ظبي ويدفعون له حصة
من محصولات تمرهم . ذلك في الوقت الذي يسكن بعض القرى الأخرى
الواقعة في المنطقة ذاتها رجال من المناصير الذين يعترفون بحكم المملكة
العربية السعودية ويؤدون الزكاة لحكومة تلك المملكة (١) . هذا والسلطة
التي يباشرها حاكم أبو ظبي في البريمي سلطة لا يعرف مداها كما سبق
القول .

ووضع الجزائر الواقعة تجاه هذا الجزء من الساحل الجنوبي للخليج
يعد موضوعا لدراسة قائمة بذاتها ، وحقيقة وضعها مثار شك .

(١) يوجد بحث مفصل في موضوع الجواء وولاء سكانها في كتابنا
« المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » .

جزيرة أبو ظبي ومدينتها

يقع برج في مدينة أبو ظبي على الساحل الشمالى للجزيرة عند خط العرض الشمالى ٢٤°٢٩'٠٢" وخط الطول الشرقى ٥٤°٢١'٤٢" والجزيرة مثلثة الشكل بوجه عام ، يمتد أطول جوانبها صوب الجنوب . ويبلغ أقصى طولها نحو أحد عشر ميلا وأقصى عرضها نحو خمسة أميال .

يفصل جزيرة أبو ظبي عن البر خوران كبيران هما خور البطين من الجنوب وخور لفان (أو خور أبو ظبي) من الشمال الشرقى . وثمة ذراع ضيقة من البحر تسمى المقطع تقع عند الطرف الجنوبى الشرقى للجزيرة ، وهو أقرب الأجزاء الى البر ، ويعد المقطع الذى يمكن اجتيازه خوضا وقت الجزر الطريق الرئيسية للوصول الى أبو ظبي من ناحية البر . ويشرف على المرور فى هذا المعبر قصر صغير تابع لحاكم أبو ظبي . وقد بنى القصر على الرمل فى البحر ويحيط به الماء وقت المد . ويقال ان عدد حامية هذا القصر يتراوح بين عشرين وخمسين من البدو الذين ينتمون الى قبائل مختلفة .

يتفرع من المقطع طريقان تفضيان الى مدينة أبو ظبي الواقعة على جانب الجزيرة المطل على البحر . وتخترق الطريق الجنوبية قرية البطين الواقعة على خور البطين ، ويسكنها فى الأغلب رجال من آل بو مهير من بنى ياس ورجال من قبيلة السودان .

تقع مدينة أبو ظبي كما ذكرنا من قبل على الساحل الشمالى للجزيرة ، وهى تواجه البحر . ويقال ان المرسى هناك مرسى جيد لعبح الماء فيه ،

الا أنه غير مأمون البتة • وثمة بندر أكثر منه أمانا يقع في الجنوب داخل خور البطين غير أن ماءه ضحل جدا بحيث لا ترسو فيه الا القوارب •

قد يقارب عدد سكان أبو ظبي عشرة آلاف نسمة • وتتألف المدينة في الأغلب من أكواخ مصنوعة من سعف النخيل ومن مباني قليلة مشيدة من أحجار ، ومن بين هذه المباني تجد المسجد الكبير وقصرين للحاكم • تستمد أبو ظبي ماءها من آبار قليلة تقع جنوبى المدينة ومن حفر ضحلة تقع على مقربة من قلب الجزيرة ، ويقال ان ماءها ردىء • وتجلب مقادير أخرى من الماء بواسطة القوارب من برك صخرية تقع في جزيرة مجاورة ويبيع هذا الماء في الأسواق •

ومع أن بالجزيرة حقولا صغيرة مزروعة ، فان معظم أرضها جردة رملية • وثمة جهد ضئيل يبذل في الرى • والتمر الذى تغله هذه الأراضى ردىء الصنف يستخدم علفا للماشية • أما المئونة الرئيسية من التمر الذى يأكله أهالى أبو ظبي فتزد من قرى البريمى ومن عمان •

ساحل أبو ظبي

تمتد أراضي أبو ظبي على الساحل الجنوبي للخليج الفارسي مسافة
كم تعين شرقى العاصمة وغربيها بحيث تتأخم أراضي دبي من ناحية والمنطقة
التي تدعى بها المملكة العربية السعودية من ناحية أخرى •

وفي اتجاه دبي يتكون الساحل في الأغلب من « أرض جدياء مستوية
تمتد على وتيرة واحدة » ومن سباح محاذية للبحر في أكثر المسافة
ومساحات شاسعة من الرمال واقعة بالقرب من الساحل ، وهذه المساحات
هي الذراع الشمالية للربع الخالي • وتتراوح المسافة بين أبو ظبي ودبي
بين خمسة وسبعين ميلا وثمانين ميلا • وعلى طول مسيرة عشرين ميلا
تمتد الى الشمال الشرقي من مدينة أبو ظبي تجد مجموعة من الجزائر
والشعاب تفصل ساحل اليابسة عن مياه الخليج الفارسي • أما ما يترتب
عن ذلك من منعطفات وخيران بحرية ، فانها لم ترسم بالدقة على أية خريطة
من الخرائط المطبوعة •

وعلى مسيرة عشرين ميلا تقريبا من مدينة أبو ظبي يقع تنوء صغير
على الساحل اسمه رأس الصدر • وعلى مقربة منه أنشأت شركة استثمار
البترول (ساحل الصلح البحري) قاعدة لأعمالها • وعلى مسيرة نحو
اثني عشر ميلا من رأس الصدر يقع خور غناضة الذي كان مسرحا للنزاع
بين أبو ظبي ودبي في أوقات مختلفة •

وبعد سيرك نحو أربعة أخماس المسافة من أبو ظبي الى دبي تجد على
مسافة غير بعيدة من الساحل المعلم البارز الوحيد في هذا الاقليم وهو جبل
مستوى القمة يبلغ ارتفاعه نحو مائتي قدم فوق السهل ويعرف باسم

الجبل.العالى أو الجبيل • ويبدو أن حاكم أبو ظبى يرغب فى بعض الأحيان أو على الدوام فى أن تمتد أراضيه شمالا حتى تبلغ هذه النقطة التى يمكن أن يقال انها تصلح لرسم حد من الحدود • غير أن رغبة الحاكم لن تذهب به الى ما هو أبعد من هذا كثيرا لأن ثمة قريتين صغيرتين على الساحل ، على مسيرة بضعة أميال من الجبل العالى ، تقعان بلا شك خارج دائرة سيطرة أبو ظبى • وهاتان القريتان هما أم سقيم وجميرا •

• وادعاءات الحاكم الى الغرب من مدينة أبو ظبى تمتد على طول الساحل حتى قطر • ومع ذلك فإن المملكة العربية السعودية تدعى بما يقع غربى نقطة على ساحل الظفرة بين بندر المرفأ وبندر المغيرة ، ، وسنتحدث عن هذا الجزء من الساحل فى فصل آت من هذا البحث •

وقد وصفت البحرية البريطانية فى كتابها « مرشد الخليج الفارسى » الساحل الممتد على مسيرة ثلاثين ميلا الى الجنوب الغربى من مدينة أبو ظبى بأنها منطقة « تتكون من مجموعة من الجزيرات الواطئة تتخللها الخيران البحرية التى تلتقى خلفها وبذلك تفصلها عن البر الذى يقع على مسافة لا يستهان بها عن الجزيرات وهذا البر لما يدرس • ويزور العرب الكثير من هذه الجزيرات والبر الواقع وراءها • أما الخيران فيزورها الصيادون • ويقال ان لهذه الخيران مداخل ضحلة ثم يزداد عمق مائها فى الداخل » • وكما سبق القول فإن هذه المنطقة لم تدرس على صورة صحيحة ، ولذلك فإن رسمها على الخرائط المطبوعة ينبغى ألا يعول عليه كثيرا •

وعلى العموم ، كلما تقدم المرء غربا ألقى الجزائر متناثرة على مسافة بعيدة بعض الشيء من ساحل البر • وما فتئت أشكال هذه الجزائر غير معروفة بوجه الدقة وكذلك سیر الساحل ، وقد كتبت أسماء بعض الجزائر خطأ فى الخرائط المطبوعة • ولا يتردد العرب فى الآونة الحاضرة على

هذه الجزائر وعلى الجزيرات الواقعة خلفها هنا وبالقرب من مدينة أبو ظبي كما كان الشأن فيما مضى عندما كان العرب الذين ألفوا السطو على تجارة الخليج يحتمون هناك من المراكب الحربية البريطانية * ويبدو أن معظم الرجال الذين يصطادون أو يحتطبون في هذه البقاع هم من بني ياس ، ومع أنهم يمكثون فترات من الزمن في أكواخ يقيمونها على الساحل فإنهم لا يملكون بيوتا مستقرة على الساحل *

تكثر البنادر على طول الساحل بين أبو ظبي وقطر ، وهي معروفة تماما للبحارة العرب الذين يجوبون هذا القسم من الخليج وللبدو والقرويين من سكان الداخل ، وهم ينزلون فيها ويبحرون منها بين حين وآخر * وقد وردت أسماء هذه البنادر غير الآهلة بالسكان في كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » * ومن بين تلك التي ورد ذكرها في ذلك الكتاب المغيرة والرديم والرويس الشرقية (وهي تعرف أيضا برويس الرديم) التي تقع كلها شرقي الساحل الذي تدعى به المملكة العربية السعودية * وبمعنى آخر يجوز لنا أن نفترض أن هذه البنادر الثلاثة تتبع أبو ظبي دون نزاع *

ينبغي أن نوجه النظر مرة أخرى الى اقتصرنا هنا وفي كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » على ملاحظات عابرة لجزائر هذا الجزء من الخليج ، فإن ثمة بحثا منفصلا سنخصصه لهذا الموضوع *

الأراضى فى الداخل

وصفنا فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » المناطق الواقعة الى الجنوب والجنوب الغربى من أبو ظبى ، وهى الطف والحمرة والختم والجواء • وقد تحدثنا عن اقليم البريمى فى مكان آخر من البحث الحالى • أما الأراضى الواقعة بين أبو ظبى والبريمى مما يبدو أن حاكم أبو ظبى يدعى به ، فانها على شكل رباعى يتكون من خطوط تربط بين أبو ظبى والعائكة والبريمى ونقطة تقع فى مكان ما على الساحل بين أبو ظبى ودبى • وبما أن الربع الخالى يمتد شمالا ليشغل معظم المنطقة المتوسطة بين الساحل والبريمى ، فان الجزء الأكبر من هذا الشكل الرباعى يقع فى الرمال • والكثبان الرملية واطئة فى منطقة مفلجة^(١) التى تقع وراء الساحل على مقربة من أبو ظبى ، ولكن الكثبان تتدرج فى الارتفاع فى الاتجاه شرقا • وتجد سباحا كثيرة فى مفلجة بالقرب من الساحل وكذلك تجد سيوحا عديدة كلما توغلت فى الداخل •

وتقع منطقة الويدية الى الشرق من مفلجة ، وفيها عدد من الوديان كما يبدو من اسمها • ويقال ان الحد الشرقى للويدية هو الدرب الذى يسير من البريمى الى دبى والشارقة •

ومع أن الأراضى الداخلة ضمن الشكل الرباعى المذكور سالفا مقفرة على وجه العموم ، فان قدرا لا يستهان به من الأعشاب البرية ينمو هناك فى بعض فصول السنة ، وتظهر خريطة انكليزية حديثة ما يزيد على أربعين

(١) ومفلجة هى جزء من منطقة كبيرة تعرف بطف عمان أو الجبل (وفى بعض الأحيان يستعملون هذا الاسم فى صيغة الجمع ويقولون الجبال) .

موردا للماء في الويدية وبجوارها ، وتقع معظم هذه الموارد على جانبي الويدية الجنوبي والشرقي أو على مسافة غير بعيدة منهما • أما موارد مفلجة فيقال انها أقل عددا • ويبدو أن ما في جميع هذه الموارد من ماء ليس على شيء يذكر من العذوبة ، وليس حول مورد منها سكنى دائمة •

وثمة عدد من الدروب التي تعبر المنطقة الواقعة بين أبو ظبي والبريمي ، وإن كان يقال انه ليس هناك الا طريق رئيسية واحدة للنقل بالسيارات بين البلدين • ويبدو أن هذه الدروب ، شأنها في ذلك شأن الكثير من الدروب الصحراوية ، تتباعد ثم تتصل من جديد كلما سارت من مورد الى آخر من موارد الماء القائمة على طول الطريق •

قَبَائِلُ أَبُو ظُبَى

أقوى القبائل في المنطقة الخاضعة لسيطرة أبو ظبي هي بنى ياس ويتزعمها آل بو فلاح . وثمة عدد من القبائل الأخرى يقطن بعض رجالها في هذه المنطقة أو يطوفون بها ، وبعض هؤلاء الرجال يعترفون بسيادة آل بو فلاح عليهم وبعضهم يعتبرون أنفسهم من رعايا المملكة العربية السعودية ، وما فتئت بعض القبائل تنتقل مستقلة تحت لواء زعمائها .

قبيلة بنى ياس قبيلة كبيرة ولكنها لا تزال مفككة المرى بعض الشيء ، ومرد هذا الى أنها كانت أصلا مجموعة من عناصر مختلفة . ومعظم رجالها من الحضر ، وظل كثيرون منهم يعملون بحارة أجيالا . وتضم القبيلة عددا قليلا من البدو ، وهؤلاء ، وهم يسكنون الأكواخ لا بيوت الشعر ، لا يرتحلون كثيرا كما يفعل الرحل في الأجزاء الأخرى من جزيرة العرب . ويقيم اثنا عشر فخذا أو أكثر من فخوذ هذه القبيلة في أراضي أبو ظبي . ومن بين تلك الفخوذ آل بو حمير والهوامل والمحاربة والقيسات والرميثات والرواشد (وينبغي ألا نخلط بين هذا الفخذ وقبيلة آل راشد المستقلة) .

وقد ورد ذكر آل بو فلاسا الذين انفصلوا عن صلب بنى ياس في عام ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣ م وأنشأوا بلدة دبی . وما فتئت العداوة بين آل بو فلاسا وآل بو فلاح قائمة حتى اليوم . ومع هذا فإن ثمة جماعة من آل بو فلاسا بزعامة على بن سلطان ، وهو ابن عم سعيد بن مكتوم حاكم دبی ، لا تزال تعيش تحت سيطرة آل بو فلاح في أراضي أبو ظبي .

وبالإضافة الى الفخوذ التي تبدو تبعيتها لبنى ياس فوق مشار الشك في الآونة الحاضرة ، فاننا نجد قبائل وفخوذا أخرى ما فتىء وضعها غامضا ، ويعتقد بعض الناس أنها تتبع بنى ياس ويرى بعضهم أنها لا تزال تحتفظ بكيانها الذاتي ، رغم الروابط الوثيقة التي تربطها ببنى ياس^(١) . ومن أمثال هذه تجد الظواهر الذين تتركز قوتهم الكبرى في خمس قرى في البريمي ، وآل بو مهير ، وغيرهم ممن يقل عنهم شأنًا . ورجال المزاريع . وهم كثرة ذات نفوذ ، لهم وضع خاص يثير الاهتمام ، فيقال انهم كانوا يتبعون المناصير أصلا ، ولكنهم يعتبرون الآن بصفة عامة تابعين لبنى ياس حيث أنهم يعيشون معهم ويبدلون لهم تأييدهم . ومن بين زعماء المزاريع الذائع الصيت فارس بن غانم ، وهو من أبرع المقاتلين في الحروب العربية على ساحل الصلح البحري . ومن الميسور أن تنشأ حالة مشابهة لهذه عندما يرتبط رجال قبيلة ما بأحلاف كثيرا ما تفرض عليهم في بدء الأمر بمقتضى ظروف خارجية ، ولا يرتبطون من حيث تحدرهم من جد واحد .

لما كان رجال آل بو فلاح يحكمون مدينة صغيرة نسبيا يمكن أن تقع فريسة لرجال القبائل المعادية في الداخل، فانهم انتهجوا سياسة عقد محالفات مع القبائل المجاورة ومعاملة زعماء هذه القبائل معاملة كريمة . وقد اتبعت هذه السياسة بعزم في خلال السنوات القليلة الماضية ، وكان القائم على تنفيذها زايد بن سلطان ، ممثل آل بو فلاح في البريمي ، وهو يتمتع بحظوة عند البدو أكثر من أخيه الأكبر شخبوط حاكم أبو ظبي . وثمة عدد من القبائل ، من بينها الحكمان الذين يقيمون في الناحية الجنوبية الشرقية من عمان ، ترتبط على هذا المنوال مع آل بو فلاح بعلاقات ودية . وفي الوقت نفسه لم تتحقق الأهداف الرئيسية من هذه السياسة لأن

(١) ورغبة منا في التبسيط اعتبرناها تابعة لبنى ياس لأغراض هذا

الأواصر القديمة مع المناشير قد انقصت الى حد بعيد ، ولم تصب الجهود
التي بذلت لكسب رجال نعيم في البريمي نجاحا .

أما تاريخ العلاقات بين المناشير وآل بو فلاح فهو مدرج في كتابنا
« المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » . ومع كل ما يقال من أن بعض
المناشير ممن ينتقلون شمالا في منطقتي مفلجة والويدية قد أبقوا على شيء
من صداقتهم القديمة لآل بو فلاح ، فإن القبيلة في مجموعها ، وبخاصة
العناصر الرئيسية التي تقيم في الظفرة ، تدخل في الفلك البعودي .
والمناشير يميلون في الآونة الحاضرة ، من حيث سياسة ساحل الصلح
البحري ، الى آل بو فلاسا أكثر مما يميلون الى آل بو فلاح .

ويجوس كذلك بعض رجال القبائل الأخرى ممن يعدون أنفسهم من
رعايا المملكة العربية السعودية ، وبعض رجال القبائل المستقلة استقلالا
تاما ، في بعض الأحيان خلال المثلث المؤلف من أبو ظبي والبريمي ودبي .
ولا يحاول حاكم أبو ظبي أو رجاله أن يحدوا من حركات هؤلاء القوم
أو أن يجبوا منهم الزكاة أو غيرها من أنواع الضرائب .

اقتصاد أبو ظبي

يقوم اقتصاد مدينة أبو ظبي على الملاحة والتجارة وصيد السمك واستخراج اللؤلؤ من مياه الخليج • والنشاط الاقتصادي في مملكة والويدية يعتمد على تربية الماشية ورعيها فقط ، وهذا ما يقوم به السكان البدو المشتتون هنا وهناك •

من الأسواق المختلفة في مدينة أبو ظبي تلك المسماة بسوق البانيان ، وهي مقر مجموعة من التجار الهنود الذين يعدون من أكبر الطوائف شأنا في أبو ظبي من الوجهة المالية على الأقل • وفي الحق اننا اذا استثنينا النفوذ الاقتصادي الذي تتمتع به الأسرة الحاكمة ، وهو النفوذ القائم على ما تملك من أراض وما تحصل من ضرائب وما إليها ، فيبدو أن التجار الهنود يتمتعون بالمركز الاقتصادي البارز •

وظاهر أن الملاحة قد انحطت وكذلك صيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ في خلال الخمسين سنة الماضية ، وهي مدة أصبحت فيها مدينة أبو ظبي أقل شأنا من كلتا الشارقة ودبي • فكانت البواخر البريطانية تزور دبي ولا تزور أبو ظبي ، وأنشأ الانكليز مصرفا في دبي ولم ينشئوا مثله في أبو ظبي • وقام سلاح الطيران الملكي البريطاني وشركة الطرق الجوية البريطانية لما وراء البحار بنشاط في الشارقة ، وكانت الطائرات المائية تهبط في الخور بدبي ، في الوقت الذي ظلت فيه مدينة أبو ظبي متخلفة تخلصا كبيرا في عصر الطيران هذا •

في خلال الأعوام القليلة الماضية حدث تحول جديد بعث آمال أبو ظبي في استرداد زعامتها السابقة على ساحل الصلح البحري . وحاكم أبو ظبي يعلم جيد العلم المزايا التي سيتمخض بها العثور على الزيت في بلاده ، فنحو عام ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٥ م منح مندوبا انكليزيا يمثل شركة النفط الانكليزية الفارسية ، وكانت بدورها تمثل شركة نفط العراق ، منحه مهلة مدتها عامان . وفي نفس الوقت تقريبا منح معظم حكام ساحل الصلح البحري تلك الشركة مثل تلك المهلة . ونحو عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦ م أنشئت شركة استثمار البترول (ساحل الصلح البحري) ، وهي ضمن مجموعة الشركات المتصلة بشركة نفط العراق ، برأس مال قدره مائة ألف جنيه ، بقصد القيام بالأعمال على ساحل الصلح البحري . وفي شهر ذي القعدة عام ١٣٥٧ هـ الموافق ليناير ١٩٣٩ م منح حاكم أبو ظبي شركة استثمار البترول (ساحل الصلح البحري) امتيازا مدته خمسة وسبعون عاما . ولم تعرف نصوص هذا الامتياز بالتفصيل ولا مدى المساحة التي سمح بالتنقيب فيها . وظلت الشركة فترة من الزمن تحفر في البر الى الشمال الشرقي من جزيرة أبو ظبي ، غير أنها ، فيما يعرف ، لم تجد زيتا حتى الآن . وقامت الشركة كذلك بعمل ضخم للتنقيب عن الزيت في الداخل حتى بلغ نشاطها البرمي في الشرق والمنطقة المجاورة للحافة الشرقية لسبخة مطي في الغرب . وطبيعي أن يساعد تركيز اهتمام الشركة وأعمالها في المناطق التي تملكها أبو ظبي أو تدعى بها على انعاش هذه الدويلة انعاشا اقتصاديا ملموسا .

العلاقات بين أبوظبي وبريطانيا العظمى

بدأت العلاقات الرسمية بين أبو ظبي والانكليز فى عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م عندما حضر فى رأس الخيمة عدد من زعماء الساحل . عقب استيلاء الانكليز على تلك المنطقة ، لتوقيع معاهدة عامة تتضمن تعهدا نصه « أن يزال النهب والغارات فى البر والبحر من طرف العرب المشروطين فى كل الأزمان » . ومثل أبو ظبي هو شخبوط ابن ذياب نائبا عن ابنه طحنون الذى كان اذ ذاك حاكما للدولة .

وقد أشرنا قبالا الى الاجراءات التأديبية التى اتخذها الانكليز ضد أبو ظبي فى عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٤ م . وفى العام التالى أقنع الانكليز زعماء الساحل بأن يقبلوا أول صلح أو هدنة بحرية تسرى لمدة ستة أشهر . وقد سار الصلح سيرا طيبا حتى لقد جدد مرة تلو الأخرى الى أن استبدل بمعاهدة صلح دائمة اتفق فيها على « أنه من تاريخ يوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٦٩ هجرى مطابق الرابع من شهر مى سنة ١٨٥٣ عيسوى الى ما بعد ينقطع الحرب والجدال فى البحر فيما بين دعايانا والمتعلقين علينا وليستقيم بين الجميع منا ومن يعقبننا صلح تام فى البحر على الدوام » . ووقع هذه المعاهدة رؤساء أم القيوين وعجمان ودبى وبنى ياس والقواسم ، ومثل سعيد بن طحنون بنى ياس أى أبو ظبي . واتفق فضلا عن ذلك على أنه اذا حدث اعتداء فيحتكم الى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أو الى القائد البحرى البريطانى . وتضمنت المعاهدة العامة لعام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م مادة تستنكر خطف الرقيق من سواحل افريقيا وغيرها من المواضع ، وتعد ذلك سلبا

وقرصنة • ولكن لما لم يكن لهذه المادة تأثير في الاقلال من شأن النخاسة ، فقد اقنع شيوخ ساحل الصلح بأن يوقعوا أربعة اتفاقات أخرى في هذا الموضوع بين عام ١٢٥٤ وعام ١٢٧٢ هـ الموافق ١٨٣٨ و ١٨٥٦ م • واشتركت أبو ظبي في توقيع كل من هذه الاتفاقات •

وفي عام ١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٦٧ م تعاون زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي مع حاكم البحرين في مهاجمة ساحل قطر • ولما هددت المراكب الحربية البريطانية أبو ظبي ، وقع زايد اتفاقا آخر تعهد فيه ألا ينقض الصلح البحري ، كما تعهد بأن يدفع غرامة قدرها خمسة وعشرون ألف ريال ، وقد أعيد اليه معظم هذا المبلغ فيما بعد باعتباره مكافأة عن مسلكه الحميد في الأيام التي تلت فرض الغرامة عليه •

وعقدت عدة اتفاقات أخرى مع الانكليز في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر الموافقة للنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وأهمها الاتفاق الخاص الذي عقد في عام ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩٢ م والذي بمقتضاه تعهد زايد حاكم أبو ظبي بما يلي :

انى لا أدخل أبدا في قرار مّا ولا محاورة مع أحد من الدول سوى الدولة البهية الانكليز بغير رضا الدولة البهية الانكليز لا أقبل أن يسكن في حوزة ملكي وكيل من دولة غير الدولة البهية الانكليز — أبدا لا أسلم ولا أبيع ولا أرهن ولا أعطي للتصرف أو للتبؤ بنوع ما شيئا من ممالكى لأحد الا للدولة البهية الانكليز •

وفي الوقت عينه وقع رؤساء ساحل الصلح البحري الآخرون اتفاقات خاصة صيغت بذات الصيغة •

وكذلك يبدو جليا نمو النفوذ البريطاني في أبو ظبي في خلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر الميلادي في تاريخ المجادلات

المتقطعة التي دارت بشأن منزلة العديد ، فما برح الانكليز في هذه المجادلات يؤيدون أبو ظبي في ادعائها بالسيطرة على هذه القرية الواقعة على الساحل الجنوبي للخليج على مسافة نائية من أبو ظبي وعلى مقربة من قطر .

وفي عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م وافق زايد والرؤساء الآخرون على منع استيراد السلاح واصداره لغرض البيع .

ويبدو أنه في عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م قلقت الحكومة البريطانية بسبب موقف السلطات التركية العدائي في قطر ، ولذلك فانها عقدت اتفاقا مع زايد اعترفت به بالمنطقة المجاورة لخور العديد أرضا تابعة له وضمنت منع أى طرف ثالث عن احتلالها .

وبمرور الوقت ازداد نفوذ الانكليز السياسى اتساعا بين جميع امارات ساحل الصلح البحرى . ومما ساعد على زيادة هذا النفوذ وجود مراكب حربية بريطانية ، وسريان الصلح البحرى ، فضلا عن السلطة التي تمارسها الحكومة البريطانية في سعيها لقمع النخاسة وتهريب السلاح . وفي النهاية عززت هذه المنزلة السياسية الخاصة التي ظفر بها الانكليز بمنزلة اقتصادية خاصة . وان تعهدات عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢٢ م المتعلقة بالزيت لتتفق مع روح الاتفاقات الخاصة التي عقدت في عام ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩٢ م . وقد وافق أمير دبي في عام ١٣٤٠ هـ على أنه « اذا كان من المرتقب اكتشاف الزيت في أراضينا ، فلن نمنح أى امتياز في هذا الصدد الى أحد باستثناء من تعينهم الحكومة البريطانية السامية » . أما تعهدات حاكم أبو ظبي وغيره من أمراء ساحل الصلح البحرى ، فانها تشابه هذا التعهد في جوهرها . أما تاريخ البحث عن الزيت في امارة أبو ظبي منذ هذا التعهد ، فقد روى بالايجاز فيما سلف .

أما وجهة النظر الرسمية للحكومة البريطانية فهي أن أبو ظبي دولة مستقلة ، شأنها في ذلك شأن غيرها من امارات ساحل الصلح البحرى •
فهي لا تعد محمية بريطانية بل توصف بأنها خاضعة لحماية^(١) بريطانيا أو أن لها معاهدات خاصة مع الحكومة البريطانية • وان جميع المعاملات التى تتناولها امارات ساحل الصلح البحرى مع الدول الأجنبية عدا بريطانيا العظمى لتجرى عن طريق الحكومة البريطانية باعتبارها وسيطا ، وينطبق هذا حتى فى معاملات هذه الامارات مع حكومات الدول العربية المجاورة لها •

(١) ان التفرقة بين المحمية وبين الدولة الخاضعة للحماية ، هى تفرقة مقصودة ، وليست مجرد تلاعب بالالفاظ •

السَّاحِلُ الْعَرَبِيُّ لِسُعُودِيَّ

بين أبوظبى وقطر

بما فى ذلك العُدَيد

الساحل العربي للبحر الأحمر بين أبوظبي والعديد

تدعى المملكة العربية السعودية بالساحل الجنوبي للخليج الفارسي غربا من نقطة تقع بين المغيرة والمرقا على شاطئ الظفرة الى نقطة تقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة قطر . ولكن الحكومة البريطانية تنازعها هذا الادعاء بالنيابة عن حاكمي أبوظبي وقطر . فقد جرت الحكومة البريطانية من مدة ثمانين عاما على الأقل على الاعتراف صراحة بادعاء أبوظبي بالساحل حتى العديد والمنطقة المجاورة لها . والمفهوم أنها تنظر نظرة عطف الى امتداد سلطة حاكم قطر جنوبا الى المنطقة المجاورة للعديد حيث أنها لم تظهر ميلا الى الاعتراف بصلاحيه المطالب السعودية لأى جزء من الساحل جنوبى قطر أو شرقها .

والمعلومات العامة المتعلقة بهذا المدى من الساحل مدرجة فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » ، ولما كانت العديد ذات شأن كبير فى تقرير وجهة نظر الحكومة البريطانية وحاكم أبوظبي ، فقد أجريت دراسة خاصة لتاريخها تجدها فيما يلى .

العديد

خور العديد هو ذراع من البحر يدخل في الساحل الجنوبي للخليج الفارسي على مسافة قصيرة الى الشمال من خط العرض الشمالى ٣٠° ٢٤° والى الغرب من خط الطول الشرقى ٣٠° ٥١° . والخور يتكون من مجرى منعطف طوله ثمانية أميال^(١) داخل في البر في اتجاه جنوبى غربى، ثم يفتح الخور في منطقة بحرية طولها ستة أميال من الشمال الى الجنوب وعرضها أربعة أميال . وقد جاء في كتاب البحرية البريطانية « مرشد الخليج الفارسي » الصادر في عام ١٣٦١ هـ الموافق ١٩٤٢ م أن هذه المنطقة ذات أعماق أقصاها خمس قامات . وهناك منطقة بحرية أخرى طولها ثمانية أميال ونصف ميل من الشرق الى الغرب ، وعرضها أربعة أميال ، وهى متصلة بالمنطقة الأولى بواسطة مجرى ضيق . وبالقرب من مدخل الخور الرئيسى يوجد مرسى يعرف باسم بندر العديد ، وعلى مسافة غير بعيدة من هذا البندر يبرز رأس صغير من البر على الشاطئ الجنوبى للخور ، ويقع جبل العديد الى الجنوب مباشرة من هذا الرأس ، كما أن قرية العديد كانت تقع في الأيام السابقة بالقرب من طرفه .

قد أنشئت قرية العديد في عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م بأيدي رجال من القبيسات ، وهم فخذ من فخذ بنى ياس . وقد هاجر القبيسات اليها قادمين من مدينة أبو ظبى ليتجنبوا دفع حصتهم من الغرامة التى فرضها الانكليز على خليفة بن شخبوط حاكم أبو ظبى لأن عددا من

(١) المسافات المذكورة هنا هى بالتقريب . أما أبعاد منطقتى الخور الداخليتين فقد قيست عند أكبر اتساع لكل منهما طولاً وعرضاً .

رعاياه اشتركوا جهازا في أعمال القرصنة . ومضى القبيسات بزعامه
خادم بن نهيان يعادون خليفة بن شخبوط وذلك بمهاجمة مراكب الصيد
التابعة لسكان أبو ظبي . وقد نظرت السلطات البريطانية في الخليج
الفارسي نظرة عدم رضا الى مهاجرة القبيسات من أبو ظبي ، غير أنها
أخفقت في المساعي التي بذلتها لوضع تسوية للحالة .

وبعد انشاء العديد بقليل تبين الانكليز أن القرية تتخذ قاعدة لأعمال
القرصنة في الخليج . فقد جرى هؤلاء القراصنة على أن يقطروا المراكب
التي يضبطونها الى الساحل ، أو أن يطرحوا السلع التي يهبونها في أماكن
منعزلة على الشاطئ حيث يستعد زملاؤهم لنقلها على الابل بغير ابطاء .
ونحو عام ١٢٥٢ هـ الموافق ١٨٣٦ م أرسل الانكليز ثلاثة مراكب حربية،
وذلك « لكي توضح لمديري هذه القرصنة الخطيرة خطر رأيهم في
اطمئنانهم الى سلامة وهمية » . وقد سلكت المراكب بين الضحاضيح ورست
عند البدع والوكرة على ساحل قطر ، وعند العديد . وتعهد حكام هذه
الأماكن ببذل أقصى ما في طاقتهم من قوة لضبط مراكب القراصنة .
وأكره خادم بن نهيان رئيس العديد على أن يقدم بدوره كفالة لضمان
قدر معين من المال أو الممتلكات ترد اليه عندما يظهر مدى وفائه للعهد
الذي قطعه بقمع القرصنة .

وفي شهر صفر عام ١٢٥٣ هـ الموافق لمايو ١٨٣٧ م جرد خليفة
ابن شخبوط حملة على العديد بعدما ظفر بالموافقة اللازمة من المعتمد
البريطاني في الخليج الفارسي . ففوجيء القبيسات بهذه الحملة وسرعان
ما هزموا ، وقتل خمسون من السكان ودمرت جميع المنازل ، وطرح
الظافرون جثث الذين ذبحوا في الآبار وملاؤها بالحطام . وعاد خادم
ابن نهيان ومعظم رجال القبيسات الى أبو ظبي أمام اغراء الشروط
السخية التي عرضها خليفة عليهم ، ومن هذه الشروط العفو عنهم ورد

المراكب والممتلكات الأخرى اليهم على أن يظلوا خاضعين لنظام الدولة .
واحتفى عدد قليل من القبيسات فى الشارقة ودبى .

فى أواخر عام ١٢٦٥ هـ الموافقة لأواخر ١٨٤٩ م قام القبيسات بمحاولة غير ناجحة للانشقاق مرة أخرى ، غير أن سعيد بن طحنون ، وهو حاكم أبو ظبى بين عام ١٢٦١ و عام ١٢٧٢ هـ الموافق ١٨٤٥ و ١٨٥٥ م ، استطاع أن يحبطها فى نهاية الأمر . ففى ختام موسم صيد اللؤلؤ من عام ١٢٦٥ هـ لم تعد مراكب القبيسات الى أبو ظبى وتقدمت عوضا عن ذلك الى ساحل قطر حيث احتمت بالبدع . ومن الدوافع الى هذا العمل مكاييد سلطان بن صقر رئيس القواسم ومكتوم بن بطى حاكم دبى ، وقد وكدا للقبيسات ، بوصفهما عدوين لحاكم أبو ظبى ، ان فيصل ابن تركى أمير نجد يعتزم أن يعيد بناء العديد ويعيد اسكانهم فيها . وقد غضب القبيسات على سعيد بن طحنون كذلك بسبب الموقف الودى الذى وقفه تجاه المحاربة ، وهم فخذ منافس لهم من فخذ بنى ياس . وفى شهر محرم عام ١٢٦٦ هـ الموافق لنوفمبر وديسمبر ١٨٤٩ م أرسل سعيد بن طحنون رسلا الى القبيسات وأقنعهم بأن يعودوا الى أبو ظبى . وقد استقبل سعيد المنشقين من رعاياه استقبالا وديا وجعلهم يعتقدون أنه غفر لهم اعتداءاتهم السابقة وأنهم يستمتعون الآن بكل مودة وثقة ، غير أنه فى غلس الليل أمر بتجريد جميع مراكبهم من أشرعتها وصواريخها ودفاتها وبهذا قطع عليهم كل أمل فى الهرب . ثم أعلن كل من له دعوى على القبيسات بأن يطالب بما يريد فورا . أضف الى ذلك أنه فرض غرامة كبيرة على المنشقين الذين اضطروا ازاء ذلك الى بيع مراكبهم وممتلكاتهم الأخرى ليؤدوا ما عليهم .

فى عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م غادر القبيسات بقيادة خادم ابن نهيان أبو ظبى للمرة الثالثة واستوطنوا العديد من جديد . وقيل

في تعليل ذلك ان الشيخ زايد بن خليفة كان فظا في حكمه . وقد طلب زايد من المعتمد البريطاني في الخليج الفارسي أن يسمح له باتخاذ اجراءات ضد العديد بحجة أن هذه القرية تسمى الى تجارة أبو ظبي كما أنها مأوى للثام . وقال ان لهذه الأسباب جميعا « لا معدى عن وقوع صدام في البحر آجلا أو عاجلا » .

وصرح خادم بن نهجان ، مرة على الأقل ، أن العديد خاضعة لقطر . فقد بعث بكتاب الى المعتمد البريطاني حرر في شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأغسطس ١٨٦٩ م قال فيه « أنا خادم بن نهيمان تابع لقطر منذ أيام أبى وجدى » ، غير أن خادما استطرد فقال :

انتقلنا من أبو ظبي الى قطر عندما تبيننا أن هذا المكان موضوع تحت حماية الحكومة البريطانية وأن الناس يعيشون في سلام ولذلك نرجو الحكومة أن تبقينا تحت حمايتها حتى لا يتدخل أحد في أمورنا . ففضلوا بمنحنا راية حتى نكون بمأمن من الاذلال . . نريد كتابا يمنحنا هذه الحماية حتى يعرف الجميع أننا تحت حماية الحكومة البريطانية .

وقال بطي ، وهو نجل خادم وخليفته ، في حوار جرى في شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٨ هـ الموافق ليولى ١٨٧١ م مع مساعد المعتمد السياسى في الخليج الفارسي ان القبيسات لم يعودوا الى العديد « الا بعد ما تلقينا كتاب المعتمد (المحرر في شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأغسطس ١٨٦٩ م) الذى جاء فيه أننا اذا آثرنا أن نعود الى سكنى ديارنا القديمة فلنا أن نفعل ذلك . وفي وسعنا أن نثبت أن هذه الديار هي ديارنا القديمة . » وعرف بطي منطقة العديد المستقلة ، فقال

انها تمتد من رأس الحالة^(١) في الشمال متجهة صوب الجنوب والشرق على الساحل العربى حتى نقطة تقع في مواجهة جزيرة صير بنى ياس^(٢) .
وادعى كذلك بجزيرة دلمة والجزائر الأخرى في تلك المنطقة في الخليج
الفارسى •

ووكد الكولونل پلى المعتمد البريطانى في الخليج الفارسى للقياسات
في كتاب بعث به في شهر صفر عام ١٢٨٨ هـ الموافق لمايو ١٨٧١ م الى
زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى أن العديد جزء من أراضيّه ، فقد جاء في
الكتاب :

فهمت من رئيس قطر ، الذى تتاخم أراضيّه أراضى
العديد ، أن العديد ليست جزءا من أراضى قطر أصلا ،
وجميع الأدلة الأخرى تجمع على أن العديد ملك لكم •
ولذلك فانى أرى لكم كل الحق في أن تطلبوا من بعض
سكان العديد أو منهم جميعا أن يدينوا لحكمكم •

وفي اليوم نفسه أرسل پلى الى سكان العديد ما يأتى :

بعد تحقيق دقيق اتضح أن جميع الأدلة تجمع على
أن العديد جزء وقطعة من أراضى رئيس أبو ظبى • فاذا
رغبتم اذن في الإقامة في العديد ، وجب أن تفعلوا ذلك
بموافقة رئيس أبو ظبى وأن تدينوا لحكمه • واذا لم تقوموا
بهذا ، فهناك خطر من أن يجد رئيس أبو ظبى نفسه فيما
بعد مضطرا الى اجباركم على هذا ، ولا سيما على أساس
أنه قد استوفى شروط الصلح البحرى باحالة الأمر الى
المعتمد •

(١) ان موضع هذا المكان مشكوك فيه •

(٢) من المفروض ان هذه النقطة تقع عند جبل الظنة او قريبة جدا منه •

وعقب المستر ايتشنس وكيل وزارة الخارجية بحكومة الهند على الأسلوب الذى عالج پلى به موضوع العديد ، فقال :

لعل الكولونل پلى على حق فى قوله ان العديد جزء
من أراضى أبو ظبى ، غير أننا لم ندع فى الوقت الحالى بأى
وجه من الوجوه لنقرر شيئا فى صدد هذا الموضوع ،
وان كان الكولونل پلى قد فصل فيه فعلا بالاخطار الذى
بعث به الى الجانبين •

وقد تعقد موقف العديد أكثر مما هو عليه ، عند ما هاجم الترك
منطقة الحسا فى شهر ربيع الثانى ١٢٨٨ هـ الموافق لمايو ١٨٧١ م
وما تلى ذلك من نزولهم فى قطر ، وقد استقر الترك على ساحل قطر عند
البدع • وحوالى عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م تلقى بطى بن خادم راية
تركية من على أفندى الممثل التركى فى البدع ، وكان بطى يرفع تلك
الراية على العديد من وقت لآخر ، ولا سيما عندما كان يرتقب وصول
ضيوف من الترك ، وفى مناسبات أخرى كان يرفع راية رؤساء ساحل
الصلح البحرى التى أعطاها الكولونل پلى لوالده خادم ، بل لقد مضى
بطى الى حد ابلاغ السلطات البريطانية أنه ، اذا لم تحترم حقوقه فى
العديد ، فسيطلب الحماية التركية •

وقد استمرت المجادلات طويلا بين سكان العديد وبين حاكم أبو ظبى
بغير أن تسفر عن شيء • وفى شهر رجب عام ١٢٩١ هـ الموافق لستمبر
١٨٧٤ م تلقى المعتمد البريطانى فى أبو شهر كتابا من بطى بن خادم جاء فيه:
أود أن أبلغكم أن زايذا رئيس أبو ظبى يقول
« سأذهب الى العديد بحرا ولست أبالى بالمعتمد ولا بغير
المعتمد » • فأرجو أن تكتبوا اليه لأننا استقرنا فى

العديد بمشيئة الله ثم بأوامركم • وأنتم تعرفون أننا
امتنعنا عن كل ما من شأنه أن يعرض سلم البحار للخطر ،
غير أنه (أى زايذا) لم يفعل مثله • ولذلك أعتقد أنكم
ستبادرون بالكتابة اليه ليتركنى وشأنى مع أتباعى ،
وأنتم تعلمون أننا رعية الله ثم رعيتكم •

وجاء فى رد المعتمد البريطانى ، وكان اذ ذاك الكولونل روس E.C. Ross
أنه لم يدر شيئا عن أن الشيخ زايذا يدبر هجوما على العديد •
ومضى المعتمد فحذر بطى بن خادم من أن يخرق رعاياه قوانين البحر •

وفى عام ١٢٩١ هـ الموافق ١٨٧٤ م أبلغ زايد بن خليفة الكولونل
روس أنه تلقى كتابا من السلطات التركية يتضمن أن العديد خاضعة
للحماية التركية • وبعث زايد ردا على ما طلبه روس من السماح له
بالاطلاع على الكتاب ، فى كتاب حرر فى شهر ذى الحجة عام ١٢٩١ هـ
الموافق ليناير ١٨٧٥ م جاء فيه :

فيما يتعلق بالكتاب الذى بعثت به الى السلطات
التركية من قطر وهو الذى رغبتم فى الاطلاع عليه ، أود
أن أبلغكم أن جميع جهودى فى البحث عن هذا الكتاب
ضاعت سدى ، ومغزى هذا الكتاب هو أنه يجب على أن
أمتنع عن التدخل فى شئون السكان المقيمين فى العديد •

وفى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م تلقى المعتمد البريطانى فى الخليج
تعليمات من حكومة الهند بأن يوفق بين أهل العديد وحاكم أبو ظبى ،
وإذا تعذر التوفيق بطريق المفاوضات ، فعليه ألا يتردد فى استخدام القوة
للعمل على تثبيت سلطة هذا الحاكم على العديد • ولعل قرار حكومة
الهند كان مستندا ، ولو فى جزء منه ، الى أن العديد كانت تتخذ ملجأ

للقراصنة ولا سيما عصابة من قبيلة آل مرة • ولعل الانكليز نظروا كذلك نظرة عدم رضا الى الصلات الوثيقة بين بطى بن خادم وآل ثانى فى قطر حيث استقرت اذ ذاك سلطة الدولة العثمانية • وكان سكان العديد يدفعون فى ذلك الوقت خمسمائة قران^(١) سنويا لقاسم آل ثانى مقابل استخدام بعض مصايد اللؤلؤ •

ولما أخفق الانكليز فيما حاولوه من اقناع سكان العديد بأن يعترفوا بزعامة حاكم أبو ظبى ، أرسل المركب البريطانى « تيزر » Teazer الى هناك فى عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م رغبة فى اكرامهم على الاذعان • ولكن أهل العديد دروا سلفا بعمل الانكليز ، فلاذوا بالفرار بعد ما خلعوا أجزاء منازلهم وردموا الآبار • وذهب معظمهم الى البدع فى قطر حيث احتموا بقاسم آل ثانى ، وظلوا فيها حتى حوالى عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م عند ما عادوا الى أبو ظبى بعد العفو عنهم •

وفى عام ١٢٩٥ هـ الموافق ١٩٧٨ م احتج الترك احتجاجا رسميا على ارسال المركب « تيزر » الى العديد ، وزعموا أن هذه البلدة خاضعة لولايتهم • ولم يرسل الانكليز ردا رسميا على الاحتجاج التركى غير أن وزارة الخارجية البريطانية قررت أن السياسة البريطانية لن تعترف بمطالب الترك فى الولاية على العديد أو أى مكان آخر من الأماكن الواقعة الى الشرق منها • وجاء فى كتاب ايتشسن أنه حدث فى السنة نفسها « ان سمح لشيخ أبو ظبى بأن يؤكد حقوقه فى ملكية العديد » • ولا يعرف تماما ما يعنيه هذا البيان ، ولا سيما اذا عرفنا أن العديد أخليت فى العام السابق له • وليس هناك ما يدل على أن تأكيد هذا الشيخ لحقوق الملكية ينطوى على احتلال الموضع احتلالا رسميا •

• (١) كان القران عملة فضية تزيد قيمتها بعض الشيء على الربية •

وفي عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م نشبت حرب بين قاسم آل ثاني وزايد حاكم أبو ظبي ، وكان السبب الرئيسي لنشوبها هو الاغارات التي قامت بها القبائل الخاضعة لولاية كل من الزعيمين . ولم يستقر النظام في المناطق المجاورة للعديد ، وأغارت القبائل ، ولا سيما آل مرة ، اغارات لا يقيدها شيء على تلك المناطق . وألمع قاسم الحين بعد الحين عن عزمه على انشاء قصر في العديد ، غير أن السلطات البريطانية حذرتة من ذلك .

وفي عام ١٣٠٣ أو ١٣٠٤ هـ أى في ١٨٨٦ م عاد قاسم فأعلن رغبته في بناء قصر في العديد ، مستندا في حقه في بنائه الى كتاب أرسله اليه رئيس المركب التركي « زخاف » متضمنا أمرا بأن يقوم بهذا العمل . فأعلن المعتمد البريطاني في الخليج بأنه لن يسمح بهذا ، وأعد مركب بريطاني ليكون متأهبا لثنى قاسم عن عزمه . وثقت الحكومة التركية أنها أصدرت مثل هذا الأمر ، ووجه الوالى التركى في البصرة لوما الى رئيس المركب « زخاف » .

وفي عام ١٣١٣ أو ١٣١٤ هـ أى في ١٨٩٦ م اعتزم الترك أن يضعوا مخفرا عسكريا في العديد ، غير أن السلطات البريطانية ثنتهم عن هذا . وفي عام ١٣١٩ أو ١٣٢٠ هـ أى في ١٩٠٢ م أعلن الترك عزمهم على ضم العديد الى نظام حكومة قطر ، غير أنهم ، كما يقول لوريمر ، « منعوا عن ذلك فعلا بما اتخذته الانكليز من اجراءات » . وفي عام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م سنحت للانكليز فرصة أخرى ليلغوا فيها الترك أن العديد تدخل ضمن الولايات الاقليمية لحاكم أبو ظبي الذى كان بدوره تحت حماية الحكومة البريطانية . ولم يكن هناك ريب في أن هذا الموقف العدائى الذى اتخذته الترك هو الذى حصل الحكومة البريطانية في

عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م على الوصول الى اتفاق مع حاكم أبو ظبي اعترفوا فيه بأن المنطقة المجاورة لخور العديد جزء من أراضيهم كما تعهدوا بالتدخل للحيلولة دون أن يحتل أى طرف من الخارج تلك المنطقة .

لم نجد أى دليل على أنه كانت هناك سكنى مستمرة في العديد منذ تخلى القبيسات عنها في عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م ، والأطلال الدارسة الموجودة فيها الآن تدل على أن الموضع ظل غير مأهول سنين طويلة . وبين الحين والحين يزور المنطقة رجال من آل مرة والمناصير من ناحية البر ، ورجال من بني ياس من ناحية البحر . والذين يزورونها يستخرجون الماء من البئر الوحيدة التي أعيد نقيبها منذ ردم القبيسات موارد الماء قبل الفرار منها .

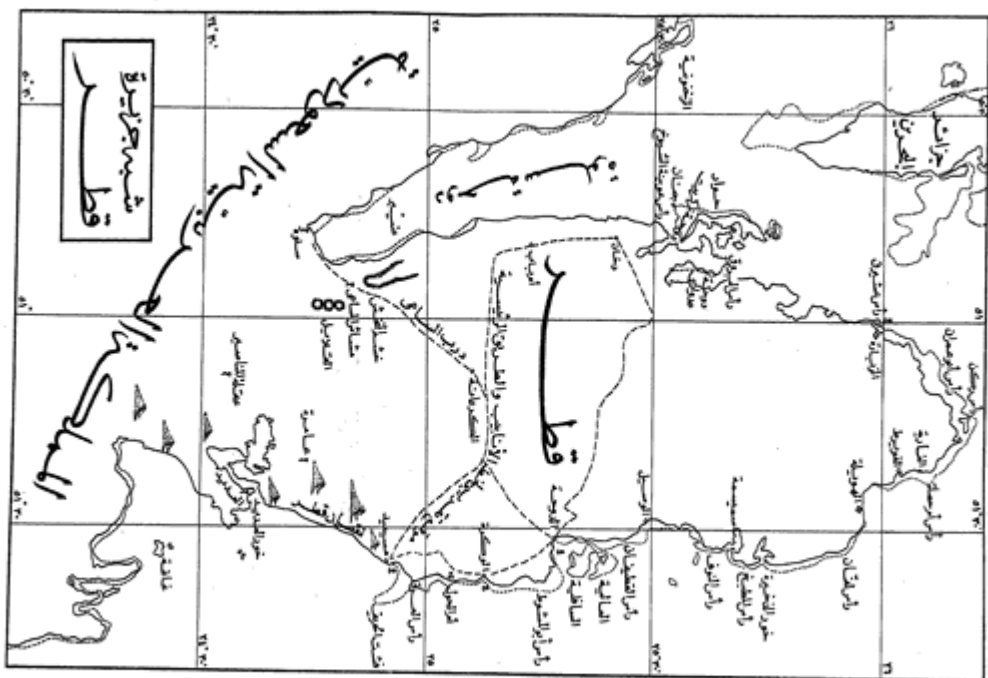
لم يكن عمل اخراج الحطام من البئر عملاً يسيراً . وقد عثر في أثناء نقيبها على مدفع قديم ثقيل الوزن . ويقول المناصير ان هذا المدفع رفع بأيدي أفراد جماعة مبارك بن عقّاد من المراثيد من آل بومنذر من المناصير ، وقد صار أحفاد أولئك الأفراد رجالا اليوم . ويقال ان المدفع أخرج من البئر بواسطة الابل التي كانت النساء يستحشنها بينما كان الرجال يتعاونون في قرار البئر لاجراجه . وقد ترك المدفع ملقى على بعد بضعة أقدام من فوهة البئر حتى نقل في عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م .

وليس من العسير الاهتداء الى أطلال العديد على الأرض ، ويمكن بسهولة من الجو رؤية خطط البلدة السابقة كلها . فكانت تتجه شمالا صوب بندر العديد ، وحول الناحية البعيدة من البحر كان سور يمتد من شاطئ الى آخر في هيئة قوس غير منتظم ، وفوق هذا السور أبراج متباعدة ، وهناك قصر مربع صغير ذو أربعة أبراج يقع في جنوب البلدة

في وسط القوس • وليس بين المباني القديمة مبنى واحد على حاله •
أما الانقراض التي تخلقت فهي ترتفع في معظم الأماكن الى نحو قدم
أو قدمين فقط من سطح الأرض • أما البئر فهي تقع على بعد نحو نصف
ميل الى الجنوب الشرقي من أطلال البلدة •

...

قطر



أضف إلى السلة

شِبْه جَزِيرَةُ قَطْرَ

لقد دونا وصفا مفصلا لأسفل شبه جزيرة قطر في كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » ولا حاجة الى ايراد هذا الوصف هنا . فبحثنا الحالى يعنى بوجه خاص بذلك الجزء من شبه الجزيرة الذى يقع الى الشمال من خط العرض الشمالى ٥٠° ٢٤° .

يمتد شبه جزيرة قطر شمالا من الساحل الجنوبى للخليج الفارسى نحو منتصف الطريق بين الكويت ورأس مسندم ، وهو أكبر معلم جغرافى من نوعه فى منطقة الخليج كلها . ويتاخمه من الشرق الجزء الجنوبى من الخليج ، وكثيرا ما يشير رجال البحر اليه بقولهم « بحر البنات » . والى الغرب يقف الجزء الأسفل من شبه الجزيرة عند دوحة سلوة الضيقة التى تفصل قطر عن ساحل الحسا . أما جزائر البحرين ، فهى تقع بالقرب من الجزء الشمالى لساحل قطر الغربى ، أى نحو منتصف الطريق بين طرف شبه الجزيرة وبين بر البلاد العربية السعودية وهذا البر على بعد يزيد على خمسين ميلا غربا من قطر . وأقرب نقطة لشبه الجزيرة من بر ايران تقع على بعد نحو ١٢٠ ميلا فى اتجاه الشمال الشرقى . ويقع ساحل الصلح البحرى الى الشرق مباشرة من قطر عبر الجزء الأسفل للخليج الفارسى الذى تكثر فيه الجزائر ، وذلك على مسافة تتفاوت بين مائتى ميل (من مدينة أبو ظبى) و ٢٤٠ ميلا (من مدينة دبى) و ٢٨٠ ميلا (من مدينة رأس الخيمة) .

وعند الجزء الضيق من أسفل شبه الجزيرة تجد أرضا واطئة فيها عدد من السباح ، ومن المحتمل أن قطر كانت فى الماضى جزيرة . وأقصر

مسافة عبر هذا الجزء الضيق ، وطولها نحو خمسة وعشرين ميلا ، تتجه في خط يمتد من الساحل الغربى بالقرب من أسفل دوحة سلوة الى المياه الغربية من خور العديد على الساحل الشرقى . والمسافة بين رأس ركن عند الطرف الشمالى لشبه الجزيرة وبين الخط المذكور تبلغ نحو ثمانين ميلا ، ولا يزيد عرض قطر على أربعين ميلا كثيرا فى أى موضع .

وساحل قطر منخفض عامة ، شأنه فى ذلك شأن بقية السواحل العربية للخليج الفارسى . ويفتقر هذا الساحل الى الموانى الصالحة ، وتكثر على مقربة منه الشعاب والقشوت وغيرها من الموانع التى تعترض الملاحة ، وذلك فى منطقة بحرية تمتد بعض الأميال عن الشاطئ . وفى بر الجزء الشمالى من شبه الجزيرة يزداد الارتفاع زيادة يسيرة فقط ، فسطح الأرض فى تلك الناحية جامد تغطيه الحصباء أو طبقة متموجة من الرمال .

أما أرض الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة فهى متنوعة تنوعا يفوق ذلك . ففي الجنوب الشرقى ترى أن أبرز معلم هو ثقيان قطر ، وهى سلسلة طويلة من كثبان الرمال العالية تسير شمالا من خور العديد على امتداد الساحل مسافة تزيد على عشرين ميلا ، كما تسير الى الداخل فى بعض المواضع مسافة نحو خمسة عشر ميلا . وبالقرب من الطرف الجنوبى للثقيان يقع مورد الماء الذى يعرف باسم عامرة وعلى مقربة منه سباح كبيرة ، فى حين أننا نجد فى الشمال مرتفعا صخريا على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا جنوبى مدينة الدوحة وعلى بعد نحو عشرة أميال من الشاطئ ، وهناك مرتفعات أخرى غيرها .

فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة يرتفع جبل دخان ، وهو سلسلة طويلة من الجبال والتلال تمتد شمالا وجنوبا قرب الساحل .

وعند الطرف الجنوبي للسلسلة يقوم المرتفع المسمى خشم النخس. أو نخس دخان • وتوجد الآبار المنتجة للزيت التي تتبع شركة استثمار البترول (قطر) على المنحدرات الغربية لجبل دخان ، ويبرز طرف دخان الشمالي واضحا جليا وان كان أكثر انخفاضا من الطرف الجنوبي • وفي ما وراء الطرف الشمالي يقع سهل يعبره وادي الهولة ، وهو مجرى يبلغ الساحل الغربي ولا تكاد معالمه تبين • وبين جبل دخان وهذا الساحل تقع سبخة البحث في أرض منخفضة يقال ان طولها يزيد على عشرين ميلا بينما يتفاوت عرضها بين ميلين وأربعة أميال • واذا تركنا جانبا الكتبان المنفصلة كتلك الواقعة بالقرب من الكرعانة في جنوب المنطقة الداخلية الوسطى ، فان المعالم الجغرافية الباقية لشبه الجزيرة التي تستحق الذكر ، هي موارده للماء وقراء الساحلية وشكل شواطئه •

المعالم الساحلية

ان ساحل قطر الذى تلجأ اليه من زمان طويل مراكب صيادى اللؤلؤ
والسمك الفارين من عواصف الخليج وكذلك مراكب القراصنة الهاربين
من العقاب ، ساحل قليل الغور عامة لا يغرى بالملاحة الا المراكب الصغيرة
التي يستخدمها الملاح العربى * والمعالم الرئيسية للساحل الشرقى لشبه
الجزيرة ، وهو أكثر سكانا نوعا ما من الساحل الغربى ، هى كما يلى من
الشمال الى الجنوب :

رأس ركن : الطرف الشمالى لقطر ، هو فى الواقع جزيرة يمكن
بلوغها خوضا فى الماء وقت الجزر . وتقع الجزيرة داخل الشعب الساحلى
الذى يحف بطرف شبه الجزيرة ، ويمكن الوصول اليها بسهولة من
مغاوص فشت الديبل الواقعة الى الشمال الغربى ، ومن المغاوص الصغيرة
التي تكثر الى الشمال والشمال الشرقى من هذا الرأس *

رأس أم حصة : يقع على بعد تسعة أميال تقريبا الى الجنوب الشرقى
من رأس ركن ، وهو تتوء برى منخفض يرتفع الى سن صخرى علوه
يزيد على عشرين قدما *

رأس لفان : الطرف الشمالى لقطر ، هو فى الواقع جزيرة يمكن
الشرقى لشبه الجزيرة على بعد نحو سبعة عشر ميلا الى الجنوب الشرقى
من رأس أم حصة . وبين هذين الرأسين تقع الفويرط والغارية وأطلال
الهويلة *

بندر الذخيرة : يسمى كذلك خور الذخيرة ، وهو مدخل مائي صغير
ضحل على بعد نحو أحد عشر ميلا جنوبى رأس لفان • وعلى شاطئه
تقع قرية صغيرة للصيادين اسمها الذخيرة •

رأس المطبخ : يقع على بعد أربعة عشر ميلا جنوبى رأس لفان عند
المدخل الشمالى الشرقى لخور شقيق •

خَور شقيق : كثيرا ما يشار اليه باسم خور المهاندة ، أو الخور فقط ،
وهو مدخل مائي واضح المعالم يقع بين رأس المطبخ ورأس النوف • والى
الجانب الجنوبى للخور قرية بنفس هذا الاسم يرتفع وراءها جبل صغير ،
وبالقرب منها قرية سميسمة •

رأس النوف : رأس صخرى منخفض يقع على بعد ثلاثة أميال جنوبى
رأس المطبخ •

دَوْحَة الوَسِيل : تضرىس ضحل على الساحل تزوره المراكب الصغيرة ،
ويقع على بعد نحو ستة أميال الى الشمال الغربى تقريبا من رأس
القطينان • وتقع قرية الوَسِيل على المنحنى الجنوبى للدوحة •

رأس القُطَيْفَان : رأس ظاهر مرتفع يقع نحو منتصف الطريق بين رأس
النوف وبين مدينة الدوحة التى يتكون المرفأ الضحل أمامها عندما
ينحنى الساحل انحناء حادا الى الشرق على مسافة عشرة أميال جنوبى
رأس القطينان •

رأس النساء ورأس أبو عبود : تتواءم يقعان شرقى مدينة الدوحة مباشرة •

رأس أبوالمشوط : رأس صخرى منخفض الى الشرق القصى من مدينة الدوحة ، وعنده يستأنف الساحل اتجاهه الجنوبى •

جبل الوكرة : يقع على بعد متفاوت بين سبعة أميال وثمانية الى الجنوب من رأس أبو المشوط ، وهو جبل صخرى ارتفاعه نحو ثمانين قدما • وعلى بعد ميل ونصف ميل منه الى الشمال تقع بلدة الوكرة •

أمر الحول : تقع على بعد ثلاثة أميال جنوبى الوكرة ، ويقال ان فيها أطلال قرية قديمة •

رأس المرق : (رأس العلاج)^(١) يقع على بعد عشرة أميال جنوبى جبل الوكرة ونحو اثنين وعشرين ميلا الى الشمال الشرقى من خور العديد • وهناك شعب يطلق عليه اسم فشت الحريف يمتد صوب البحر مسافة تقارب سبعة أميال من هذا الرأس المنخفض •

رأس سماعيل : رأس رملى أخذ منه اسم ميناء نقل الزيت فى قطر • ويقع الرأس على بعد نحو عشرين ميلا الى الشمال الشرقى من خور العديد ، وبين هاتين النقطتين تمتد رمال نقيان قطر •

يمتد ساحل قطر الغربى الى الجنوب الغربى مسافة قصيرة من رأس ركن ، ثم ينحرف الى الجنوب ويتخذ اتجاهها جنوبيا عاما • وهذا الساحل كثير التضاريس تتعدد فيه الخيران البحرية والخلجان اذا قوبل بالساحل الشرقى ، غير أنه باستثناء الجزء الشمالى الغربى لم يجتذب الا عددا

(١) يكتب اسم هذا الرأس بأشكال شتى بالانكليزية ، ولا يعرف بالتوكيد الشكل العربى الصحيح •

قليلا من الملاحين والسكان • أما معالمة الرئيسية من الشمال الى الجنوب فهي كما يلي :

رأس أبو عمران : يقع على بعد نحو ميلين ونصف ميل الى الجنوب الغربى من رأس ركن ، ورأس أبو عمران واطىء على وجه العموم مع أنه يرتفع الى ربوة صخرية •

رأس عُشِيرَق : يقع هذا الرأس الواطىء على بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب الغربى من رأس ركن ، عند الطرف الغربى القصى لخليج تجدد عند طرفه الشرقى القصى أطلالا كثيرة هي أطلال مدينة الزبارة • وبين رأس عُشِيرَق ورأس أبو عمران تجدد قرى أبو الظلوف (على بعد نحو ميلين الى الجنوب الغربى من رأس أبو عمران) ، والجميل ، وخور حسان (ويسمى كذلك الخوير) ، وفريجة ، وعلى بعد نحو ميلين من رأس عُشِيرَق جنوبا تقع أطلال الربيعة •

رأس فيحِيل : يقع على بعد ستة أميال جنوبى أطلال الزبارة •
دَوْحَة الأَسُود : تقع نحو منتصف الطريق بين رأس عُشِيرَق ومدخل دَوْحَة عدوان •

دَوْحَة عَدْوَان : تقع على بعد نحو عشرين ميلا جنوبى رأس عُشِيرَق ، وهى خليج مستطيل يمتد شمالا وجنوبا ويحده من الغرب شبه جزيرة صغير طرفه رأس البروق • وفى المناطق المغمورة تجاهه يقع عدد من الجزائر أكبرها جزيرة حوار •

رأس البرُّوق : الطرف الشمالى لشبه جزيرة صغير يقع على جانبه الشرقى دَوْحَة عدوان وعلى جانبه الغربى دَوْحَة زكريت •

رأس السَّوَاد : الطرف الشمالى الغربى لشبه الجزيرة الصغير الذى أشير اليه آنفا •

دَوْحَة زَكْرِيَّت : تقع الى الجنوب الغربى من دوحَة عدوان وتشابهها من حيث أنها خليج مستطيل يمتد عامة شمالا وجنوبا ، وفي أسفل الخليج توجد منشأة بحرية صغيرة تابعة لشركة استثمار البترول (قطر) •
رأس عُوينة الشُّيُوخ^(١) : يقع غربى دوحَة زكريت • ويمكن أن يقال أنه المدخل الشمالى الشرقى لدوحَة سلوة •

دَوْحَة سَلْوَة : الخليج الواقع بين ساحل قطر الجنوبى الغربى وبين ساحل مقاطعة الحسا الممتد الى الجنوب من جزيرة الزخونية • وليس في الخليج حركة ملاحية تذكر غير زيارات بعض المراكب الصغيرة الى جزيرة عنيبر في جزء الخليج الجنوبى الضيق ، وذلك لجمع ذرق الطيور •

(١) يسمى هذا الرأس فى بعض الخرائط رأس عوينة على •

أهل قطر

لم يحصر قط بالضبط عدد الذين يقيمون في قطر ، غير أن التقديرات الحديثة التي أعدها أناس خبروا البلاد تقول ان عددهم يقارب عشرين ألفا . ويعيش معظمهم في قرى على السواحل ، ويمكن اعتبارهم قوما حضرا وان كانت القرى الكثيرة المهجورة ذوات الأطلال توحى بأن هؤلاء الحضر كثيرا ما يرغبون في تغيير مسكنهم . أما البدو فانهم على تقيض سكان القرى ، فعدد البدو قليل وهم يطوفون في داخل البلاد . وفي المواسم التي يقل فيها هطول المطر في المناطق الواقعة جنوبى قطر يزيد عدد البدو بوفود أفراد من قبائل شتى من مقاطعة الحسا والربع الخالى قادمين لرعى ماشيتهم في مراعى أفضل ، ولا يستبعد أن وفود بعضهم في الأيام السالفة كان من أجل المغام في الغزوات . وهناك طائفة أخرى من الناس تختص بأعمال التجارة والبيع والشراء في القرى الرئيسية ، وتتألف هذه الطائفة بنوع خاص من فرس وهنود وشيعيين من البحرين .

أن نمو مراكز شركة استثمار البترول بما عندها من أبواب للعمل قد أخذت الآن تضيء على قطر قسطا من الرخاء ، وتدخل عليها تغييرا في حياتها . ويلوح أن النشاط الاقتصادى الناتج عن ذلك محصور حتى الآن في أيد قليلة ، ولا تزال الأعمال القديمة المألوفة — وهى صيد اللؤلؤ والسمك والتجارة الصغيرة — تعد المهمة الأولى لسكان الساحل . ومع أن البدو يزودون شركة البترول بعدد كثير من العمال ، فانهم ما زالوا يعملون أولا برعى الابل والغنم برغم قلة الخضرة في قطر في بعض مواسم السنة .

يوضح البحث التاريخي الذي نوردته فيما بعد كيف وفدت قبائل شتى على ساحل قطر وكيف ارتدت عنه . ومما يذكر أن مثل هذه الهجرة تضمنت ، في عهد الأحياء من السكان ، عناصر من آل بو عيين الذين أنشأوا بلدة الجبيل على ساحل مقاطعة الحسا الى الشمال الغربي من رأس تنورة بعد ما برموا بالحياة في قطر ، وكذلك عناصر من نعيم الذين لا ينفكون يتحركون ، فيما يلوح ، خارجين من ديار آبائهم على ساحل قطر الغربي أو عائدين اليها . أما بعض المدن الرئيسية السابقة مثل الزبارة والهويلة والفويرط ، فانها اما أصابها الانحلال واما فقدت منزلتها . ومع هذا فانه أصبح الآن من الممكن لقطر أن تحتفظ بما بلغته من تحضر قبائلها ، وذلك نظرا الى اطراد الاستقرار في الدول المجاورة لها وازدياد أثر التقدم الاقتصادي في قطر نفسها .

قبائل قطر

قبائل الحضر

ان قبيلة المعاضيد التى تنتمى اليها الأسرة الحاكمة فى قطر هى القبيلة الرئيسية هناك، مع أنها لم تكن أكبر القبائل جميعا . وحاكم قطر اليوم هو على بن عبد الله بن قاسم آل ثانى . أما أبوه الذى تنازل له عن منصة الحكم فى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م ، فإنه لا يزال يقيم قرب مدينة الدوحة . ويزعم المعاضيد أنهم من نسل بنى تميم . وفى الفترات السابقة التى كان فيها الموحدون ذوى النفوذ العالى فى بلاد الحسا كان المعاضيد يعدون من أتباع الشيخ أحمد بن حنبل ، غير أنهم يعدون الآن من أتباع المذهب المالكي كما هو شأن معظم سكان قطر . والدوحة هى المركز الرئيسى لهم ، وان كانت لهم أملاك أخرى فى الوكرة والوسيل وفى الداخل .

والمعاضيد فى الدوحة على صلات وثيقة بقبيلة السلطة ، وهم أوفر منهم عددا ، وكذلك بقبيلة السودان . ويقال ان السلطة هم من نسل بنى مالك الذين يقطن معظمهم الآن فى ايران ، وقد أطلقوا اسمهم على أحد أحياء مدينة الدوحة . وتجد أفرادا من السودان أيضا فى الرويس وفى أبو الظلوف على الساحل الشمالى الغربى ، ويرجع أصلهم الى قریش .

وهناك قبيلة آل بو كواره التى يقال ان لها صلات وثيقة بالمعاضيد وهى من أقوى القبائل المقيمة فى قطر وأكثرها عددا . والقرية الرئيسية التى تستقر فيها هى الفويرط حيث يقيم زعيمها خليفة بن طوار . وتعيش جماعات منها فى القطاين وسميسمة . وتملك القبيلة عددا كبيرا من مراكب

التجارة وصيد اللؤلؤ وكذلك كثيرا من الابل وبعض الخيل • وانشغالها بصيد السمك وبالأعمال التجارية يغريها بالاستقرار على الشواطئ، ويجعلها قبائل حضرية في المقام الأول، وإن كان عدد من أفرادها لا يزالون يحتفظون بصلاتهم بالحياة البدوية عن طريق ما يمتلكونه من الماشية • ويشبهها من هذه الناحية قبيلتان صغيرتان هما المناعة والسادة •

والمهائدة الذين يعدون من أكبر القبائل الحضرية في قطر يعيشون على الساحل الشرقي عند خور شقيق (خور المهائدة) والذخيرة • ومع أن نشاطهم الرئيسي منصرف إلى صيد اللؤلؤ والسمك فإنهم يربون الابل كذلك •

وهناك قبيلتان أخريان كبيرتان حضريتان هما آل مسلم، ويقال إنهم هم حكام قطر الأصليون، والهولة^(١)، وهم تجار في مدينة الدوحة والوكرة ويقال إنهم ينحدرون من بني مالك •

ومن قبائل الحضرة الأخرى في قطر العمامرة والعشاشرة وآل عطية والحميدات (وهم أقرباء لعناصر بدوية من بني خالد) والهتم وآل ابن مقلا والخليقات وبعض أفراد آل ابن رمل والكبسة ونعيم •

والقبائل الحضرية تسكن القرى على الساحل، ولا سيما على جانب قطر الشرقي حيث تقع المواضع الرئيسية التالية :

الدوحة : تقع نحو منتصف الطريق بين خور العديد ورأس لفان، وهي عاصمة قطر وأهم مدنها وفيها مقر الحاكم على بن عبد الله آل ثاني وكذلك مقر الضابط السياسي البريطاني • وكانت تعرف أصلا باسم البدع، ولا يزال هذا الاسم يطلق على الحي القديم للمدينة • ومن أحياء المدينة الأخرى حي آل ابن على وحي السلطة والمرقب الشرقي والدوحة والدويحة وقلعة

(١) يستعمل هذا اللفظ في بعض الأحيان لوصف العرب الذين يقيمون على الناحية الإيرانية من الخليج الفارسي •

العسكر والرميلة • وفضلا عن أفراد قبيلة المعاضيد التى هى قبيلة الأسرة الحاكمة فإن عناصر السكان الرئيسية تشمل أفرادا من السلطة والسودان والهولة وآل ابن على ، يضاف اليهم عدد كبير من التجار الذين ينحدرون من أصول أجنبية • أما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى، ففضلا عن التجارة الصغيرة والملاحة ، فهناك صيد اللؤلؤ والسمك • ولكن ذلك يجرى اليوم على نطاق أضيق من ذى قبل • وتطير طائرات شركة خطوط الخليج الجوية فى رحلات منتظمة بين البحرين والدوحة، وتستخدم فى الدوحة المهبط الواقع الى الشمال الغربى منها • والدوحة متصلة بالوكرة ومسيعيد الى الجنوب بدرب للسيارات ، وهناك درب آخر يتجه الى الجنوب الغربى من الدوحة حتى يلتقى بدرب مواز لخط أنابيب الزيت ، وهو يربط ساحلى قطر الشرقى والغربى • أما الدرب الصحراوى الذى يسمى درب الساعى ، فانه يصل الدوحة بالحسا • ويسير عامة صوب الجنوب الغربى الى سلوة ثم صوب الشمال الغربى الى الهفوف •

المَوْكِرَة : تقع على الساحل على بعد نحو عشرة أميال الى الجنوب الشرقى من الدوحة • وهناك حى منفصل يدعى الرميلة ، يقع الى الشمال من البلدة كما أن جبل الوكرة يقع الى الجنوب منها • ولما كانت شواطئ الوكرة ذات شعاب كثيرة فقد حرمت من مرفأ صالح ، فعلى كل المراكب غير الصغيرة أن تبتعد عنها مسافة تزيد على ميلين على الأقل • وقد تعرض عدد السكان ونوعهم لتغيير وتبديل كبيرين فى الماضى ، والعناصر الرئيسية منهم الآن تابعة لقبائل الخليجات والمعاضيد والهولة فضلا عن تجار من الشيعة • والوكرة تشبه القرى الأخرى فى قطر فى أن بين أهلها كثيرين من الزنوج ، بعضهم من العبيد •

خَوْر شَيْقِيقْ أَوْ خَوْر المِهَانْدَة : تقع هذه البلدة على الساحل الشرقى
فى منتصف الطريق بين مدينة الدوحة ورأس ركن • وكثيرا ما يشار إليها
باسم الخور فقط خلافا للخوير (خور حَسَّان) الواقع على الجانب
المقابل لشبه جزيرة قطر • والمهاندَة هم السكان الأصليون فى هذه القرية
الكبيرة ذات المنازل المبنية من الطين والحجارة •

الفُويرِط : تقع نحو منتصف الطريق بين رأس ركن ورأس لفان •
ويقال إنها تحتوى على نحو مائة منزل لآل بو كوارَة ، ونحو نصف هذا
العدد للكبسة ، وكل من القبيلتين تقطن فى حى منفصل • وكانت
الفويرط فى الماضى احدى القرى الرئيسية غير أنها اليوم لا تكاد تتجاوز
كونها قرية من قرى الصيد • والى الشمال تقع قرية الغارية ، وهى تكاد
تكون مقفرة •

وهناك قرى أخرى على الساحل الشرقى تقع جميعها بين رأس لفان
ومدينة الدوحة ، وهى الوصيل والطعّان والذخيرة وسميسمة •

وقبل العثور على الزيت كان ساحل قطر الغربى القليل السكان مقفرا
أو يكاد يكون مقفرا باستثناء قسم منه طوله نحو عشرين ميلا فى الشمال
بين رأس ركن ورأس عَشِيرَق • والقرى الرئيسية فى هذه المنطقة هى
كما يلى :

الرؤيس : تقع بالقرب من طرف قطر الشمالى على بعد نحو ميلين
جنوبى رأس ركن • ويكاد يستأثر بسكناها أفراد من قبيلة السادة •
والشعب القريب من الشاطئ هنا يحمى مراكب الصيد وهى راسية •

أبو الظكوف : تقع هذه القرية الى الجنوب الغربى من الرويس ،
والمرسى عندها أقل صلاحية من مرسى الرويس • ويسكنها أفراد من
قبيلة المناعة لهم صلات وثيقة بأقربائهم فى جزائر البحرين •

خَوْرَحَسَان أو الخُوَيْر : كان المغيرون على البحر بقيادة رحمة
ابن جابر الواسع الصيت يسكنون هذه القرية ذات يوم ، ولكن معظم
سكانها الآن من الكبسة •

وهناك قريتان أخريان فى هذه المنطقة هما الجميل وفريجة •

وتقع بلدة دخان الحديثة العهد ، وهى مقر شركة استثمار البترول
(قطر) ، الى الجنوب على الساحل الغربى بين الطرف الجنوبى لدوحة
زكريت ومدخل دوحة سلوة • وتتصل البلدة بمسيعيد بدرب يوازى
خط أنابيب الزيت المؤدى الى هذا الميناء • وثمة درب آخر الى الشمال
يصل البلدة بمدينة الدوحة • وهناك مهبط للطائرات بالقرب من بلدة
دخان تستعملها الشركة فى أعمالها •

القبائل البدوية

لا يسع قبيلة واحدة أن تزعم أن قطر كلها هي ديرتها دون غيرها ، وإن كان يقال ان قبيلة بنى هاجر وقبيلة الكعبان الصغيرة وجدتا أصلا في هذه المنطقة . وتختلف عناصر من قبائل شتى الى أرض قطر الضيقة ، وقد أصبح بعض أجزاء تلك الأرض مقرونا بقبائل معينة . وبنى هاجر ، الذين يقيمون الآن على الأكثر في مقاطعة الحسا ، يزورون جنوب قطر في بعض الأحيان ، وتجد أفرادا منهم منتشرين شمالا حتى الكرانة ، وزعيمهم في قطر منصور بن خليل الذي كان يمثل مصالحهم أخيرا في منازعاتهم مع حكومة قطر . وجاء في كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » أن هؤلاء يدينون بالطاعة والولاء لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ويدخل عماله قطر ليحصلوا الزكاة منهم أسوة بالقبائل العربية السعودية الأخرى التي قد تكون هناك ، وكثيرا ما تكون بين هذه القبائل عناصر قوية من المناصر وآل مرة . أما بيوت بنى هاجر في قطر فقد تفاوت تقدير عددها في العهد الأخير بين مائتين وخمسمائة . وتفقد عناصر المناصر وآل مرة على قطر من رمال مقاطعة الحسا والربع الخالي متى قيل لهم ان الأرض طيبة المرعى .

وثمة طائفة أخرى من سكان قطر تدين بالطاعة والولاء لسلطة خارج شبه الجزيرة ، وهي تشمل رجالا من قبيلة نعيم ، وقد عاش أفراد من جماعتها الغربية أجيالا كثيرة في الشمال الغربي من قطر . ولا تزال هذه الجماعة وجماعة نعيم الشرقية المقيمة في الظاهرة في عمان تعترفان بصلات القربى فيما بينهما ، وإن كانت المسافة التي تفصل احدهما الآن عن

الأخرى مسافة كبيرة • أما عدد رجال نعيم في قطر الذين يمكن اعتبارهم من البدو فهو قليل ، غير أن صلاتهم الوثيقة بالبحرين وبالمملكة العربية السعودية حيث يقيم أفراد آخرون من نفس الجماعة ، ومحالفاتهم مع طوائف أخرى من البدو في قطر ، أكسبتهم شأنا رفيعا • ويعامل حاكم البحرين رجال نعيم في قطر باعتبارهم رعاياه ، فيصدر لهم جوازات السفر بغير مقابل ، وهو يعد ولاءهم له حجة يسوقها مع سائر حججه لتوكيد تفوقه في هذه الرقعة من قطر • وهناك قبائل أخرى تتراد المناطق المجاورة ولها محالفة مع نعيم ، وهى الكبسة والمناعة وآل ابن رمل وآل بورميح ، وهى جميعها قبائل نصف بدوية ونصف متحضرة • أما آل جمعان الذين لهم أيضا محالفة مع نعيم فهم بدو على وجه العموم •

ومن العناصر البدوية الأخرى آل حباب الذين يعيشون في الجزء الجنوبي الشرقي من قطر ، وكذلك القبائل التالية التى تتراد الداخل : الكعبان ، وهى تعد منحدره من بنى كعب على ساحل الصلح البحرى أو ذات علاقة نسب بهم ، والمريخات والمزايدة والمضاحكة ، ويقال انهم قسم من بنى هاجر •

أما موارد الماء في قطر فهى كثيرة • والمجموعات الرئيسية للآبار تقع حول أم الماء في الشمال الغربى ، وإلى الشمال من نقيان قطر في الجنوب الشرقى ، وفي المناطق التى يتردد عليها بنى هاجر وغيرهم من القبائل السعودية في جنوب شبه الجزيرة •

تاريخ قطر الحديث

ليس لدينا الا معلومات قليلة عن تاريخ قطر في القرون السابقة للقرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي . والحادث الأول البارز في تاريخ قطر الحديث هو هجرة عناصر من العتوب (ويعرفون كذلك باسم بنى عتبة) من الكويت الى شبه الجزيرة حوالى عام ١١٧٨ هـ أى حوالى ١٧٦٥ م ، وهم يزعمون أنهم من عنزة .

استقرار آل خليفة فى الزبارة

يقال ان آل خليفة من العتوب استقروا فى الأفلاج فى جنوب نجد حتى انتقلوا الى الكويت فى الجزء الأخير من القرن الحادى عشر الهجرى . الموافق لآخر القرن السابع عشر الميلادى حيث عاشوا مع آل صباح والجلاهمة وهم من العتوب كذلك .

ويقول أمين الريحانى ان آل خليفة قادهم محمد بن خليفة من الكويت الى الزبارة فى قطر ، وكانت يومئذ بلدة كبيرة يسكنها آل ابن على وعناصر من الجلاهمة . وهناك رواية أخرى لعيسى بن على ، وهو حاكم سابق للبحرين ، كتب فى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م الى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى يقول :

ذهب أحمد بن محمد آل خليفة الى مرير (بالقرب من الزبارة) وعاش فيها وأنشأ منازل ... وكانت معه قبيلته ... وفى مرير قصده عرب من قبائل شتى وأنشأوا بعد ذلك الزبارة وذهبوا اليها ليقيموا فيها .

ويتفق جميع الثقات على أن أحمد هو الذي زاد من منزلة آل خليفة في قطر . وساعد هجوم الفرس على البصرة في عامي ١١٨٩ - ١١٩٠ هـ الموافق ١٧٧٥ - ١٧٧٦ م على نمو الزبارة ، لأن كثيرين من تجار البصرة ومعهم بعض الرجال البارزين من الكويت انتقلوا إليها لاستئناف التجارة التي اعترض سبيلها هذا الهجوم .

لما اتسعت حركة التجارة في الزبارة ، وهي الميناء التجاري المنافس لموانئ البحرين ، زادت مخاوف ناصر آل مذكور حاكم البحرين الذي عينه الفرس الذين كانوا يحكمون البحرين بغير انقطاع تقريبا مدة مائة وخمسين سنة قبل ذلك . وبين عام ١١٩١ وعام ١١٩٦ هـ أي بين ١٧٧٧ و ١٧٨٢ م كثرت اعتداءات سكان البحرين وسكان الزبارة بعضهم على بعض . وبعد أن نال رجال الزبارة ظفرا في عام ١١٩٦ هـ الموافق ١٧٨٢ م ، باتوا مستعدين لتوجيه هجوم حاسم على البحرين . وبعد نحو قرن من ذلك روى عيسى بن علي الرواية التالية عن الحادث الذي وقع يومئذ :

في عام ١١٩٧ أرسل (أحمد بن محمد آل خليفة)
عبدا الى سترة ليشتري أشياء له . فوقع خصام بين
العبد وأهل الجزيرة وقتلوا العبد . فهب جميع سكان
الزبارة الى الهجوم على البحرين واستولوا عليها .

وسواء أكان هذا الحادث هو السبب المباشر للحرب أم لم يكن ، فليس ثمة ريب في أن العتوب من الزبارة بقيادة أحمد بن محمد وبمساعدة زملائهم من قبائل الكويت تغلبوا على قوات ناصر آل مذكور وأكروهه على الفرار الى أبو شهر الواقعة على الساحل الفارسي . وتقول المصادر البريطانية ان شهر يوليو عام ١٧٨٣ م الموافق لشعبان ١١٩٧ هـ هو الشهر الذي فيه استولى آل خليفة على البحرين . ومع أن تلك كانت نهاية

السيطرة الفارسية على تلك الجزائر ، فان ايران ما اثفكت تدعى بملكية
البحرين الحين بعد الحين ، وآخر عهد لها بذلك هو مطالبتها بها عقب
تأميم شركة النفط الانكليزية الايرانية •

وظل آل خليفة سادة الزبارة والبحرين ، غير أن بعض أقربائهم من
الجلالمة لم ترضهم حصتهم من الفوائد الناتجة من قهر الجزائر ،
فاستقروا فيما بعد في خور حسان على ساحل قطر شمالي الزبارة • وفي
الوقت عينه كانت هناك قوى أخرى فيما وراء قطر في بلاد الحسا ونجد
تنهياً لكي تؤثر في قطر وتهز جزيرة العرب كلها •

نفوذ الموحدين في قطر

بعد استقرار العتوب في الزبارة بقليل أصبح سعدون بن عريعر من آل حميد حاكما للحسا . وكانت قبيلته بنى خالد أعلى القبائل نفوذا في هذا الجزء من جزيرة العرب خلال عشرات من السنين ، ويحتمل أنها كانت ذات نفوذ غير قليل في قطر . واصطدم رجال آل سعود النجديون ، في تأييدهم مبادئ الموحدين التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع آل حميد من بنى خالد . ووقعت اغارات متقطعة على بنى خالد وصلت بالموحدين الى سواحل الخليج الفارسي في عام ١٢٠٢ هـ الموافق ١٧٨٧ - ١٧٨٨ م .

وفي ذلك الوقت دبر القائد النجدي سليمان بن غفيصان أمير الخرج حملة وعبر مع قواته بلاد الحسا للهجوم على قطر . وهناك فاجأ رجالا من قبيلة آل بورميح وهزمهم ، وكانت خسارتهم نحو خمسين من رجالهم كما فقدوا جميع ممتلكاتهم . ثم انسحب سليمان الى نجد ، غير أنه عاد الى الساحل قبل مضي سنة ، وكانت عودته هذه المرة عند العقير حيث استولت قواته على كثير من الغنائم .

وفي عام ١٢٠٣ هـ الموافق ١٧٨٨ - ١٧٨٩ م هزم سعود بن عبد العزيز بنى خالد بالقرب من حفر الباطن ، وفي العام التالي انتصر عليهم انتصارا ساحقا عند جبل غريميل الذي لا يبعد كثيرا الى الجنوب من بقيق . ولاذ رؤساء بنى خالد بالفرار ، وربما فروا الى الزبارة كما روى أحد المؤرخين العرب المعاصرين . والواقع أن هذه الأحداث كانت خاتمة لاستقلال بنى خالد على الساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، وإن

كان الأمر يقتضى أن تضطلع القوات السعودية ببعض الأعمال الحربية فى هذه المنطقة فيما بعد • فحوالى شهر جمادى الأولى ١٢٠٦ هـ الموافق ليناير ١٧٩٢ م استولى سعود على سيهات وعانك وحاصر معاقل الشيعة فى القطيف ، ثم انسحب بعد دفع الجزية اليه • وفى عام ١٢٠٨ هـ الموافق ١٧٩٣ - ١٧٩٤ م تولى ابراهيم بن عفيصان قيادة المغيرين على قطر حتى بلغوا الهويلة على الساحل الشمالى الشرقى • ونحو عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠٠ م كان الموحدون قد بسطوا سلطانهم على معظم الساحل الجنوبى للخليج الفارسى • وهاجمت قوات مسقط البحرين نحو العام المذكور فأسفر ذلك فيما بعد عن تعزيز نفوذ الموحدين فى تلك الجزائر ، وذلك لأن العتوب انسحبوا الى الزبارة وسرعان ما ظفروا بحماية الموحدين • وفى العام التالى جمع الفريقان قواتهما لاسترداد الجزائر •

يبدو أن آل خليفة كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال فى تدبير أمورهم فى السنوات العشر التى تلت ذلك ، سواء فى البحرين أو فى الزبارة ، ولكن كان ذلك تحت سيادة موحدى نجد • واتسعت السلطة السعودية فى ذلك الوقت وامتدت فى جزيرة العرب من شمال الحجاز الى عمان • وحوالى عام ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، كما ورد فى احدى الروايات ، بسط الموحدون ظل حمايتهم فى الزبارة على بدر بن سيف آل بو سعيد الذى كان يحاول اغتصاب السلطة فى مسقط ، ومن ثم ساعده على أن يصبح خلال فترة وجيزة الرجل الأعلى فى بلاده • وفى الوقت عينه بسطوا حمايتهم على رحمة بن جابر فى هجماته على المراكب المارة فى الخليج ، وكان يوجهها من قاعدته على ساحل قطر وبمعوثته أخضعت قطر لسيطرتهم • وفى عام ١٢٢٤ - ١٢٢٥ هـ الموافق ١٨١٠ م قام سعود بن عبد العزيز ، رغبة منه فى القضاء على السخط السياسى والتخاذل فى الدين ، بتوحيد البحرين وقطر والقطيف فى مقاطعة واحدة ،

وعين عبد الله بن عفيصان أميراً لها • ومضى آل خليفة في تصريف الأعمال الادارية ، غير أنهم كانوا يدفعون الجزية الى الحاكم النجدى •

ولكن سرعان ما تعرضت هذه الدولة السعودية الأولى للضغط من نواح شتى • فحوالى عام ١٢٢٦ هـ الموافق ١٨١١ م هاجمت قوات مسقط جزائر البحرين والزابارة واحتلت الأولى وأشعلت النار في الثانية • وقد أسر الأمير النجدى واسترد آل خليفة قدراً كبيراً من السلطة عقبه جلاء قوات مسقط • وفى الوقت عينه دخلت القوات التى أرسلها محمد على باشا والى مصر غرب الجزيرة العربية ، وبهذا ابتدأت سلسلة من الحملات استمرت ثمانى سنوات ووصلت بإبراهيم باشا وجيشه الى أواسط الجزيرة العربية والحسا • وفى فترة الاضطراب التى نتجت من ذلك ، عزز الانكليز موقفهم باعتبارهم حماة الملاحة فى الخليج الفارسى ، وعقدوا اتفاقات مع الزعماء الصغار على سواحله وجزائره ، ونهجوا على وجه العموم نهجاً كفل لهم السيطرة على كثير من شئون امارات الخليج •

ومع أن آل سعود عادوا فأقاموا سلطانهم فى بلاد الحسا حوالى عام ١٢٤٧ هـ الموافق ١٨٣٠ م وجمعوا الجزية من حاكم البحرين فى فترات متقطعة حتى نحو عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧٠ م ، فان سيادة الانكليز فى البحر حالت دون قيام آل سعود بأعمال بحرية كبيرة • وصار وضع قطر بالتدريج فى خلال الجزء الأول من هذه الفترة وضع أرض ملحقة بالبحرين ، وان كانت أعمال القرصنة الكثيرة والمنازعات القائمة بين الزعماء الصغار تدل على أن كل سيطرة انما كانت سيطرة مؤقتة وأن تفرق الكلمة كان سائداً •

بين عام ١٢٣٥ و عام ١٢٤٥ هـ أى بين ١٨٢٠ و ١٨٣٠ م أخذت قطر تغدو بالتدريج ملجأ لعناصر المتمردين فى الخليج • فنحو عام ١٢٣٧ هـ الموافق ١٨٢٢ م انسحب رجال من أبو ظبى الى البدع التى كانت

توصف يومئذ بأنها « ملحقه بالبحرين » . وبعد ذلك بوقت قصير عزز محمد بن شخبوط ، وكان يسعى لعزل أخيه طحنون حاكم أبو ظبي ، منزلته في الهويلة التي وصفت اذ ذاك بأنها واقعة في « أراضى الرئيس العتبي ، ولكن لم يكن عليها سوى اشراف ضئيل » . ويقال انزعيم البدع طعن في عام ١٢٤٣ - ١٢٤٤ هـ الموافق ١٨٢٨ م أحد رعايا البحرين بسلاحه ، فكان من نتيجة ذلك أن ألقى عبد الله بن أحمد حاكم البحرين هذا الزعيم في السجن ، ثم نقلت العناصر المثيرة للشغب من البدع الى الرويس والفويرط لتكون خاضعة خضوعا مباشرا لسيطرة ذلك الحاكم . وبعد وقت قصير أصبحت قوة عبد الله بن أحمد كافية لتمكينه من مهاجمة مسقط والحصول على شروط صلح طيبة ، وتوقفت البحرين عن أن تدفع الى مسقط الجزية السنوية التي تم الاتفاق عليها مدة حوالي عشر سنوات قبل ذلك مقابل اطلاق سراح أسرى من العتوب ورد بعض المراكب ، ووعدت حكومة مسقط حاكم البحرين بالامتناع عن التدخل في شئونه . ولكن ذلك الوعد كان قصير الأجل .

في عام ١٢٤٦ هـ الموافق ١٨٣٠ - ١٨٣١ م استقرت من جديد سلطة آل سعود في بلاد الحسا ، بعد أن كانت قد عادت الى حكمها السابقين من بنى خالد في العقد السابق من السنين . وطلب تركي بن سعود من عبد الله بن أحمد حاكم البحرين أن يدفع الجزية ويقدم ترضية عن الخسارة التي تكبدها الموحدون منذ سنوات طويلة مضت . وقد وضعت الترتيبات اللازمة للاعتراف بسلطة تركي في البحرين ولدفع الجزية .

ثم نحو عام ١٢٥٢ هـ الموافق ١٨٣٦ م وافق عبد الله على شروط جديدة مع الموحدين يدفع بمقتضاها جزية سنوية صغيرة في مقابل المساعدة التي يظهر بها لصد كل هجوم مختل من جانب قوات الفرس ، سواء قدمت هذه القوات وحدها أو بمؤازرة مسقط .

في بضع السنوات التالية تجدد الصراع في نجد بين القوات السعودية والقوات المصرية ، كما حدث خلاف في البحرين بين عبد الله بن أحمد ومحمد بن خليفة وهو ابن ابن أخيه . وترك زعماء قطر الصغار أحرارا في منازعاتهم ما داموا لا يصطدمون بالقوة البريطانية التي تحافظ على الأمن في الخليج . ونحو عام ١٢٥٤ هـ الموافق ١٨٣٨ م تغلبت قبيلة آل بو عيينة كلها ، وقوامها نحو ثلاثمائة أسرة ، عن قرية الوكرة واستقرت في أبو ظبي . وبعد ذلك بوقت قصير تبينت قبيلة آل ابن علي بقيادة عيسى بن طريف أن الانكليز غير راغبين في تركها تستقر في البدع ، وقررت القبيلة ، خشية من عبد الله بن أحمد حاكم البحرين ، أن تعدل عن اقتراح الاستيطان في الوكرة . وعلى أثر ذلك انتقل آل ابن علي الى جزيرة نماء الساحل الفارسي ، غير أنهم عادوا الى البدع حوالي عام ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م . وفي عام ١٢٥٧ هـ الموافق ١٨٤١ م هاجمت مراكب بريطانية الشيخ سلمان بن ناصر من أهالي البدع تأديبا له بسبب أعمال قرصنة قام بها هو وزملاؤه من قاعدتهم على ساحل قطر ، وكانت بضع طلقات من مدافع المراكب كافية لاقتناع سلمان بالاستسلام والموافقة على رد الممتلكات المسلوبة .

وفي الوقت عينه أصبحت البحرين خلال فترة وجيزة خاضعة لسيطرة أتباع المصريين على البر العربي . وانسحب محمد بن خليفة ، المزاحم الشاب لعبد الله بن أحمد ، الى ساحل قطر ، وأخذ يدأب في مضايقة عم أبيه مضايقة منتظمة . وتلا ذلك وقوع هجوم من جانب محمد على البحرين ، غير أنه أخفق وفر ليطلب مساعدة من عبد الله بن ثنيان آل سعود الذي كان قد اغتصب من عهد قريب السيطرة على الرياض من خالد ابن سعود الذي كان تابعا للمصريين . وبعد عام أو نحوه عاود فيصل بن تركي آل سعود الظهور في نجد ، وبدأ يجدد دولة الموحدين بينما انتهى

محمد بن خليفة من انزال الهزيمة بعبد الله بن أحمد ، ونصب نفسه حاكما للبحرين . ولما كان فيصل قد أسدى عوناً الى محمد بن خليفة مقابل موافقته على أن يدفع الجزية السنوية ، فقد بثت نفوذ الموحدين في شئون البحرين وعلى ساحل قطر .

وفي بضع السنوات التي تلت ذلك اعتمد محمد بن خليفة على قوة السلاح ليحتفظ بمقامه في قطر ، بينما تبين فيصل بن تركي بدوره أن التهديد بالسلاح كاف للاحتفاظ بالبحرين خاضعة لحكمه . ووقعت معركة بالقرب من الفويرط حوالي شهر شعبان أو رمضان عام ١٢٦٣ هـ أي نحو أغسطس ١٨٤٧ م بين قوات محمد بن خليفة وبين ائتلاف قوامه رجال من قبيلة آل ابن علي بقيادة عيسى بن طريف ومؤيدى عبد الله بن أحمد ، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لآل ابن علي ، وقتل زعيمهم . ونحو عام ١٢٦٧ هـ الموافق ١٨٥١ م وصل الأمير فيصل الى جوار البدع حيث كان على أخو محمد بن خليفة مستقراً في القصر . وتخلّى سكان القرى الواقعة على ساحل قطر ، منها الوكرة والفويرط فضلاً عن البدع نفسها ، عن حكام البحرين وحالفوا فيصلاً عقب فرار علي بن خليفة في مركب الى البحرين . وسوّى الأمر بعقد اتفاق تعهدت فيه البحرين بأن تدفع المبالغ المتأخرة المستحقة من الجزية . ولم يحل صيف عام ١٢٦٨ هـ الموافق ١٨٥٢ م حتى كان فيصل قد انسحب مع جيشه الى الهفوف ، حيث أمر أحمد السديري أمير الحسا بأن يطبق شروط المعاهدة ويباشر سيطرة أوسع من ذي قبل على قطر والمناطق المتاخمة لها .

وبعد ذلك بسبع سنوات اتخذ فيصل الأهبة اللازمة لمهاجمة البحرين ، غير أنه عدل عن ذلك لوجود قوات بحرية بريطانية في المنطقة . وتلا ذلك في عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م اتفاق محمد بن خليفة مع بريطانيا وينص فيه على أن يكون المعتمد في الخليج الفارسي حكماً في المنازعات الخاصة

بالبحرين وتوابعها وجيرانها ، ولكن لم تعين قطر أو أية أرض أخرى تابعة للبحرين تعيينا صريحا في سلسلة الاتفاقات التي عقدت بين البحرين والانكليز منذ عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م . ففى عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م اشترك حكام البحرين في المعاهدة العامة مع القبائل العربية في الخليج الفارسي بعد ما وافقوا في معاهدة تمهيدية على حظر بيع الأسلاب « في البحرين أو توابعها » . وليس في المتناول نص الاتفاق الذى وقعه حاكم البحرين فى عام ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٧ م لمكافحة تجارة الرقيق ، غير أنه فى التعديل الذى أدخل عليه فى شهر رمضان عام ١٢٧٢ هـ الموافق لمايو ١٨٥٦ م اعترف محمد بن خليفة بأن مسئولياته تشمل « أراضى أو أى مكان خاضع لسلطتى » . وجاء فى ديباجة الاتفاق الذى عقد فى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م أن محمد بن خليفة هو « حاكم البحرين المستقل » فقط غير أن المادة الثالثة تذكر « البحرين ... وتوابعها فى هذا الخليج » . وفى التعهدات التى تلت ذلك بين بريطانيا والبحرين ذكرت « أراضى البحرين » وحدها . وعلى ما يعرف لم يعقد الانكليز تعهدا رسميا مع زعيم مستقر فى قطر قبل عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م .

وفى عام ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨٦٥ م أجمل الكولونل لويس بلى المعتمد البريطانى الموقف فى الخليج فيما يتصل بالموحدين ، فقال ان القبائل العربية فى البحرين والمناطق المطلة على البحر ومسقط ، هى مستقلة فى حد ذاتها ، وهى تقوم بدفع الجزية الى فيصل بن تركى بدون أن تطلب مساعدة أو حماية منه ، وليست له سلطة لعزل زعمائهم ، وقيمة جزية البحرين ستة آلاف ريال .

وترتب على وفاة فيصل فى ذلك العام نفسه تنازع على السلطة بين نجليه عبد الله وسعود . وقد ارتقى الأول أريكة الحكم أولا . وفى أواخر

سنة ١٢٨٢ هـ الموافقة لأبريل ١٨٦٦ م وكد محمد بن عبد الله آل مامع •
وهو رسول الأمير عبد الله ، للمعتمد البريطاني في أبو شهر في بيان مكتوب
أن الأمير النجدي لا يضمر الا نيات ودية للانكليز ، وانه « لن يضرب
أو يعتدي على أراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ،
ولا سيما مسقط ، ولن يتجاوز تسلم الزكاة التي جرى عليها العرف من
قديم الزمان » •

قيام آل ثاني

حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة لأواسط القرن التاسع عشر الميلادى لم يكن أحد من زعماء قطر المحليين قد احتفظ طويلا بعلو شأنه على سائر الزعماء فى علاقات شبه الجزيرة مع سادة الجزيرة العربية والبحرين . ولا بد أن رأس الأسرة الحاكمة الآن فى قطر ، واسمه ثانى ، قد ظفر لنفسه ولقبيلته المعاضيد ببعض السلطة فى المنطقة المجاورة للبدع . ويلوح أن ابنه محمدا اعتنق مبادئ الموحدين وبهذا ازداد نفوذه . وعلى كل حال فانه فى أواسط عام ١٢٧٩ هـ الموافقة لأوائل عام ١٨٦٣ م وصف محمد بن ثانى بأن له بعض الحق فى ارتفاع الشأن بفضل كونه « كبير جباة » الجزية السنوية . ويقول أحد الرحالين فى ذلك العهد ان سلطة محمد كانت ضئيلة خارج البدع ، وانه قد جرى العرف بأن يسوى الزعماء المحليون شئونهم فى قراهم . وقد كانت سلطة حاكم البحرين محمد بن خليفة مبسوطة عليهم جميعا فى غير حدود معلومة ، ومحمد بن خليفة هو الذى عين أحد أفراد أسرته نائباً عنه فى قطر فى أواسط عام ١٢٨٠ هـ الموافقة للجزء الأخير من عام ١٨٦٣ م . وقد أبعد هذا النائب زعيم الوكرة المحلى ، وعمل أعمالاً أخرى نفرت الشعب منه . فاضطر أن يعود الى البحرين بعد عامين أو ثلاثة . وفى ذلك الوقت نفسه ناشد أهل قطر الأمير فيصل بن تركى النجدى المسن أن يقدم لهم يداً ضد البحرين .

وفى شهر جمادى الآخرة أو رجب عام ١٢٨٤ هـ أى فى أكتوبر ١٨٦٧ م وحدث البحرين وأبو ظبي قواتهما للاستيلاء على الوكرة والبدع واغراق

عدد كبير من مراكب قطر . وقبل أن يتمكن الانكليز من التدخل في الأمر لاقرار الأمن ، انتقلت قبائل قطر لنفسها بهجوم على البحرين .

دعت هذه الاضطرابات الواسعة النطاق الى وجوب اتخاذ اجراء حاسم من جانب الانكليز اذا ما أرادوا أن يصونوا مقامهم باعتبارهم حفظة على السلم البحرى فى الخليج ، ولا سيما لأن الموقف ازداد تعقيدا بافتقار نجد الى الاستقرار . وفى عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م تحرك المعتمد البريطانى بلى للعمل وظفر بتعهدات من زعماء البحرين وقطر وأبو ظبى . وافق محمد بن ثانى حينئذ على الامتناع عن خرق السلم البحرى وعلى صون جميع العلاقات التى ظلت قائمة بينه وبين حاكم البحرين حتى ذلك الوقت ، وأن تحال جميع المنازعات الى المعتمد . وفى شهر جمادى الأولى ١٢٨٥ هـ الموافق لسبتمبر ١٨٦٨ م ، وعن طريق وساطة المعتمد ، اعترف عدد من زعماء القبائل « وجميعهم فى قطر » بأنهم تابعون للبحرين كما وافقوا على أن يدفعوا ما جرى العرف على دفعه سنويا الى محمد ابن ثانى رئيس بلدة الدوحة ، ووافق هو بدوره على أن يسلم هذا المبلغ الى حاكم البحرين عن طريق المعتمد البريطانى فى أبو شهر . ولم تذكر أسماء الذين وقعوا هذا الاتفاق فى النص الذى حصلنا عليه ، غير أن هناك أسماء تسع قبائل منها المعاضيد ، وهى قبيلة محمد بن ثانى ، تعين عليها أن تدفع جزية سنوية تبلغ فى جملتها ما يتفاوت بين تسعة آلاف قران وخمسة عشر ألف قران .

وفى الوقت عينه اعترف الانكليز بعلى بن خليفة حاكما للبحرين وأصدر على بيان مؤداه أن أخاه محمدا قد أضع حقه فى الحكم نتيجة لاشتراكه فى مهاجمة قطر فى عام ١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٦٧ م واعتداءاته على المراكب فى الخليج الفارسى . كذلك حصل بلى على موافقة حاكم أبو ظبى على ألا ينتهك سلم البحار فى المستقبل ، وأن يدفع غرامة كبيرة

عن اعتدائه السابقة ، وألا يحول دون عودة الذين تركوا قطر الى بلادهم *
يقول ايتشسن ان جزية قبائل قطر دفعت خلال عامين بعد ذلك ،
ولكنه لم يذكر شيئا عن اتفاق عقد في شهر ذى الحجة ١٢٨٥ هـ الموافق
لأبريل ١٨٦٩ م ، وهو موجود ضمن محفوظات حكومة الهند * ففيه
اتفق ممثلو حاكم البحرين ومحمد بن ثاني وزعماء قطر الآخرون على :

... أن يدفع في كل عام مبلغ تسعة آلاف قران
لحساب جميع المطالب من قطر ، وعلى أن يدفع لراشد بن
جبر شيخ قبيلة نعيم أربعة آلاف قران من هذا المبلغ ،
وذلك في مقابل حمايته قطر ، على أن يؤخذ ايصال عنه
ويسلم عن طريق المعتمد الى رئيس البحرين *
أما الباقي ، وقدره خمسة آلاف قران ، فهو لحساب
الزكاة المستحقة لابن سعود ، ويدفع لرئيس البحرين
عن طريق المعتمد *

وعندما أحال پلى هذا الاتفاق في شهر ذى الحجة الموافق لأبريل الى
رؤسائه في حكومة الهند قال في كتاب ان خمسة آلاف قران تدفع آخر
الأمر الى « الحكومة الوهابية » وان « هذا الدفع لا يؤثر في استقلال قطر
بالنسبة الى البحرين ، بل يعد مساهمة ثابتة من جانب قطر في المبلغ
الاجمالى الذى يستحق دفعه على البحرين وقطر مجتمعتين رغبة في صون
حدودهما ضد أى عدوان يقوم به البدو من نعيم ومن الوهابيين » *

وقال پلى في الكتاب عينه ان « محمد بن خليفة سيعمد ، اذا أتيت
له الفرصة ، الى اساءة استغلال سخاء الحكومة في سماحها له بالعودة
الى البحرين » * وبعد ذلك ببضعة أشهر نال محمد مساعدة أسداها له
من قطر ناصر بن مبارك وعدد من قوات بنى هاجر ، فهاجم قوات أخيه

على حاكم البحرين وهزمها وقتل على في المعركة • ثم وصلت قوة بحرية بريطانية لتعيد النظام الى نصابه وتنصب عيسى بن على حاكما • وعيسى هذا هو الذى عزا اليه المعتمد فى شهر رجب ١٢٩٠ هـ الموافق لستمبر ١٨٧٣ م قوله ان قبيلة نعيم فى قطر وأتباعها دفعت الزكاة الى ما قبل ذلك التاريخ بثلاث سنوات • « وعلى أثر ذلك ثار أهل قطر وزعيمهم محمد ابن ثانى وخضعوا لحماية أخرى ، غير أن قبيلة نعيم وأتباعها ظلت رعية لى ودفعت الجزية السنوية » • فيمكن القول بأن قطر كمت عن دفع الجزية عقب ظهور قوة جديدة أى عقب ظهور الأتراك على ساحل الحساء، ان لم يكن قبل ذلك •

الأتراك في قطر

تبين مدحت باشا والى بغداد التركى الذى لم يكن يفتر ولا يكل ، أن حالة الفوضى في نجد تهيب أمام الدولة العثمانية فرصة طيبة لتسترد مقامها على الساحل الجنوبى للخليج الفارسى . وقد استند الى الأنباء التى نقلها اليه جواسيسه الذين أرسلهم الى تلك المنطقة متخفين في زى تجار ، ثم زعم أنه يعمل على تقديم معونة كان قد طلبها عبد الله بن فيصل الذى حل أخوه سعود محله في الرياض ، فأعد قواته النظامية وقوات أخرى قوامها من البدو للهجوم على الحسا . وقد ثارت هواجس الانكليز من هذه الاستعدادات فطلبوا توكيدا من الترك بسلامة نيتهم عن طريق السفير البريطانى في الاستانة وفي شهر صفر عام ١٢٨٨ هـ الموافق لأبريل ١٨٧١ م رد ناظر الخارجية العثمانى شفويا فقال « ان الباب العالى لا تخافه نية الحصول على السيادة على البحرين أو مسقط أو القبائل المستقلة في جنوب الجزيرة العربية ، ولا يفكر في القيام بأى هجوم عليها ولا توجد عنده خطة ما لاختضاعها » .

ولكن بعد مضى شهر وبضعة أيام نزلت القوات التركية في رأس تنورة ، ولم تكد تمضى بضعة أشهر حتى احتلت الهفوف فضلا عن المدن الساحلية . وكان نافذ باشا القائد التركى قد أعلن قبلا أن الغرض من هذه الحملة هو إعادة السلطة الى عبد الله بن فيصل « قائم مقام نجد » . ومع هذا كان نافذ هذا نفسه هو الذى عين « متصرف نجد » عندما زار مدحت باشا الهفوف في أواسط عام ١٢٨٨ هـ الموافقة لنوفمبر ١٨٧١ م . وقبيل ذلك كان عبد الله قد فر من الهفوف ، وربما كان فراره خوفا من

أن يقع أسيرا في قبضة الترك الذين خيَّبوا آماله . أما سعود بن فيصل الذي أخفق في هجوم شنه على الترك ، فارتد مع قواته صوب قطر . وبذلت مساع للتوفيق بين الأخوين ، ولكن بلا جدوى .

وقاسم آل ثاني من الدوحة الذي أصبح أقوى الزعماء نفوذا في قطر بعد اعتزال والده محمد ، كان قد تقبل علما تركيا في شهر ربيع الثاني أو جمادى الأولى ١٢٨٨ هـ الموافق لـ يوليو ١٨٧١ م من وفد تركي بقيادة عبد الله آل صباح حاكم الكويت . وفي شهر شوال أو ذي القعدة ١٢٨٨ هـ الموافق لـ يناير ١٨٧٢ م زار الدوحة ضابط بحري تركي مع عبد الله . ووضعت هناك فرقة من مائة من الجنود الأتراك ونصب هناك مدفع ميدان . وفي خلال السنوات التالية كان عدد الجنود يختلف كثيرا من سنة الى أخرى حسبما تدل عليه التقارير البريطانية وفي عام ١٢٨٩ أو ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م لم يكن هناك سوى ثلاثين من جنود الجندرية من غير أن يكون معهم جنود آخرون في حين أن عدد الجنود والجندرية وصل الى المائة والثلاثين في عام ١٢٩٩ هـ الموافق ١٨٨١ م . أما في عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨ م فكان عدد الجنود مائتين وخمسين وفي عام ١٣٢٦ الموافق ١٩٠٨ م كان العدد الاسمي للقوة هناك ثلاثمائة وخمسين من الجنود .

في أواسط عام ١٢٩٠ هـ الموافقة لأواسط ١٨٧٣ م زار قطر يوسف أفندي ممثل قائد العسكر التركي في الهفوف . ومن هناك بعث كتابا الى حكام أبو ظبي والشارقة ودبي أعرب فيه عن اهتمامه بهذه المناطق ، واقترح على الحكام أن يتصلوا بالقائد التركي في الدوحة . وبعد ذلك زارت بعثة تركية برئاسة حسين أفندي بلدة الزبارة ، وربما كان ذلك نتيجة للأنباء التي راجت في ذلك الوقت ومؤداها أن عيسى بن علي حاكم البحرين كان يبذل عونه لائتلاف من القبائل بزعماء فاسر بن جبر النعيمي

لكي تستقر في القصر القديم هناك • ويبدو أن حسيناً حاول أن يحصل على بيان من رئيس نعيم بالولاء للدولة العلية ، فطلب رئيس نعيم مؤازرة حاكم البحرين • وطلب عيسى بن علي بدوره مساعدة بريطانيا ، فقيل له انه لا يملك القوة الكافية لحماية القبائل المقيمة في قطر وان ليس له أن ينتظر من بريطانيا أن تتدخل في أمور تشمل حقوقاً يحوطها الشك •

في هذا الوقت تعاقب على ادارة الحكومة في الهفوف كثيرون من المتصرفين الأتراك الذين اشتدوا في معاملة الشعب • وكان عبد الرحمن ابن فيصل قد جاء الى بغداد ليتفاوض مع الترك بالنيابة عن أخيه سعود ، فألقى نفسه معتقلاً هناك • وسرعان ما وهنت الادارة التركية في الحسا ، وفي أواخر عام ١٢٩٠ أو أوائل عام ١٢٩١ هـ الموافقة لأوائل ١٨٧٤ م أثر الترك تنصيب أحد رجال آل عريم من بني خالد ، وهي القبيلة التي كانت تحكم هذه المنطقة ، حاكماً عليها •

أخذ الموقف في الحسا يسوء سوءاً مطرداً سريعاً • فلما سمح لعبد الرحمن بن فيصل بمغادرة بغداد ، عاد الى الحسا في الجزء الثاني من عام ١٢٩١ هـ الموافق لخريف عام ١٨٧٤ م عن طريق البحرين • فالتف الناس حوله فبادر الترك الى ارسال قوة كبيرة بقيادة ناصر باشا آل سعدون الذي رد النظام الى نصابه في بطش وشدة ، ثم ترك ابنه مزيداً ليحكم المنطقة • وفي قطر اتخذ ناصر بن مبارك أهبة ليضخف على القبائل المحتشدة حول الزبارة ، وربما كان ذلك بتحريض من الترك ، وبعث بكتاب حرر في شهر رمضان عام ١٢٩١ هـ الموافق لأكتوبر ١٨٧٤ م الى المعتمد البريطاني أشار فيه الى رغبته في توكيد حقوقه في البحرين • وفي الأعمال الخيرية التي تلت ذلك ، اشترك مركب حربي بريطاني مع قوات البحرين في مهاجمة بني هاجر في المنطقة المجاورة للزبارة •

بادر الباب العالي الى الاحتجاج على هذا التدخل البريطاني في شئون قطر، وزعم أن أكثر من عشرين من رجال قبيلة بنى هاجر قد قتلوا . وقيل ان القوات الخاضعة لقيادة ناصر بن مبارك كانت قد جردت رغبة في جباية الضرائب المستحقة للخزانة العثمانية من قبيلة نعيم في قطر . ثم برر المعتمد التصرف البريطاني بقوله انه في نطاق الالتزامات المنصوص عليها في المعاهدات مع البحرين ، وزعم أن عيسى بن علي واجه تهديدا من ائتلاف قوامه ناصر بن مبارك ورئيس الدوحة وغيرهما من أهل قطر . وعلى أثر ذلك تلقى المعتمد من حكومة الهند أن حاكم البحرين ليس له ممتلكات على بر جزيرة العرب وأن إيفاد قوات لتعزيز حلفائه من نعيم أمر لا ينبغي تشجيعه . وفي أوائل العام التالي بحث بعض رجال نعيم المزايما التي يمكن أن تعود عليهم اذا ما اتجهوا بولائهم الى آل ثاني في الدوحة ، غير أنهم رفضوا الشروط الشديدة التي عرضها عليهم قاسم نيابة عن أبيه محمد . وقد اختفى محمد الذي توفي عام ١٢٩٥ هـ الموافق ١٨٧٨ م تمام الاختفاء في السنوات الأخيرة من حياته ، أمام قاسم النشيط .

وفي أثناء هذه الفترة قام المركب الحربي التركي « اسكندرية » ومركب حربي بريطاني بجولات على ساحل قطر ليحققا في أعمال القرصنة والمشاكل بين القبائل التي قيل بوجودها هناك وكان الممثل التركي في الدوحة يعمل أيضا كقاض مت دخلا في شئون قاسم آل ثاني . وربما كان يعمل كذلك في تحصيل الدخل السنوي من البلدة الذي قيل في عام ١٢٩١-١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م انها تدفعه للحكومة التركية . وقد وصل هذا الدخل الى مبلغ بين تسعة آلاف وعشرة آلاف قران .

وفي عام ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م زار الدوحة موظف بريطاني في الخليج فوجد « أن شيوخ آل ثاني الذين رحبوا أولا بالاحتلال التركي

اعتقاداً منهم أنه وسيلة لزعزعة كيان الحكم البريطاني في الشؤون البحرية قد ضاقوا به ذرعاً الآن » إلا أنه قيل إن قاسماً قبل أن يعينه الترك في عام ١٢٩٢ أو ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م قائماً بقطر وقد رحب في عام ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م بالموظف التركي الذي كان متصرف الحسا في زيارته للدوحة .

وقد تميزت السنوات التالية بأن خسر الترك ما بقي لهم من سيطرة داخلية ضئيلة في قطر ، مع أن الحكومة العثمانية ظلت تتحدى الانكليز في المسائل المتعلقة بالشؤون الخارجية لشبه الجزيرة . وقد أبلغ الانكليز الباب العالي غير مرة ، كما أبلغوا قاسم بن محمد آل ثاني وناصر بن مبارك الذي كان مع بنى هاجر ، أنه لن يسمح بالأعمال العدوانية التي يقوم بها بنى هاجر ضد البحرين . وفي عام ١٣٠١ أو ١٣٠٢ هـ الموافق ١٨٨٤ م أبلغ قاسم الانكليز أنه حصل على موافقة الأتراك للقيام بهجوم من البحر على بعض رجال بنى هاجر بجوار الظهران وطلب موافقة الانكليز على هذه الحملة ، فبعث إليه المعتمد البريطاني بكتاب يطلب فيه العدول عما اعتزمه ، ويبدو أنه عدل عنه .

كذلك تدخل الانكليز في الخلاف الذي كان ناشئاً يومئذ بين قاسم وحاكم أبو ظبي . وفي عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م لجأت أغلبية القبيسات في العديد إلى بلدة الدوحة فرارا من قتابل المدافع البحرية البريطانية ، وظلوا فيها حتى عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م عند ما عادوا إلى ديارهم الأصلية في أبو ظبي . وفي عام ١٢٩٧ هـ نشب قتال بين قطر وأبو ظبي . ولما أرسل قاسم رجالاً وسلاحاً في عام ١٣٠٧ هـ الموافق ١٨٨٩ - ١٨٩٠ م إلى السلع ، وهو مورد للماء يتردد عليه البدو على مقربة من الساحل نحو منتصف الطريق بين خور العديد وجبل الظنة ، نازع الانكليز ما وكده

قاسم من أن هذه البقعة تقع تحت سيادته وأنذروه بأن هذا العمل
وما يماثله « سيؤدي الى عواقب خطيرة » .

واحتج الترك من ناحيتهم على الخطوات التي اتخذها الانكليز في
قطر . فبعد فرار القبيسات من العديد في عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م
أرسل الترك احتجاجا رسميا ادعوا فيه أن هذه المنطقة تحت سيادتهم .
وفي عام ١٣٠٣ أو عام ١٣٠٤ هـ أي في ١٨٨٦ م نفى الترك مازعمة الانكليز
من أن قاسم بن محمد آل ثاني تلقى تعليمات منهم بأن يبنى قصرا في
العديد . وعلى كل حال فقد جاء في المذكرات الشفوية التي قدمها الترك
الى الانكليز في شهر ذي الحجة عام ١٣٠٨ هـ الموافق لـ يوليو ١٨٩١ م
وفي شهر جمادى الآخرة عام ١٣٠٩ هـ الموافق لـ يناير ١٨٩٢ م أن الزبارة
والعديد داخلتان في حدود ولاية البصرة (وقد أدمجت الحسا في هذه
الولاية الجديدة في عام ١٣٠١ أو عام ١٣٠٢ هـ أي في ١٨٨٤ م) وقد
تولى ادارتهما القائمقامون والمديرون الأتراك منذ زمن طويل . وليس
هناك ما يدل على أن الانكليز ردوا على هذه المذكرات . وفي عام ١٣١٠
أو عام ١٣١١ هـ أي في ١٨٩٣ م اقترح الترك معاملة أهالي البحرين
باعتبارهم رعايا للدولة العلية مقيمين في داخل الأراضي العثمانية . فتمسك
الانكليز هذه المرة بحقوقهم في بسط الحماية البريطانية على رعايا البحرين .
وفي عام ١٣١٣ أو عام ١٣١٤ هـ أي في ١٨٩٦ م ثم في عام ١٣١٩
أو عام ١٣٢٠ هـ أي في ١٩٠٢ م سعى الترك الى وضع العديد تحت
حكومة قطر ، ولكن المعارضة البريطانية ثنتهم عن ذلك .

في شهر رمضان ١٣١٢ هـ الموافق لـ مارس ١٨٩٥ م انسحب رجال من
قبيلة آل ابن علي بزعامة سلطان بن سلامة من البحرين الى قطر وحولوا
ولاءهم الى قاسم آل ثاني فأقرهم في الزبارة حيث حشد مراكب عديدة .

وأيد الترك هذا العمل ، وأرسلوا مديرا بمركب حربي فرفع العلم العثماني على الزبارة • وبدأ أنه قد أوشكت مهاجمة البحرين • وهرعت مراكب الأسطول البريطاني الى الزبارة ثم أطلقت النار وأصاب نحر أربعين مركب تابعة لأهالي البلدة • وبعد ذلك بقليل طلب قاسم تحكيم بريطانيا في الأمر ، وعاد المدير التركي الى الحسا ، كما عاد أغلبية آل ابن علي الى البحرين ، مع أن زعيمهم انضم الى قاسم آل ثاني في الدوحة • ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم بقيت الزبارة غير مأهولة ، كما بقيت أساسا يعتبد عليه حكام البحرين في ادعاءات يقدمونها من وقت لآخر بحقوق وامتيازات لهم في قطر •

بعد عام ١٣٢٠ هـ أي عقب انتهاء القرن التاسع عشر الميلادي وعودة السلطة الى آل سعود بقيادة صقر الجزيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن ، أدخلت تغييرات على الموقف في الخليج ، وبدأ الانكليز سياسة اتسمت بمعارضة نشيطة قوية للنفوذ التركي هناك • وفي عامي ١٣٢٠ و ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠٣ م قيل ان الأتراك عدلوا من انشاء مديرتين في الوكرة والزبارة بسبب احتجاجات الانكليز • وفي نحو ذلك الوقت نظر الانكليز في موضوع المفاوضات لعقد معاهدة مع أحمد بن محمد أخى قاسم آل ثاني ، وقد بدا قبل ذلك أنهم شجعوا أحمد مرة على أن يتصرف مستقلا عن أخيه الحاكم • أما قاسم فقد طلب بدوره تأييدا من دولة نجد الناهضة وقد قيل انه كان يرسل تقودا وهدايا لآل سعود كل عام ، وعندما جاء عبد العزيز آل سعود الى قاعدة شبه جزيرة قطر في صيف عام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م زاره وقدم له هدية من تقود وأسلحة • الا أن أحمد صرح بأن أية محاولة من جانب عبد العزيز « لعبور حدود قطر ستقاومها قوات الدوحة وأبو ظبي الموحدة » • وقد قتل أحمد في أواخر عام ١٣٢٣ هـ الموافقة لنهاية ١٩٠٥ م بيد أحد خدمه ونتيجة لذلك وجد عبد الله الابن الرابع لقاسم نفسه في ظروف مواتية ليخلف أباه •

وفي شهر شعبان أو رمضان عام ١٣٢٤ هـ أى فى أكتوبر ١٩٠٦ م أرسل عبد العزيز آل سعود رسالة عن طريق قاسم آل ثانى الى الانكليز يطلب منهم حماية بحرية لهجوم يدبر على الهفوف والقطيف^(١) . وارتأت الحكومة البريطانية أن مقترحات عبد العزيز تنطوى على اعتبارات « ترى حكومة جلالتة البريطانية استحالة قبولها » . ثم وجه عبد العزيز اهتمامه وجهة أخرى ، ولم تعد الحسا الى السيطرة السعودية الا فى فصل الربيع عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م .

وفى قطر استمر قاسم يتصرف بكيفية جعلته مستقلا عن الأتراك استقلالاً يكاد يكون تاماً ، وان كانت حاميتهم ما انفكت مرابطة فى بلدة الدوحة . وأشارت المطبوعات الرسمية للحكومة العثمانية الى قاسم باعتباره قائم مقام قضاء قطر فى سنجق نجد^(٢) ، فجاءت فى سالنامة الدولة العثمانية لعام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩٠٩ م اشارة اليه من هذه القبيل كما أنها كانت قد وردت فى سنين كثيرة قبل ذلك ، ثم جاء فى السالنامة المذكورة أن البدع ناحية من الدرجة الأولى فى قضاء قطر ، وأن العديد والوكة والزبارة كلها من الدرجة الثانية .

وقد اعتبرت قطر قضاء من الدرجة الثالثة ، كما هو شأن الرياض . وورد اسم عبد الرحمن آل فيصل باعتباره قائم مقام الرياض . والرياض ، فيما هو معروف ، لم تكن قد ذكرت قبلا فى أعداد السالنامة المختلفة ولم تذكر فيما بعد .

لما زاد الجفاء فى العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى ، سعت بريطانيا العظمى الى تعزيز موقفها فى الخليج فأصدر اللورد كرزون

(١) هذا ما تذكره المصادر البريطانية .

(٢) أطلق الأتراك اسم نجد على ممتلكاتهم على الساحل الجنوبى للخليج الفارسى وبالقرب منه ، وان لم يحتلوا سوى المدن الرئيسية فيما هو الآن مقاطعة الحسا ، ولم تمتد سيطرتهم الى منطقة نجد الجغرافية .

واللورد لنزدون Lansdowne بيانات رسمية جريئة فيما يتعلق بذلك الموقف . وفي عام ١٣٢٥ هـ الموافق ١٩٠٨ م قال صحفي بريطاني معروف له اهتمام بشئون الخليج :

لم تعترف بريطانيا قط بالمنزلة التي أخذتها تركيا في قطر وقد حان الحين الذي يجب علينا فيه أن نصر بشدة على تخلي الأتراك عن ادعاءاتهم في قطر ، وهي أضعف نقطة في الموقف الحالي .

بناء على رغبة الإنكليز بدأت مفاوضات في عام ١٣٢٩ هـ الموافق ١٩١١ م مع تركيا بشأن المشاكل الكثيرة التي كانت تهم الجانبين والتي لم تسو ، بما في ذلك وضع قطر . وعندما أخذ المسئولون الإنكليز يتأهبون لدعواهم اعترفوا فيما بينهم بأن « من الأمور المهمة في السعي لتسوية مشاكل الخليج ، اخراج الأتراك من شبه جزيرة قطر » . وكان بين الحجج التي ساقوها للحكومة العثمانية أن لحاكم البحرين حقوقا هامة هناك .

وفي شهر صفر أو ربيع الأول عام ١٣٣١ هـ أي في فبراير ١٩١٣ م ، بينما كانت المفاوضات دائرة ، عمل الإنكليز بواسطة كوكس على أن يصدر قاسم آل ثاني المسن قرارا يمنع استيراد الأسلحة بعد الوصول الى تسوية إنكليزية تركية . وبعد ذلك بشهرين هاجم عبد العزيز آل سعود الأتراك في الهفوف ونجح في اخراجهم من بلاد الحسا .

وفي النهاية تم توقيع اتفاقية في لندن في شهر شعبان عام ١٣٣١ هـ الموافق لـ يوليو ١٩١٣ م بين بريطانيا والدولة العلية تختص بالخليج الفارسي والأراضي المجاورة له . وفي هذه الاتفاقية تخلت الحكومة العثمانية عن جميع ادعاءاتها فيما يتعلق بشبه جزيرة قطر ، كما اعترفت بخط يمتد الى الجنوب رأسا من الطرف القصي للخليج المواجه لجزيرة

الرخنونية باعتباره خطأ يفصل « نجد عن شبه جزيرة قطر » • وقد نص في الأصل على المصادقة على الاتفاقية في غضون ثلاثة أشهر ، غير أن هذه المدة مدت عدة مرات حتى نشوب الحرب بين الطرفين المتعاقدين فحال هذا دون قبولها نهائيا •

انطوت الاتفاقية الانكليزية التركية التي عقدت في عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م على اتفاق بين الحكومتين بأن يستمر قاسم وخلفه في حكم قطر من ذلك الوقت فصاعدا • وعقيب توقيع الاتفاقية توفي قاسم وخلفه ابنه عبد الله • وشمل حكم عبد الله ، الذي لا يزال على قيد الحياة في قطر مع أنه قد تخلى عن سيطرته في الدولة لابنه على في شهر شوال عام ١٣٦٨ هـ الموافق لأغسطس ١٩٤٩ م ، أبرز حوادث التطور الحديث في قطر •

في عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥ م أجلت مراكب الأسطول البريطاني الحامية التركية التي كانت تحتل القصر في الدوحة مدة تزيد على أربعين عاما • وأشارت المعاهدة التي وقعت بين الحكومة البريطانية وعبد العزيز آل سعود في شهر صفر عام ١٣٣٤ هـ الموافق لديسمبر ١٩١٥ م الى شيخ قطر باعتباره « تحت حماية الحكومة البريطانية » ، وان لم يكن هناك اتفاق رسمي يسبغ عليه هذا الوضع ، فلم يدخل عبد الله آل ثاني في علاقات معاهدة رسمية مع الانكليز مماثلة لتلك التي تربط شيوخ ساحل الصلح البحري بهم الا في العام التالي كما سيرد فيما بعد •

قطر منذ الحرب العالمية الأولى

في أثناء السنوات العشر التي تلت الحرب العالمية الأولى أو نحوها كاد الانكليز يتجاهلون قطر تجاهلا تاما . والواقع أن الكتاب الذي وضعه القسم التاريخي لوزارة الخارجية البريطانية في عام ١٣٣٨ - ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م عن الخليج الفارسي قال إن « قطر خاضعة الآن لسيطرة ابن سعود أمير نجد » ، بينما جاء في كتاب مماثل عنوانه « جزيرة العرب » انه « لم يعين خط للحدود بين قطر والبلاد السعودية وحتى لم يتفق على موقع تلك الحدود » .

منذ حوالي عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ م وما يليه من أعوام اتجهت الأنظار الى امكان وجود الزيت في قطر كما كانت متجهة الى امكان وجوده في البحرين والبلاد العربية السعودية . فمنح عبد الله بن قاسم آل ثاني شركة النفط الانكليزية الفارسية امتيازاً للتنقيب في عام ١٣٥٠ أو عام ١٣٥١ هـ أي في ١٩٣٢ م . ولما قيدت تنقلات الجيولوجيين التابعين لتلك الشركة في منطقة دوحة سلوة في العام التالي بأيدي ممثلي أمير الحسا ، أثار عبد الله حاكم قطر مسألة التخوم مع المعتمد البريطاني في أبو شهر ، ويقال انه تصح بأن يستشير ملك المملكة العربية السعودية ، وكانت هذه المملكة آنئذ ، على ما يقولون ، ترى أن سيادتها تشمل شبه جزيرة قطر بأسره مع استثناء مدينة الدوحة وأراضي الرعي المتاخمة لها مباشرة . ونحو عام ١٣٥٣ هـ أي في ١٩٣٤ م بدأت بريطانيا تبحث موضوع تخوم قطر مع الحكومة السعودية غير أن المفاوضات التي جرت في السنوات الثلاث التي تلت ذلك أخفقت في الوصول الى اتفاق .

وفي أثناء ذلك منح عبد الله حاكم قطر امتيازاً للزيت في شهر صفر عام ١٣٥٤ هـ الموافق لمايو ١٩٣٥ م ، وهو الامتياز الذي تنتفع به الآن شركة استثمار البترول (قطر) المحدودة المعروفة بالانكليزية باسم Petroleum Development (Qatar) Ltd.

والمادة الأولى من اتفاق الامتياز تمنح الشركة حقوقاً « في جميع ربوع اماره قطر (١) » . والمادة الثانية تنص على أن « دولة قطر معناها المنطقة التي يحكمها الشيخ كلها ، وهي تقع شمالى الخط المرسوم في الخريطة المرفقة مع هذا الاتفاق » . أما الخريطة ، وهي تمثل شبه الجزيرة على وجه غير دقيق ، فقد وقعها عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر وتشارلز ميلز Charles C. Mylles ممثل الشركة . ويبدأ الخط المذكور من نقطة على ساحل دوحة سلوة تقع الى الجنوب قليلا من غربى خشم النخش ، ثم يمتد شرقا مسافة ميلين أو نحوها ويمر جنوبى خشم النخش مباشرة ، ثم ينحرف حتى يسير مسافة نحو ثمانية أميال في اتجاه جنوبى يميل قليلا الى الشرق ، ثم يستأنف اتجاهه الشرقى حتى يقطع الساحل الشرقى على بعد نحو ثمانية أميال شمالى مدخل خور العديد .

ترتب على المنازعات بين القبائل على ساحل قطر الشمالى الغربى أن عين الحاكم مفتشين للجبارك هناك في عام ١٣٥٥ أو عام ١٣٥٦ هـ . أى في ١٩٣٧ م . فاحتج حاكم البحرين على ذلك ، بناء على طلب أفراد من قبيلة نعيم يقيمون في الأرض المضطربة ، وقال ان قطر تعتدى على حقوق البحرين في منطقة الزبارة . ولم تسفر المفاوضات التي جرت لتسوية الموقف عن نتيجة ما ، فنشب قتال بين قوات نعيم وحاكم قطر .

(١) ان الكلمات المقبسة من نص الاتفاق والمدونة هنا قد اخذت من ترجمة انكليزية للنص العربى الاصلى .

وعلى أثر ذلك انسحب الى البحرين معظم رجال نعيم ، وفي نهاية الأمر استقر بعض منهم في المملكة العربية السعودية . وكادت المواصلات بين البحرين وقطر تتوقف تماما مدة بضع سنوات ، ولم تستأنف سيرها العادي الا نحو عام ١٣٦٣ هـ الموافق ١٩٤٤ م عندما اتفق الرأي بين الحاكمين . ويلوح انه اعترف بسيادة قطر على المنطقة المتنازع عليها في ذلك الوقت ، غير انه جاءت بعد ذلك أنباء عن عودة حاكم البحرين الى ادعاءاته في تلك المنطقة .

أما عبد الله الذي خلف أباه قاسما في الحكم عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م وكان يومئذ في نحو الخمسين من عمره ، فبدأ حوالى عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ م يحيل الى ابنه الثاني حمد شطرا كبيرا مطردا من تبعاته ، ويبدو أن مؤهلات حمد في الشؤون الادارية ميّزته على أخيه الأكبر على . وحمد هو الذى كان يمثل الحاكم في علاقاته مع شركة استثمار البترول (قطر) حتى وفاته في عام ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨ م .

على أثر ذلك منح عبد الله شركة سوپيريور للزيت Superior Oil Company امتيازاً يشمل المناطق الواقعة تجاه سواحل قطر ، ثم نازعته شركة استثمار البترول (قطر) في شهر شعبان أو رمضان عام ١٣٦٨ هـ أى في يونيه ١٩٤٩ م حقه في منح مثل هذا الامتياز . ولم يسو هذا النزاع الا أخيراً كما سيتضح فيما بعد .

في شوال عام ١٣٦٨ هـ الموافق لأغسطس ١٩٤٩ م حدث خلاف بين عبد الله وبين طائفة من التجار الكبار بشأن احتكار عبد الله لبيع الزيت احتكاراً تاماً مما أدى الى تنازل عبد الله عن الحكم لابنه على .

وفي عام ١٣٦٨ هـ كذلك استقبلت قطر أول ممثل مقيم من قبل الحكومة البريطانية ، وهو الضابط السياسى جون ولتن John Wilton ، وقد انضم اليه منذ ذلك الوقت آخرون من الإنكليز الذين يعملون بصفتهم مستشارين في بعض مكاتب الحكومة .

العلاقات بين قطر وبريطانيا العظمى

تشبه علاقات بريطانيا العظمى وقطر في الوقت الحالي تلك التي تربط بريطانيا بامارات ساحل الصلح البحرى ، غير أنها كانت أبداً في تطورها كما اختلفت عنها في كيفية نموها .

فبين عام ١٢٢٠ وعام ١٢٧٠ هـ أى في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، بينما كانت بريطانيا تضع قدمها في الخليج ، كانت قطر ، فيما يبدو ، منطقة تعد تابعة للبحرين . ولم يكن أحد من رؤسائها طرفا في المعاهدة العامة التى عقدت في عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م ، ولا في الاتفاقات التى تلتها كذلك التى دعت الى عقد هدنة بحرية مداها عشرة أعوام وتلك التى تبطل تجارة الرقيق الافريقى ، ولا في معاهدة الصلح الدائم . غير أن مراكب البحرية البريطانية تولت حماية سكان قطر وتأديبهم في فترات مختلفة . وكما ذكر قبلا ، أشير في تعهدات البحرين التى قطعتها للانكليز في ذلك الوقت الى توابع البحرين ، ولكنها لم تعين احداها بالاسم .

يرجع أول اتفاق رسمى عقده أحد رؤساء قطر مع الانكليز الى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٥ هـ الموافق لستمبر ١٨٦٨ م ، وقد جاء هذا الاتفاق على أثر تبادل الهجوم بين البحرين وقطر ، ووعد محمد بن ثانى فيه بأن يحيل المنازعات على المعتمد البريطانى وأنه يمتنع عن الابحار بقصد العدوان ، كما تعهد بالابقاء على العلاقات القديمة مع الشيخ على آل خليفة رئيس البحرين . وثمة وثيقة مؤرخة في اليوم التالى لتوقيع الاتفاق حددت مقدار الجزية التى يدفعها تسعة من رؤساء قطر وعينت

محمد بن ثاني وكيلًا يتولى جمع هذه الجزية وتسليمها الى حاكم البحرين . وهناك وثيقة أخرى مشابهة لهذه ، وضعت للغرض نفسه بعد مضي ستة أشهر ، ومع أن هذه الوثيقة الأخيرة لم تسجل في مجموعة المعاهدات التي نشرها ايتشسن ، فانها موجودة ضمن محفوظات حكومة الهند . وقد ذكر المعتمد البريطاني الذي أشرف على وضع نصوص الوثائق الثلاث جميعا ، ما معناه أن قطر مستقلة عن البحرين باستثناء ما يتعلق بدفع الجزية التي كانت تؤدي في النهاية الى حكومة نجد .

بعد هذه الفترة بزمان قصير وقعت قطر ، الى حد غير بعيد ، تحت سيطرة الدولة العثمانية عندما رابطت حامية تركية في بلدة الدوحة . وقد كانت بريطانيا حريصة على ألا تعترف بأي مركز للأتراك في شبه الجزيرة على أية صورة من الصور ، ولهذا أثارت موضوع مصالح البحرين فيها باعتباره مبررا تستند اليه بعض الشيء في دحض ادعاءات الأتراك .

وبدأت مرحلة جديدة في العلاقات بين قطر وبريطانيا العظمى بتوقيع الاتفاقية الانكليزية التركية المؤرخة في شهر شعبان عام ١٣٣١ هـ الموافق لـ ١٩١٣م التي لم يصادق عليها ، وكذلك بنشوب الحرب العالمية الأولى . ففي عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥ م أجلت المراكب الحربية البريطانية الحامية التركية من مدينة الدوحة . وبعد بضعة أشهر وقع الانكليز معاهدة مع عبد العزيز آل سعود أشير فيها الى شيخ قطر بأنه « تحت حماية الحكومة البريطانية » ، ومن المنتظر أن تقرر حدود أراضيها فيما بعد . وقد تم رسميا وضعه تحت الحماية بعد ذلك بعام اذ اشترك عبد الله بن قاسم آل ثاني في ٦ محرم عام ١٣٣٥ هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٩١٦م في المعاهدات والاتفاقات التي ارتبط بها أمراء ساحل الصلح البحري من قبل . وفي الوقت نفسه وقع عبد الله وثيقة منفصلة تضمنت قيودا معينة تحرم (١) استيراد الأسلحة وتصديرها وشراؤها الا بموافقة

الانكليز و (٢) تبادل الممثلين مع أية دولة أخرى دون موافقة الانكليز و (٣) التنازل عن أراض سواء عن طريق التأجير أو البيع أو النقل أو الهدية أو غيرها دون موافقة الانكليز و (٤) منح امتيازات لصيد اللؤلؤ أو أى احتكار آخر دون موافقة الانكليز . وقد تعهد الانكليز من جانبهم بحماية قطر من أى اعتداء يقع عليها من ناحية البحر من غير مبرر وأن يبذلوا مساعيهم الحميدة فيما لو هوجم حاكم قطر أو رعاياه فى داخل أراضيهم مهاجمة برية دون استفزاز .

فى خلال المفاوضات التى جرت فى العقير فى عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٢ م ذكر السير پرسى كوكس ، وهو الذى تولى عقد المعاهدة المذكورة اتفا مع عبد الله آل ثانى ، لعبد العزيز آل سعود أن قطر منفصلة عن الأراضى السعودية بخط يمتد بين سلوة وخور العديد . وبعد مضى خمسة أعوام تعهد جلالة الملك عبد العزيز فى معاهدة جدة « بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية » .

بعدما عشر على الزيت فى قطر عززت علاقات بريطانيا مع تلك الدولة أكثر من ذى قبل . وفى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ صدر مرسوم مجلسى خاص بقطر يتعلق بحق الانكليز ، وهو حق كانوا يباشرونه عن طريق حكومتهم فى الهند ، فى أن يكون لمحاكمهم الاختصاص فى القضايا الجنائية التى يتهم فيها الرعايا الانكليز أو الأشخاص المتمتعون بالحماية البريطانية ، وفى القضايا المدنية التى يكون فيها كلا الطرفين من هذا القبيل . وقد ذكر المرسوم بصفة خاصة أن عبارة « الشخص المتمتع بالحماية البريطانية » لا يشمل رعايا حكام البحرين والكويت وساحل الصلح البحرى ، فان هؤلاء يخضعون لقضاء المحاكم المحلية .

وقد حل محل هذا المرسوم مرسوم آخر شبيه به وضع موضع التنفيذ في شهر جمادى الآخرة عام ١٣٦٨ هـ الموافق لأبريل ١٩٤٩ م ، وكان سبب استبدال مرسوم بآخر ما طرأ من تغيير على وضع حكومة الهند . وقد أصدرت مراسيم من هذا القبيل خاصة بالبحرين والكويت ودول ساحل الصلح البحرى ومسقط . ووضع نص يقضى بأن تنفذ في قطر الأحكام التى تصدرها محاكم تنشأ بمقتضى هذه المراسيم فى أية دولة من هذه الدول . وقد يكون لهذا النص بعض المغزى فى ضوء اقتراح عرض حينا بعد حين يرمى الى اتحاد جميع دول الخليج الفارسى الواقعة الآن تحت الحماية البريطانية مع أن الخطوات التى اتخذت لتحقيق هذا الاتحاد لم تزل على ما يلوح قليلة .

لم يكن فى قطر قبل عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م ممثل مقيم من قبل الحكومة البريطانية غير أن ممثلى هذه الحكومة كانوا يزورونها من البحرين . وفى تلك السنة عين ضابط سياسى فى الدوحة ، فكان تعيينه دون شك ارتقابا لتوسيع نطاق علاقات قطر بالعالم الخارجى ، وقد كان هذا التوسيع شيئا لا مفر منه نتيجة لإصدار الزيت من البلاد بمقادير كبيرة .

مثل نورمن روى فوكس أندروز Norman Roy Fox-Andrews حاكم قطر فى التحكيم^(١) الذى أجرى عام ١٣٦٩ هـ الموافق ١٩٥٠ م لتسوية النزاع بينه وبين شركة استثمار البترول (قطر) . وكان المحكم المحايد هو اللورد رادكليف Lord Radcliffe أحد أعضاء مجلس صاحب الجلالة البريطانية الخاص . أما محكم الشركة فكان السير والتر مونكتن . ويقال ان حاكم قطر قد عين أخيرا مستشارين انكليز ليعاونوه فى ادارة الأمن العام وغيرها من مصالح الحكومة .

(١) انظر من ٣١٦

الزيت في قطر

باتساع نطاق صناعة الزيت في الشرق الأدنى ابتداء من نحو عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ ، أخذت قطر تجتذب الراغبين في الحصول على امتيازات . وفي المناورات التي سبقت منح شركة بريطانية امتيازاً للتنقيب في عام ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ الموافق ١٩٣٢ م ، عرض حاكم قطر عروضاً على بعض رجال الزيت الأمريكيين ، ويبدو أنه فعل ذلك بغير استشارة الحكومة البريطانية أو موافقتها . وفي خلال الفترة التي جرت فيها أعمال التنقيب في قطر ، غدت مسألة الحدود بينها وبين المملكة العربية السعودية مسألة ذات أهمية أكثر إلحاحاً من ذي قبل .

قد مدت مدة اتفاق التنقيب في خريف عام ١٣٥٣ هـ الموافق ١٩٣٤ ، وفي شهر صفر عام ١٣٥٤ هـ الموافق لمايو ١٩٣٥ م منح شركة النفط الانكليزية الفارسية امتيازاً نهائياً ، وعلى أثر ذلك أنشئت شركة استثمار البترول (قطر) المحدودة ، باعتبارها شركة تابعة لأصحاب شركة نفط العراق ، للمضى في الامتياز . ومدة سريان مفعول الامتياز خمسة وسبعون عاماً من تاريخ توقيعه ، وهو يشمل كامل المنطقة الخاضعة لسلطة الحاكم . والامتياز يخول الشركة حقوقاً مطلقة في انتاج الزيت والغازات الطبيعية ومنتجات الزيت ومشتقاته ونقلها وتكريرها وعرضها في الأسواق . وبعد ذلك بخمسة عشر عاماً تقريباً ، عينت حدود الأراضي التي يشملها الامتياز تعييناً أكثر وضوحاً وأشد دقة من ذي قبل ، كما هو مبين في هذا البحث .

ظهرت على جانب قطر الغربى فى منطقة جبل دخان بوادر تنعش الآمال
الكبار فى العثور على الزيت هناك . وقد أجرى الحفر لأول مرة فى تلك
المنطقة فى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م ، وفى آخر السنة الميلادية انتهى
العمل فى البئر الأولى بالنجاح وكان يقدر معدل ما تنتجه تلك البئر بخمسة
آلاف برميل فى اليوم . وتمت بئر أخرى ، تعادل البئر الأولى ، بعد مضى
أربعة عشر شهرا ، وكذلك حفرت بئر ثالثة أصبحت غير منتجة قبل أن
يقف العمل فى عام ١٣٦١ هـ الموافق ١٩٤٢ م بعد نشوب الحرب العالمية
الثانية .

استؤنف العمل فى عام ١٣٦٦ - ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٧ م ، وقبل
أواسط عام ١٣٦٩ هـ الموافقة لآوائل عام ١٩٥٠ م تمت سبع آبار جديدة
منتجة للزيت . ويبلغ عدد الآبار المنتجة فى الآونة الحاضرة أكثر من عشرين
بئرا ، ولا يزال الحفر جاريا . وبدأ تصدير الزيت من قطر فى شهر ربيع
الأول عام ١٣٦٩ هـ الموافق لديسمبر ١٩٤٩ م على أثر اتمام خط الأنابيب
الممتد من منطقة جبل دخان عبر شبه الجزيرة الى ميناء مسيعيد الواقع على
الساحل الشرقى . وينقل الزيت الخام داخل خط الأنابيب بواسطة ثلاث
مضخات أقيمت عند محطة مؤقتة فى الخطية ، ثم يخترن عند الميناء حيث
انشئت عشرة صهاريج تتسع جميعا لنحو مليون ونصف مليون برميل .
وتشحن ناقلات الزيت بواسطة خطين مزدوجين للأنابيب فى البحر قطر كل
منهما ١٦ بوصة وطوله ٤٢٠٠ قدم .

أصدر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود نطقا ومرسوما ملكيين
كريمين فى شهر شعبان عام ١٣٦٨ هـ الموافق لمايو ١٩٤٩ م عرقت فيهما المياه
الاقليمية التابعة للمملكة العربية السعودية باعتبار أنها تمتد مسافة ستة
أميال بصفة عامة من سواحل المملكة . وتلا ذلك أن أصدر حاكم قطر ،
بناء على مشورة الإنكليز ، اعلانا فى شهر شعبان عام ١٣٦٨ هـ الموافق

ليونيه ١٩٤٩ م وكذ فيه حقوقه في مياه قطر الاقليمية وفي أعلى البحار المتاخمة لها دون أن يعرف تلك المياه تعريفا صريحا .

لم تكن شركة استثمار البترول (قطر) قد قامت بعد بحفر آبار في البحر . ولكن يظهر أن شركة جديدة ستبدأ بمثل هذه العمليات هناك قريبا ففي عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م دخلت شركة أخرى قطر ، عند ما منحها الحاكم امتياز يشمل المناطق المغمورة التابعة لشبه الجزيرة . وقد ظفرت بهذا الامتياز شركة أمريكية اسمها شركة سويبريور للزيت قيل آتذ انها تشترك مع شركة انكليزية في العمل ، ولم يعلن نص هذا الامتياز . وقد نازعت شركة استثمار البترول (قطر) حق الحاكم في منح امتياز كهذا ، وذلك على أساس ما نص عليه في امتيازها هي .

قد ألفت في مدينة الدوحة مجلس من ثلاثة محكمين أصنى الى أقوال المتنازعين في شهر ربيع الثاني ١٣٦٩ هـ الموافق لفبراير ١٩٥٠ م ، ثم أعلن قراره في نفس العام الميلادي وهو يقضى بمنح شركة استثمار البترول (قطر) حرية العمل في الجزائر التابعة لقطر ، وفي قاع البحر وما تحت قاعه في جميع المياه الداخلية أو المياه الاقليمية التابعة لبر قطر وجزائرها ، على أن تترك أعلى البحار المتاخمة للمياه الاقليمية للشركة صاحبة الامتياز الثاني . وأشار قرار التحكيم اشارات عديدة الى الخط المرسوم على الخريطة المرفقة باتفاق الامتياز المؤرخ في سنة ١٣٥٤ هـ الموافقة ١٩٣٥ م ، وهذا الخط ، كما ذكرنا آنفا ، يمثل الحد الجنوبي للمنطقة التي يحكمها حاكم قطر .

أما أصحاب امتياز المناطق المغمورة ، فانهم سائرون قدما في استثمار امتيازهم . وقيل أخيرا انه شرع في تأليف شركة جديدة هي شركة الزيت البحري الدولية المحدودة International Marine Oil Company, Ltd. للقيام بهذا العمل ، وتساهم فيها شركة سويبريور للزيت ، وشركة التعدين والاستثمار المركزية المحدودة Central Mining and Investment Corporation, Ltd. وهي شركة بريطانية .

حكومة قطر

كانت حكومة قطر برئاسة آل ثاني الى وقت غير بعيد تحذو حذو النظم المفككة السائدة في امارات ساحل الصلح البحرى . وفى خلال الأعوام الثلاثة الماضية حاولت بريطانيا تعزيز مركز الحكومة بممثل مقيم ومستشارين غير أن نتيجة ذلك لم تتكشف معالمها بصورة كاملة جليلة بعد .

يعاون بعض رجال آل ثاني الحاكم فى أعماله ، ولسكرتير الحاكم ورجال آل درويش ، وهم يعملون فى التجارة ، نفوذ ملحوظ . وفى أثناء الاضطرابات التى وقعت فى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م والتى تمخضت عن تنازل عبد الله بن قاسم آل ثاني عن الحكم لابنه على ، بادر عبد الله آل درويش فسبق عبد الله آل ثاني الى زيارة سمو الأمير سعود بن جلوى فى الحسا . ويحتمل أن تكون هذه الزيارة بقصد اقناع الأمير سعود بالتوسط لمصلحة الحاكم المنخلع .

والحاكم السابق المسن يعيش فى عزلة هادئة فى الريان ، غير بعيد من الدوحة . وأما حفيده أحمد بن حمد فهو سكرتير الحاكم ويظهر أنه شاب ممتاز له سمعة طيبة ويظن البعض أنه يحتمل أن يخلف عمه الحاكم . ومن أعضاء الأسرة الحاكمة الآخرين المعروفين بنشاطهم فى شئون الحكم قاسم بن فيصل ، الذى كان مندوبا مقيما من قبل الحاكم فى المنطقة التى تقوم فيها شركة استثمار البترول (قطر) بأعمالها ، وخليفة بن حمد بن عبد الله ، الذى كان رئيسا لقوات البوليس والأمن العام .

لم تظفر حكومة قطر قط بالسيطرة التامة على البدو الذين يدخلون شبه الجزيرة ويجولون فيه ويخرجون منه • وفى الوقت الذى تحتفظ فيه المملكة العربية السعودية على الدوام بدورية من دوريات الحدود فى جنوب شبه الجزيرة ، لا يعرف أن حاكم قطر قد أشرف اشرافا منظما على تلك المنطقة فى أى حين من الأحيان • ويبدو كذلك أن حكومة قطر لا تشرف الا اشرافا ضئيلا على موانى البلاد وسواحلها ، اذ تشير التقارير السنوية لحكومة البحرين فى خلال الاثنى عشرة سنة الماضية الى أن ثمة أشخاصا كثيرين نازحين من قطر الى البحرين دون جوازات ، تسللوا خلسة أو حاولوا التسلل خلسة • وتشير هذه التقارير كذلك الى أن قطر ما فتئت سوقا للسلع المهربة من البحرين ، والى كشف أمر منظمة كانت تقوم ببيع السلع المسروقة المرسلة من قطر •

